

مقدمة لدرس لغة العرب

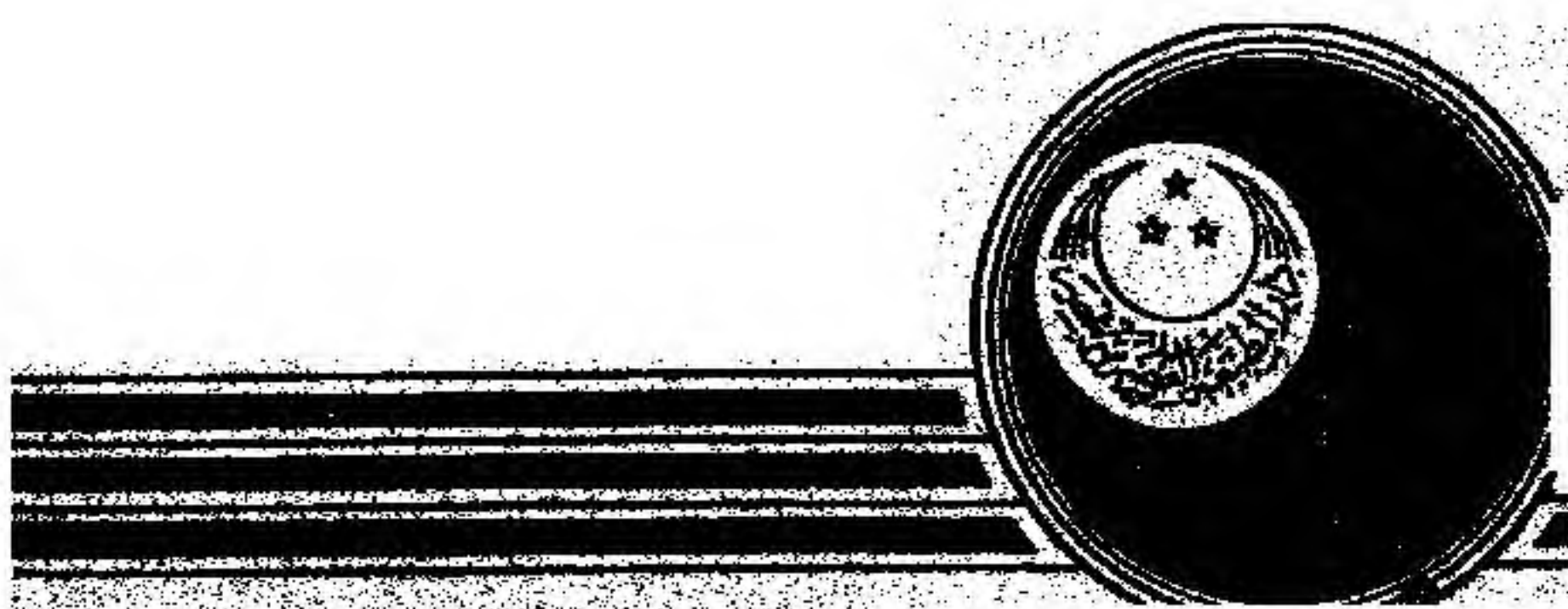
و
كيف نضع المعجم اجتزائية

تأليف

عبد الله العلامى

المطبعة العصرية

بالقاهرة، شارع الخليج الناصرى رقم ٢٦ بمصر



اهداءات ٢٠٠٣

مجد الرزاق باشا المنهوري

القاهرة

الارضاء



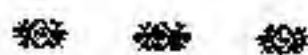
حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

« إِنَّمَا بِسْمَةِ الْحَيَاةِ أَمَانِي .. فَأَعْظِمُ بِبِسْمَةِ الْأَمَالِ »
« يَا مَلِيكَ .. بَدَتْ طَلَائِعُكَ الْفَرَا .. فِي مَجْدٍ أَعْظَمَ اسْتِقْلَالِ »
« عِلْمٌ فِي الْجَنُوبِ قَدْ ظَلَلَ الْأ .. نَجِيَالٌ نَبَهَا وَآخِرٌ فِي الشَّمَالِ »

« صَفَحَاتٌ مِنْ الْحَيَاةِ نَوَاقٍ كَمْ تَضِرُّهَا ذَانِيَّةُ الْأَفْعَالِ »
 « رَجَعَتْهَا قَيْشَارَةُ الْخَلِيدِ لَحْنًا وَشَدَّتْهَا الْأَمْثَلُ فِي الْأَصَالِ »
 « مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ يَنْتَسِمُ النَّاسُ رِيحُ عُجْبًا لِلطُّهْرِ فِي الْأَنْعَمَالِ »
 « ضَفَرُ الْغَارِ » فَوْقَ مَفْرِفِكَ الْوَضَا أَكْرَمُ بِوَاحِدِ الْأَبْطَالِ »



« يَوْمٌ مِصْرِيٌّ » وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَصْرِ ضَمَّهَا الْحُبُّ غُورَهَا وَالْعَوَالِي »
 « مَوْكِبٌ رَائِعٌ تَنْظَمَتِ الْأَهْوَا فِيهِ أَكْبَرُ بِهِ مِنْ مِثَالِ »
 « نَضِجَتْ فِي الْجُمُوعِ نَفْسِيَّةُ الْمَوْ طِينَ فَالْتَامُوا فِي عُرَى الْأَوْصَالِ »
 « يَا مَالِيكَ » الْعَهْدِ السَّعِيدِ عَلَى الدَّهْرِ دَوَامًا فِي ظِلِّ الْإِسْتِقْلَالِ »



« وَفُؤَادٌ » قَدْ شَادَ لِلْغَةِ الْفُصْحَى مِثَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ »
 « كَانَ حَامِي الْبَيَانِ فِي مِثْلِهَا اللَّيْثِ فَاخْلِدْ بِذِكْرِهِ وَالْمَعَالِي »
 « كَانَ رُوحًا يُشِيعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ رَشَحَ الظُّلَالِ »
 « أَوْ كَأَنْدَى مِنَ الظُّلَالِ بِلَالًا وَهَنَاءٌ مِنْ الْقَرَّاحِ الْخَالِي »



شكر

أريد أن أقول كلمة واجبة ، أشكر بها العالم اللغوي الياس أنطون الياس صاحب المطبعة المصرية ، الذي جعل من الكتاب حقيقة ذاتة تعيش مع جمهور كبير ، قد يرضاها وقد يتسخطها . بعد ان كانت تعيش دون ما به يكون الحي ، أي فكرة فقط وشخصية أيضاً .

وأية كلمة ، شهد الله ، لا أراها كفيلاً بما أشعر نحوه من شكر وتقدير ، وليس لأنني أفدت بنشره ، بل لأنه يخدم فكرة ويبشر ببداً ويوجه الدراسة العربية وجهة أخرى ، ربما كانت أصح وأكثر ضماناً لحاج العربية ، ووفاء بمحاجتنا منها كلغة .

وهذه الداعية التي تنتظم كل مشاكل اللغة ، والتي لا تفتأ جاهدة في تهيئة الوضع الثابت للعربية هي الدافع الحقيقي للأستاذ الفاضل الى نشر كتاب يعرف بسبيل جديد عليه يأتي محموداً ، أولاً ، فلا أقل من أن يقبـه الى معالجات أخرى غير ما كنا نعرف . والأستاذ بعد ذلك ليس بغير عن المحيط اللغوي ، فله فيه أثر كبير أو أكبر الآثار . وبجسبه أنه ركز الترجمة القاموسية على شاكلة الصواب . وفي الحق انها معاجم مبنية على مبالغة في التحري ، وزيادة في التقييد ، ومراعاة صحة الدلالة ، وأخذها على الوجه الطباقي .

فاذا كان لي أن أشكره على أن نشر كتابي ، فاني لأجدر بأن أشكره على أن يخدم جمهرة المثقفين ، بإنجاده لغة العلم ومدته لغة التعليم .

مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر

أما أن أتصدى لكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، فذلك مهم لا يحسدنى عليه أحدٌ ممن يعرفون الحالة العقلية التى خلفتها عشرات القرون فى العالم العربى . ولا يقتصر إشتاقى على نفسى ، فأنى لا كثر إشتاقاً على الأستاذ عبد الله العلايلى فانه بنشر هذا الكتاب ستدور عليه رضى تلك القرون التى تعدُّ بالعشرات ، وسيظل غرضاً يرمى بثقالها وبلهوتها ، حتى يفتح هذا الشرق العربى عينه على الحقائق ويروى نفسه على مواجهة الواقع تاركاً من تقاليد القديمة ما ينافى روح هذا العصر ، مستمسكاً منها بما يلائم الحضارة الحديثة متخذاً منه دعامة لارتقاؤه وسنداً . فان الجرى على قواعد وضعها اللغويون القدماء — لهم من الله الرحمة ولهم منا عظيم الاجلال والاحترام — واتخاذ تلك القواعد أساساً للغة العرب ، قد ألبس الحالة التى انحدرت اليها لغة آبائنا حلة من القداسة ، حتى لقد يخيّل للكثيرين ممن لا يدركون أسرار اللغات ان المساس بتلك الحالة ، عن بعد أو عن قرب ، انما يكون تهجماً على حرمتها وانها كالقداستها .

أما القول بأن القواعد التى خلفها السلف الصالح من اللغويين قد لا يستلزم حالة من القداسة ، فأمر لا جدال فيه ، وهو من حيث أنه بديهى ولا ريب فيه ، لا يقل عنه بداهة قول التطوريين^(١) ان سلفنا الصالح لم

(١) القائلون بمذهب التطور ، وهو مذهب تخضع له اللغة خضوعاً تاماً .

يلجأ الى تلك القواعد ولم يقررها الا لحاجة غلبت على عصورهم ، فأرادوا بهار د عادية الرطانة والعجمة عن اللغة . ولقد استطاعوا بكدم وجدهم وصفاء قرائتهم أن يضعوا للغة العرب سوراً أشد من الصلب مرة بحيث تقصر عنه هجمات الشعوبيين وأهل العجمة ، فحفظوا بذلك هيكل اللغة صافياً وموردها عذباً غير مدّنس بأكدار الدخيل من لغات الشعوب التي اختلطت بالعرب بعد القرن الثالث الهجري .

لقد نظم السلف الصالح ظمناً كبيراً اذا نحن رميناهم بالجهود أو نسبنا اليهم ظلامية العقل والتفكير وحكمتنا على القواعد التي وضعوها وقسناها على حاجتنا في العصر الحاضر ، من غير أن نلّم بالحالات التي قامت في عصورهم ، ولو أننا رجعنا الى الحالات التي شهدناها أهل العربية في أوائل القرن الرابع الهجري ودخول أقوام بعيدين عن العروبة في جسم العالم العربي يستعملون لغة القرآن فيفسدون من كيانها ويهدمون من بنيتها ، حتى لقد طغى على العربية في ذلك العصر مدّ من العجمة ، لرأينا أن سلفنا الصالح لم يجد من سلاح يقاوم به ذلك الطغيان إلا تلك القواعد التي سور بها اللغة واتخذها حصناً لها حصيناً . نضرب بذلك مثلاً من القواعد التي وضعوها في القياس والسمع ، إذ قالوا بأن الكثرة حد القياس والقلة حد السماع . فما اعتبر قياسياً كان لك أن تصوغ على منواله ، وما اعتبر سماعياً فلك أن تستعمل ما ورد منه عن العرب من غير أن تقيس عليه . هذا التل وحده يظهرنا على جلال الحكمة التي لجأ اليها قدمائنا . فانهم بها حفظوا هيكل اللغة كاملاً . فكانت تلك القواعد في لغة العرب بمثابة المنطق في الفلسفة ، كلاهما قانون ثابت : ذاك للسان ، وهذا للعقل .

وبالرغم مما في هذا المذهب من صلابة وبعد عن المرونة ، فقد قبله المتكلمون بلغة العرب في العصور الأولى . ذلك بأنهم قد شعروا شعوراً باطنياً بأنه السياج الذي يحول بين العربية والعجمة التي كادت تغزو لغة العرب وتذهب بريحها . وإذن يكون المذهب القديم في اللغة ضرورة اقتضتها حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية قامت في تلك الأزمان . هذا فضلاً عن أن لغة العرب وهذه حدودها قد وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت اذ ذاك ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها ، فلم يشعر أهل اللغة بحاجة الى التوسع في أقيسها توسعاً يلائم حاجات قامت في عصرهم قياماً فعلياً . الى جانب هذا المذهب الصلب الشديد قام مذهب آخر يوسع من أقيسة اللغة جهد ما يصل تصورك .

مذهب يقول بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فاذا سمعنا من العرب قولهم خِنُوسٌ للأسد ، وقسنا عليه أسماء لحيوانات تعيش في الأشجار وقلنا لواحدٍها شَجُورٌ فذلك من كلام العرب . واذا سمعنا من العرب لفظة كوسج وقلنا شَوْجَرٌ فذلك أيضاً من كلام العرب . غير أن انتشار العجمة في ذلك العهد وكثرة الموالى والدخلاء جعل الغلبة للمذهب الاول . ذلك بأن العربي كان يعتز بلغته اعترازه بقوميته ، فلجأ الى الآمن من السبل احتفاظاً بترائه اللغوي أن يستهدف لأذواق لم تصقلها السليقة العربية .

كلا المذهبين على جلالهما وعظيم ما قدما للغة القرآن من خدمات لم يدرك أهلها ما تدرك اليوم من تصور اللغة . فاللغة في تصورنا الحديث جسم حي ، يولد ثم ينمو ثم يتوالد ، واللغة حي يموت كما تموت جميع الاحياء ،

إذا امتنع عليه الماء وتعذر التوالد . ولغة كل خصائص الأحياء مع قياس
الفارق . فإذا لم يكن في اللغة القدرة على التغذى بعناصر جديدة ، وتمثيل
تلك العناصر تمثيلاً يحولها جزءاً من أصل بنيتها ، فانت اللغة تموت كما
يموت الحي إذا فقد القدرة على هذه الأشياء .

أصنف إلى ذلك أن اللغة تنمو بنماء الحضارة وتقوى بقوتها . فإذا
انحدرت الحضارة في مهاوي الفساد انحدرت معها اللغة إلى الجمود
والاستحجار . وهناك تجري عجلة الزمان بغيرها من اللغات التي يتكلمها
المتحضرون ويستعملونها في أغراضهم الثقافية ، فإذا مرَّ الزمان وكرَّرت
القرون على لغة جمدت ، تعذر عليها أن تلاحق غيرها من اللغات في مضمار
الرقى والحياة العملية ، مالم تنشط نشاطاً كبيراً في استخدام مواردها
وأصولها ونواحي المرونة فيها لتستكمل عدتها وتستوفي شروط البقاء
بقدرتها على التعبير عن مختلف الأغراض التي رُصدت اللغات لتحقيقها .
هذا الذي نعلم الآن من أمر اللغة يحملنا على أن ننبت المذهب الأول ،
مذهب الصلابة والتقيّد ، ويرميننا في أحضان المذهب الثاني ، مذهب
التوسع والسَّماحة ، وعلى قدر ما شعر أو ائلنا من حاجة إلى المذهب الأول
ليدروا به عن اللغة مدَّ العجمة ، نشعر بحاجة إلى المذهب الثاني لننفض
عن اللغة العربية الحنيفة ثوب البلى الذي لا يسها مع كر السنين وتلاحق
الأعوام ، ولتقابل به حاجات هذا العصر ومطلوباته العلمية والفنية
والادبية .

ان الاستاذ العلايلي بكتابه هذا أول من يرسل الصيحة الاولى لقيام

مذهب التوسع في اللغة . واذا أردت أن تعرف ماهية هذا الكتاب فاعرف أنه تحقيق عملي قويم لمذهب الامام ابن جني القائل بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

وإني لأرجو أن يكون صدور هذا الكتاب قائمة عصر جديد . عصر يقتنع فيه القائلون بقصور اللغة العربية عن تأدية الأغراض العلمية والفنية ، بأنها أوسع اللغات قاطبة وأقدرها على التعبير بذات مواردها ، وإن فيها من عناصر الحياة ما سوف يجعلها لغة العلم والفن في الشرق القريب كله ، وإن كلام شاعرنا حافظ بلسان الشرق :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في ما قينا
كنا قلادة هذا الدهر فانقرطت وفي عين الملا كنا رياحينا
كانت منازلنا بالعز شامخة لا تطلع الشمس الا من مغاينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزراً ونخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا مال ولا نسب ولا صديق ولا خل يواسينا
إنما هو كلام أثرى نستدل به على حال غبر ، وعهد غبر ، وإن لنا من قوميتنا ولغتنا وجامعتنا العربية لقوة سوف تضعنا على هام الأمم عما قريب م

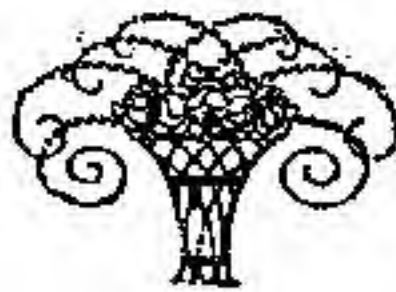
اسماعيل طاهر

سكرتير المجمع الملكي المصري للثقافة العلمية

فهرس

صفحة	صفحة
	الاهداء ٠٠٠
	شكر ٠٠٠
	مقدمة للاستاذ الكبير اسماعيل مظهر . . . ٠٠٠
	دياجة ٢
	تصدير ٣
	القسم الأول :
١٢٢ عرض ومقابلة	١٥ اللغة غاية لا وسيلة
١٢٥ الدور الأول ؛ الانسان الفطري	٢٥ العربية واللغات
١٢٦ لغة الانسان الفطري	٣٩ الخط
١٣١ الدور الثاني	٣٩ الاملاء
١٣٧ الدور الثالث	٤٢ البيان
١٣٩ الحلقة الأولى	٤٥ المعاني والبديع والنحو والصرف
١٤٠ الحلقة الثانية	٤٦ العروض أيضاً
١٤٢ الحلقة الثالثة	٥٣ داء العربية ودواؤها
١٤٦ الحلقة الرابعة	٩٦ المجمع ضرورة
١٥٢ الحلقة الخامسة	١٠٣ المجمع والمصطلحات العلمية
١٥٦ التطور في اللهجة	١٠٦ اقتراح ومناسبة
١٦٠ العهد الصوتي ؛ الدور الاول	١٠٧ المعجم كيف نضمه ؟
١٦٤ الدور الثاني	١١٥ دراسة التخصص في اللغة والأدب
١٦٥ الدور الثالث	
١٧٤ العهد اللفظي ؛ الدور الاول	
١٧٥ الدور الثاني	
١٧٨ تأريخ النظرية	
١٧٩ تطور اللغة	

صفحة	صفحة
٢٢٤	١٩١
الرد إلى الأصل	نعليق واستنتاج
٢٢٤	
الضد	
٢٢٦	
الترادف	
٢٢٧	
تداخل اللغات	
٢٢٩	
الرابعي	
٢٣٢	
الرابعي المثلي أو الجملي	
٢٣٤	
الرابعي غير الأصم	
٢٣٦	
النحت	
٢٣٩	
الابدال الاشتقائي أو المعاقبة	
٢٤٢	
التعدي واللزوم	
٢٤٢	
الافعال « ت »	
٢٤٢	
التعريب « ت »	
٢٤٣	
الاعراب « ت »	
٢٤٣	
التذكير والتأنيث « ت »	
٢٤٨	
نمذجات من المعجم الجديد	
	١٩٧
	السماح أو ليس في كلام العرب
	١٩٩
	الثلاثي
	٢٠٥
	تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير
	٢٠٩
	القلب أو قاعدة الدوائر
	٢١١
	مناقشات
	٢١٤
	القلب المعنوي
	٢١٥
	الاعلال
	٢١٧
	الاتباع
	٢٢١
	المزاوجة
	٢٢٢
	التخفيف بالاسكان
	٢٢٢
	فعلية المصدر



مَقَالَة

لدرس لغة العرب

و كيف نفع المعجم الجديد

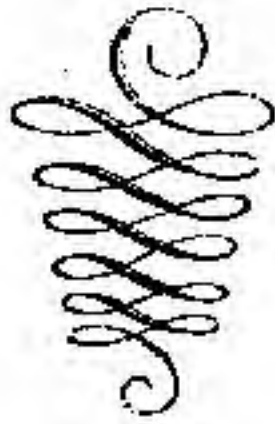
تأليف
عبد الله العلايلي

عُنت بنشره إدارة
المطبعة العصرية
بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري رقم ٦ ، بمصر

ديباجة

هي ، أي المقدمة ، تبندىء الدرس على فروع العربية مرة ثانية فتناول النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة وتصل من وراء دراسة موزونة الى إقرار كل شىء في موضعه وعلى اعتباره وهي من وجه آخر حكاية تطور العربية في كل أشيائها . ولا يهولك أنها جاءت كما يكون المخلوق الجديد بكل مميزاته قرب غير معروف صار لا يعرف سواه وشعار كل الدرس الذي انشرنا به على العربية كلمة وردت في التصدير :

(ليس محافظة التقليد مع الخطأ ، وليس خروجاً التصحيح الذي يحقق المعرفة)
وأنت أيضاً في خلال ذلك بكلام على المجامع ودور التخصص وتناولت الخط العربي والاملاء وسائر شكلية اللغة بمحاول هي أقرب من كل ما اقترح حتى اليوم .



تصدير

تبتدى. محاولتى فى هذا الذى اقدمه من مجهود بعمل لغوى بحث . كان القصد منه اولاً ان يكون عملاً قاموسياً فقط . يقوم برم النشر الذى تركه سقعة فى وجه اللغة مد التطور العريض . وليس كذلك فحسب . بل زاد حتى ترك من العربية شيئاً منحللاً متهاقناً لا تستقيم معه على تعبير . ولا تنفى بتحديد تلم على وجه علمى دقيق . وضرورى ان تكون على هذا التخلف لانا نقصد مجتهدين ان نلز بلغة جلية تعبر عن اهواء وميول وافكار تبعد جداً اشد البعد عنا . نحن اليوم فى كل اولئك جميعاً .

وهذا منطقتى ومعقول لان اللغات التى هى بدون ادنى ريب وليدة البيئات المحدودة بالمستوى العقلى والذوقى معاً . لا تنهض الا بالتعبير عن وسطها الذى انبرعت عنه فى حدود آفاقه على نسبتها من الاتساع والضيق .

والحق لولا مرونة العربية الطبيعية . ولولا ما افاض القرآن عليها من معنوية قوية لوقفت فجأة ولتخلفت دفعة واحدة بدون هذا التريث البطيء . على ان هناك سبباً آخر هو كل السبب فى واقع النظر وفى الواقع الصحيح ايضاً واعنى به المدرسة اللغوية التى قامت كذا محافظة على نحو تقليدى محض ظهرت فائدته فى اول العهد الذى كان الغرض منه الجمع والرواية لياتى على اثره الدرس والاجتهاد عليه . لا ان يظل كذلك رواية وتقليداً فى شكل الحركة ولون الصيغة على موردتهما من المادة .

ولقد شعر بضعف هذا الاساس الذى يقوم عليه درس العربية . متأخرو اعلام هذه المدرسة فاتجهوا اتجاهاً آخر فيه نوع من تحلل . ولكن لا يبلغ الغرض المطلوب . واذا كان لنا ان نصفه فقد نصفه بانه شكلى صرف خذ مثلاً ابا على الفارسي فى كتاب القياس . وابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة والخطاريات . وسائر كتبه التى انكشف فيها عن اراء لها قيمتها ولها سمو ملحظها العبقري . تلبس الاثر المدرسى متجسماً على نحو لا يسمح لهم بالاستفادة من الاتجاه العصري الجديد الذى اخذوا فيه وخطأ هذا الاساس التعليمى من وجوه .

(١) انه طريقة استدلالية ضعيفة جداً ان لم نقل عليها بانها تهافت محض وخلف وذلك لانا نوع من الاستقراء يعتمد الشاهد والشاهدين ليصبح عليهما ويقرر منهما مذاهب متشعبة . وعنه نشأ تزايد الاقوال فى المسألة الواحدة ودعوى الشذوذ كثيراً عندما يعثر على الشاهد لا يتمشى مع مقتضى النظر . واذا اصح لهم الاستقراء احياناً فانهم يفقدون المقارنة دائماً .

(٢) انه حمل على الترويج للزيف فانا لانكاد نطمئن الى كثرة من الشواهد التي تنصب في محال الخلاف . ونحن على حق في عدم الاطمئنان . فان نظرة عابرة تأتي بها على مثل خزانة الادب للبغدادى وشواهد العيني . تجعلك تنطوى على حذر غير قليل . وتفوت الحصر الطرائف التي تذكرها كتب النوارد عن اختلاق اللغوى بسبيل تأييد وجهة نظره .

(٣) انه افسح المجال للعرب والتعريب بصورة مطلقة .

(٤) انه دعى الى الوضع الخاطئ الذي تولاه الفنى والعالم . فكل الاوضاع التي عرفناها في العلوم والصنائع والحكومة لا يمكن ان تنسب الى الشعبة اللغوية بحال . فهي جهد من جهد العالم والفنى والحكومى . وزاد بهم التخرج الى حد انهم لم يذكروها في معاجمهم . وانما تولوها بالحصر ارباب العلوم انفسهم . خذ الكليات والتعريفات ودستور العلماء واصطلاحات المتصوفة . ومن قبلها الديوان للاسعد بن عماتى وصبح الاعشى وهكذا مما تسقط على الشاهد . بان اللغويين لم يكن هذا من عملهم ولا كانوا راضين عنه ايضاً .

وكما قلت في سالفه المقال لم يكن من قصدى في اول الامران اتجاوز العمل القاموسى الى هذا الاخذ العريض . الذى يتناول العربية فيما استقرت عليه من القواعد ومناقشة هذه القواعد ان كانت صحيحة ام لا . ثم مجاوزة المناقشة الى شئ غير قليل من التصحيح فيما احسبه كذلك .

وانما كان منى هذا التزيد وتلك المجاوزة لانه لن يتأتى لى ما اقصده على وجهه من الدقة بدون ان آخذ فيما اخذت به . وهى دراسة في غير ما تكون من قصدى او دون القصد جاءت في مناسبتها من الحاجة والتساؤل .

والشئ الوحيد الذى ترمى اليه مجموعة ما اتينا به من امرها . ان ما ثقفناه ولا نزال نتقنه اصبح في حاجة كبرى الى معاودة الدرس مرة اخرى . وتجديد تدوينه ثانية على وجه يكون اقرب مجازاً . واكبر حظاً من العقلية . واوفر نصيباً من الصدق . ولربما كان هذا العمل متيسراً لنا نحن اليوم . لانا قد اصبحتنا وبين ايدينا اشياء كثيرة مما تبلغ بنا الى ما نريد ونفضى بنا الى الغاية من اقرب طريق . وبالاخص حينما تقدم بين يدي بحثنا الجديد نتيجة ما انتهوا اليه وهى نتيجة مهما قلنا فيها ومهما احصينا من اوهامها فلا يسعنا الا ان نعتف بان فيها كثيراً من الواقع ونقف من مجموعها موقف التقدير

ويسرقى في هذا الدرس الذى نبذوه ان لانكون شخصيين في نتائجه ولو على مقدار فيجمل فيها سيويه والكسائى مرة اخرى . بل علينا ان نعطي نتيجة جماعية او اجتماعية تفنى فيها الفردية تماماً وتذوب . هذه الفردية التي كانت وتكون على الدوام مبعثاً للاتصار العصبي . على ان مما تخشى بوارده الاختلاف القطرى الذى نرى اثره في البيان مستفحلاين

ما يريد جماعة ان ينعته بنعت اقليمي . فيكون منه ادب مصري وسوري وعراقي وهكذا وهو اختلاف لا يرهب امره اذا ظل في محيط البيان غير متجاوز له . بل على العكس ربما كان مفيداً جداً اذ يحمل على المنافسة التي توفر الانتاج وتقرى على التجديد من حواشيه . ولكنه وييل الاثر اذا انتقل الى المحيط اللغوي البحث على مقدار ما هو في نظري صالح في حدود البيان . واظنه غير منتقل اذا اخذنا باعداد متن اللغة اعداداً صحيحاً وافياً بحيث لا يستضيق عما يطلب له ويستخدم فيه . بل من شروط ما به تأمن شعوب هذا الاختلاف . ان يكون متن اللغة مادة حقيقية للفكرة لا اداة فقط تستخدم للكشف عنها وقد يرى غريباً ان تكون اللغة كذلك مادة تعين على التفكير . وهو حقيقة غريب في بادى النظر . ولكن من يعاطى شأن البيان سواء في التراث والنظم يستطيع ان يرى هذا شيئاً واقعاً وحقيقياً للغاية

فكثير ما يكون خيال الفكرة هزلاً ليس على شيء من الابداع العبقري . وليس على شيء من الافتنان الناقد . ولكن لا تكاد تناوله الالفاظ حتى تبعته بعثاً آخر . وتخلقه خلقاً اوفى . فيه قوة ونفوذ ودقة وخولة . بل كثير ما تغير في مذهب التفكير عما يجعلنا ندين الفكر الحكيم والصور العبقريه في جوانبها الخاصة للالفاظ واللغة . وعليه فغالب من براعة الخيال يرجع الى اللغة التي افرغت عليه ما افرغت وزودته بكل ما نسميه بسمو الفكرة حيث تطالع الانسان في دهشة باللغة ومطرقة ايضاً واقرب شاهد اسوقه لهذا قول ابي العتاهية في ارجوزته المشهورة :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

قف عند تعبيره الخلاب (روائح الجنة) الذي تسقط منه على سري من المعنى لانظن ابداً بان صورته كانت كذلك على تمامها وبكاملها في خيال ابي العتاهية وانما هو من فيوضات الالفاظ وحدها وهو سر اللغة وسحر البيان . واليك ما يقوله ابن بابك ايضاً

« الاليت شعري هل ايتن ليلة لقي بين اقراط المها والمحابس »

فان من يتنوق مقدار ما افاض تعبيره (لقي) على جمال الصورة التي يريد ان يظهرنا عليها حيث رسم لنا في خط شديد الوضوح ما كانت عليه المقامة من غمرة في مستوى الشعور الطافح على سداجة غير متكلفة . وسنسوق كثيراً من هذا في فصل (اللغة غاية لا وسيلة) .

واظنني قد انتهيت الى ما من قصدي ان انتهى اليه . وان اقرره في صراحة ولقد تقدمت ببعض منه . وهو ان الضرورة اصبحت تدعو الى تغيير منهاج دراستنا اللغوية وطريقة قياسها في الوضع والاشتقاق وما يتبعه من اشكال الاستعمال . ولذا اثرناها مناقشة ضافية

الذيول ليس من غرضنا فيها الا ان تكون بعثرة لفكرة المحافظة على التراث الاجتهادى الذى لايزيد عن انه اراء مرسله افضى بها العالم اللغوى واقتنع بها كما اقتنع من قبله الطبيعى واللاهوتى ولكن ما يقتنع به شخص احياناً يجد كثيرين لا يقتنعون به ولا يكاد يطمئنون اليه او لا يواتيهم هذا الاطمئنان . على شدة تعرفهم الى تلك الآراء ومبالغة تعلمهم فى ان يقتنعوا بها فنازعوها وخطأوها وازروا عليها كثيراً . وتهانفوا منها اشد ما يتعاطى التهاقف ورأوا فى انفسهم ما يعتدون به على امثال ابن جنى وهذه الطبقة . وهذا ما يحكيه (١) شيخ الادباء فى القرن الخامس رشيد الدين الوطواط عن فخر خوارزم الزمخشري فى مراجعة كانت بينهما والعجب ان ما نأخذ انفسنا به من تقييم اقلب خشية . واحترام اقلب عبادة . لم يكن حتى متأخرة اللغويين يأخذون انفسهم على نسق من مثل ما تفرض على انفسنا فرضاً غنياً ونوجهه ايجاباً قاسياً . لانسبيح معه ولو مثالة من التنكب والاخذ فى وجهة اخرى . بينما نجد من متأخرة اللغويين الذين اصبحت اللغة وعلومها عندهم دعائم ثابتة لا مساغ للتردد فيها من مثل الدعامين والشمى والرضى والجار بردى . كيف يجوزون بسباح وفى غير دهشة لانفسهم الاجتهاد والتنقيح . وهذا العلامة محى الدين الكافيجى النحوى شيخ السيوطى يفرد برأى اجتهادى حكاة (يس) فى حاشيته على التصريح وحاصله ان توين (اذن) فى مثل (من فعل كذا اذن محمد) توين عوض والكلام فى قوة قولك (من فعل كذا اذا فعله محمد) ويرد رأى الجماعة النحوية السابقة . وهو هو الذى نراه اشد ما يكون محافظة فى رسالته (وجوه اعراب جاء زيد) التى يذكرها السيوطى تليذه فى بغية الوعاة ويزعم انها تقع فى رقم السبعين وجهاً . واليك الراعى الاندلسى صاحب شرح الاجرومية والالقية . فهو يظهرنا فيهما على اجتهادات لم يابه لكونها جاءت مخالفة لرأى النحويين بما يجعلنا ندرك كيف كانوا يفهمون ان التنقيح شئ يوجب الاحترام ويفرضه التمسك والمحافظة . وليس محافظة التقليد مع الخطا والوهم وليس خروجاً عن التنقيح الذى يدل على وجهه ويحقق المعرفة .

ومهما يكن من شئ فقد قررت ما اراه معقول العرب فى اللغة من وجه . ومقبل عثار العربية بحيث يعدها للمستقبل الممدود من وجه آخر . وهى اراء لا اقول بان كلها حق وصدق وان كنت لا اشك فى انها تقارب الواقع كثيراً . واعتقد بان عملية الوضع التى نأخذ غير الطريق الذى نقرر معالمة ونعين حدوده . ليست فى الواقع الا مداورة للغة لا تخدعها ولا تحفظ وجودها فى شئ .

ولقد آن لنا ان نأخذ بمذهب الجد والا وضعتا العربية فى موضع قلق . لا يتسع لها ولا تقوم فيه . ونحن اذا كنا نجد من مثقفة الجيل . تريباً وانتظاراً للتأجيل التى وضعتها لهم

الجامع. فان ناشئة الجيل سيلقون بكل ذلك حيث لا يركنون اليه ولا يابهن له. وسيقدمون على مقدم خطر جداً يعرض الحرية للتلاشي السريع او للانقلاب المطلق. الذي يجعل منها لغتين لغة القرآن. ولغة تبندى في حدود القرن العشرين. تتفاوت كلتاهما تفاوتاً يكون لا اقل في اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية. ويكونون من بعد لم يفعلوا هذا الا عن حسن نية وطهارة ضمير واخلاص للغة مع ذلك وخدمة للفكرة العامة. وتبعة كل هذا انما تقع على كاهل اللغويين وحدهم. الذين وقفوا موقفاً سليماً لا يحيد عما تواضعه سالفو اللغويين. من معقول لم يكن في اوله الا وهماً خاطئاً. ونتيجة درس غير مستقيم ولا محقق. كما كثير ما نزرع تحت اليوم من تقاليد وعادات. لم تكن في الواقع الماضي باكثر من مغالط صيرها التاريخ عقائد. ولا تحقر عمل التاريخ في تأسيس التقاليد وتأكيدها وتوجيه النفوس وخلقها خلقاً مطلقاً وما اصدق ما قيل (التاريخ مصدر كل وجدان) وكذلك تجد. اذا اخذت في تقدير اثره وتنزيله من الوجهة النفسية. والتحرر من الانفعال بالتاريخ (كما يقولون) ميزة العبقري وظاهرة النابغ... وبالجملة فان المجموعة اللغوية التي تلقنها جاهدين وندرسها مطمئنين ونسير على ازاء منها شديد. ليست الا كتلتها بمجموعة تقاليد فقط وخواطر أو خاطرات. يقدرها اللغوي في غير بعد عن حدود تفكيره وفي غير تناء عن شكل ثقافته. ويؤمن بها ويبشر لها كحقيقة لا ينبغي الريب فيها او الشك. ولقد يكون اكثر امانة لو بشر بها على انها افكار مجردة تعنيه بالذات اكثر مما تعني اللغة. ويكون من بعد قد ادى الواجب العلى في غير مكابرة لغوب. واما ان يعالين بهذا الشكل الذي يصورها وكانها ملحظ العربي. ومذهبه الوضعي وينحلها شواهد ما اراد كثرة فهذا ما نأخذهم به في غير لين.

والمضحك في استشهادهم احياناً تنازع الشاهد الواحد لمذهبين ونصبه دليلاً على جمع الرأيين من نحو قول الشاعر : كأن ظيئة تعطو الى وراق السلم .

وهين انى لا اجد منصفاً يتقن وسائل الدرس. يرتاب في ان تقديرات اللغويين التي ندعوها اليوم علم اللغة. لا تتجاوز كونها من هذا النوع الذي نسميه (الفكرة الشخصية) فهي تعبر عن ملحظ مقدرها أكثر مما تعبر عن ملحظ العرب انفسهم. وعليه فمن العبث البارد جداً ان نقف عند حدود ما سمعوه قياساً ومما عاينوا الذي ستجد في فصل (السماع) من المقدمة ان ابنه لم يكن الا على كثرة الورود وقتله. وان نعجب من بعد فلقولهم على لسان ابى عمرو بن العلاء في عبارة (ما انتهى اليكم عما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لا انتهى اليكم علم وشعر كثير) وفي عبارة (انما نحن بالاضافة الى من قبلنا كبقل في اصل رقل) فاي معنى اذن لقلة الورود الا الضياع وعدم التحمل... ومن هنا نجد للجماعة تفاوتاً منطقياً يقضى بالتناقض التام. على اتنايين هذا وذاك. نستطيع ان تهتمهم بالتهجم على العربية تهجماً لا يجيزه هذا الورع الذي يأخذون الناس به واعني به جمع لغات

الجزيرة وبعبارة أدق لهجات الجزيرة. والمداخلة بينها مداخلة مطلقة في غير تمييز ولا تنبيه والاستنتاج منها هكذا مجتمعة قواعد اللغة. وبينها ما نعلم من اختلاف شهدوا به بصورة مؤكدة. وإن كنت ستجد أنا لا أقر هذا الاختلاف على معنهم به وإنما أقول بأنه تطور فقط يأخذ سنة ارتقائية. ولكنه منا أخذ بمنطق الجماعة على سبيل التناول لبيان مقدار التناقض على مواطن الرأي. وربما تأتي لنا تحليل هذا الموقف المتفاوت بأسباب أهمها:

عدم تفاهم المصريين البصرة والكوفة. واتخاذ هذا الاختلاف صبغة تعصية صرفة فتشددوا بمنطق السماع وعدم الحفاظ أخذاً على منهج الخصوم. وليس معنى هذا أن السماع كان من أوله كذلك. ولكن أريد أن أقول بأن هذا الاتزاع الشديد فيه هو من جرى التعصب القائم والتعامل البالغ.

وهذا مأخذ شعروا به ولكن سموه تنقيحاً واليك ما يحكونه في هذا الصدد قالوا (١)

[ينظم التنقيح للغة العربية بأربعة أدوار :-

(١) كان يعمل يعرب بن قحطان (٢) كان يعمل اسماعيل لما اصهر الى جرم
(٣) كان يعمل قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام (٤) كان يعمل علماء المصريين اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب لم تحتك بغيرها الخ]

في هذا تنظم ادوار التنقيح عندهم وما احرانا ان نأخذ بسبيل لا يخرج على العربية في اساسها ابداً ويكون من بعد اقل ابتداعاً من اخذهم السابق ونسميه تنقيحاً خامساً وسترى أنه ينحصر عند رأبي :

(١) في حذف السماع من اللغة الاعلى المعنى الذي اقررنه في بحث (السماع) من المقدمة .

(٢) في اباحة صوغ موازين الثلاثي برمتها من اى ثلاثي وكذلك موازين الرباعي (٣) في تخصيص الموازين مفردة او مجموعة بدلات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد (ففعال) يخص بما يدل على الزائدة (auto) في الاجنية و (فعالية) يخص بما يلاقي في الاجنية (ism) وبذلك تسهل مهمة الوضع ويكون ايضاً اكثر عليه .

(٤) في توحيد معاني المشتقات جميعها للمادة . على شكل ان تتوسل بورود المرجاس من رجس بمعنى مقياس الماء الى ان نشق من رجس بمعنى قياس الماء . وليس في هذا خروج على مذهب الوضع العربي . فان العرب قالوا (رجس الماء بالمرجاس) قاسه وقدره وعليه فقد اكتسبت مادة الاصل من معنى الفرع بالتخصيص . واليك مثلاً آخر من

(١) راجع خطبة حنفي تاسف ص ٧٦ من مجموعة خطب نادى دار العلوم

العربية قالوا دقق الماء بمعنى صب أو انصب ثم قالوا ناقة دقق اي سريعة ثم اشتقوا من دقق بمعنى أسرع فقالوا مشى الدققى الذى هو ليس من . معنى الاصل وانما معناه بالتأصيل عن الفرع بلا ريب . وايضاً قالوا تهز هزاليه قلبي ارتاح للسرور . وامتز عرش الرحمن لموت سعد اي ارتاح بروحه . الذى يرينا تعاوناً بين فروع المادة على اشد قارعة من الصيغة ويظهر انه قانون عام فى اللغات ففى الانجليزية نرى ايضاً نوعاً من هذا التعاون والتأثر الشديد قالوا (plain) اي بسيط الذى قالوا منه (plainness) اي ببساطة بتأثير هذه اللاحقة التى هى بمنزلة الصيغة فى العربية وانظر كيف تأثرت المادة بمعنى الفرع بقطع النظر حينما قالوا (plainly) اي ببساطة الذى يظهر فيه ان نفس المادة الجامدة (plain) اكتسبت معنى الفرع الذى هو (plainness) . وفى الفرنسية قالوا (automobile) بمعنى السيارة ثم قالوا (autocanon) بمعنى المدفع على سيارة وانظر كيف تأثرت (auto) بمعنى الفرع (automobile) واكتسبت معناه بعض الشيء . والا فهى فى الاصل لاتدل الا على الواحد والنفس . ولو اردنا ان نفهم (autocanon) على نحو لغوى لكان معناه الحاصل . المدفع المنطلق وحده او بنفسه .

هذا أم ما فى الدعوة الجديدة أو التنقيح الجديد من أهداف ، ويحى . فى الدرجة الثانية من الاعتبار .

(١) الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية التى سترها مبسطة فى المقدمة بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت .

(٢) الاستفادة من ستة الرباعى وما اليه بزيادة الحرف على الآخر بعد تحرير معانى الحروف الهجائية

(٣) المعاقبة أو الابدال .

وما بقى مما جاء فى المقدمة فلواحق فى الواقع لا يؤثر أبداً عدم اعتمادها كالمجاز والتضمنين . والفك فى محل الادغام لدلالة . والتصحيح مع موجب الاعلال لغرض وهكذا مما بسطناه فى المقدمة

والغرض منه انبساط رقعة الوضع أمام الواضع الجديد بحيث لا يصادفه عنا . ملحف ولا مجاللة جديدة ولا عت مرهق .

ولشد ما يحفظنى اعتماد لغويتنا اليوم لوحى وجداننا تولده التاريخ عندهم على حدوده من المحافظة . وهم يشهدون من مطالب العصر على اللغة ما كان واجبا أن يجعلهم يغيرون من هذا الاعتماد . وينتحنون له وجهاً آخر يكون أكثر ملائمة للعربية . وأكثر اتهاجاً فيها واثجاجاً عليها . ورغم اننا حيل طغيان على العربية تكاد لا تثبت له نجد من اللغويين من يجهد ناصباً بترقيع أمزاق الماضى . على أى وجه وان كان لا يستقيم . وأغرب ما بلغنى أن

استاذاً يوسم بالاعتقاد في النحو هنا في مصر . لم أعد أذكر اسمه ويظهر أنه كذلك باقعة نحوية أو نحوى عرض للكلام على (لو) في مصنف يقع في ثلاثة مجلدات أو أجزاء لا أدري أسماء (ترويق الجوى في تحقيق الكلام على لو) ثروة عظيمة من الكلام في كلمة . وكتاب في أجزاء تزيد على حروفها : هو يستطيع أن يخرج ثلاثة أجزاء في الكلام على (لو) ولا يستطيع ينهى حيرتنا في الآيات المثلثة الأعراب . أى التى تجوز بالوجوه الثلاثة الرفع والجرو والنصب . وهو فن ابتدأه بالتأليف أحد نحائنا هناك في لبنان وقد أطلعنى عليه يوماً كنت فيه نجياً له . فذهلت حقاً من كثرة ما سمعنى ويسمعنى . حتى انتهى إلى قول الشاعر (تحيرت والرحمن لا شك في أمرى) وراح يسرد على وجوه أعرابها فقلت بحسبك رحماك فقد تحيرت والرحمن على الوجوه الثلاثة . فكانت ضحكة عرضة طويلة . وكان معناها في نفسى على غير معناها في نفسه . وما درى هؤلاء أنهم وهم يخدمون اللغة على ما يظنون ينحرونها نحرأ جهيزاً . والحق لو كانت مجلدات (لو) هذه وحياً لكفرنا به وما اطمئنا إلى مغالطاته . وهل يكثر الكلام هذه الكثرة في حرف بسيط الوضع والمعنى . الا وان يكون مغالطات لنحويين . كان لديهم من الفراغ ما يهين لهم أن يقولوا كذلك بدون حساب والوقع أنه الفراغ فقط . فهو الذى جعل (المقرئ الزيدى) يخرج كتاب (عنوان الشرف) الذى وضعه على أنه في الفقه ولكن يستخرج منه النحو والعروض والقافية والتاريخ بتحليل حرفى عجيب . يملك على التقدير الممزوج والا كبار الآسى . وهو شئ . وضعه الفراغ لنفسه فأتى على يقين ان من يريد هذه العلوم لن يأخذها منه أبداً . وانما يقف عنده للفراغ واشباع نهمه ومن ثم يلتقى فيه المورد على المصدر

وأقل ما في هذا النهج الخاطيء . ان لا يتأتى لزلقنا العربية بأزاء قريب من اللغات الحية . الا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة . ونحن وان كنا لا تنكر كون الاشتراك قانوناً لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافتها . ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً .

هذه الصورة التى يكون التعريب أقوم منها سيلاً . حين يعتاص على أحدنا التعبير عن تمام أفكاره الا بضعفى موضوعه قرائن . لتكشف عن المعنى المراد في مشترك الألفاظ . عدا عن ان العمل اللغوى يظل بطاء جداً . ومتخلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين الا مولدات القرن الثامن عشر . وهكذا على نسبة لو كانت لا يتسنى لها أن تخدم العربية فى شئ . وشاهد هذا أنك لو ذهبت تحصى ما استطاع كل لغوى عمله على نبالة جميعهم . فى مدة طويلة لو جدتها تقع فى رقم دون المائة ، وهو ما يدهش بحق . على أن أحدهم يتمدح بأنه انكشف عن ميحاد هذا الرقم . فهذا العلامة المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني (١) يفخر فى مناظرته مع الشيخ عبد القادر المغربي . بأنه أول من أستعمل كلمة (عقيلة) لتقابل كلمة (مدام) إلى كلمات أخرى ، واذا أردت أن تقف على احصاء واف تقريباً عن ثروة ما

انتهى به الوضع الجديد فارجم (١) إلى مقال للاستاذ المعلوف . وفيه تشهد مقدار ما يعاني اللغوي . وما يصادف من توعير بطل . عمله إلى حد كبير . على أن اللغويين اليوم رغم ما يأخذون أنفسهم به من محافظة . بدأوا يشعرون أو اضطروا إلى الشعور بخطورة شأنها وانهم إذا راموا خدمة اللغة فلن تكون عند غاية هذه المحافظة على شكلها . ولكبير قمع على أثر للتساهل (٢) حتى عند المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني الذي يمكننا اعتباره رمز المحافظة اللاحقة في غير تنكب .

وهناك في الساحل المعروف إلى مصر كثيراً (بيروت) يوجد لغويان بكل المعنى ومع انهما شبا وشابا على كونها من سدنة اللغة فهما يفهماها على غير ما يعهد باللغويين فهما أما أولهما (٣) وهو الذي كان يخيل إلى فيه صورة كاملة عن (الخاتمي) في فلسفته على اللغة . فكنت أعجب لاجتهاداته التي لا تقيد ولا تعبد . وإنما يتناول علوم اللغة على أنها لم تستوف غايتها بعد . وهي فيما يظهر وكأنها وافية بالعرض على كثير من الخطأ . وربما انكشف عن شيء منها في رسالته التي وضعها للرد على المأسوف عليه الشيخ ابراهيم البازجي ولقد استوقفني رأيه في فهم الغلط الذي يدعو إليه الارتجال حينما تناول ما أخذت به (زهون الغرناطية) وهو في غايته يريد أن يظهرنا على أن هذا الغلط كثيراً ما كان في العربية الأولى سرّاً من أسرار تزيدها في الجوع والمصادر . وإلى جانب هذا لا يشيح عن الاجتهادات الجديدة بل يأبه لها ويهتم بها . ويرى العربية ليست في كثير مما قيل . وربما كانت في كثير مما يقال .

وأما ثانيهما (٤) فله آراء تحدث عنها في مناسبات كثيرة . بواسطة الصحف والكتب من أهمها ما سنتكلم عليه في (بحث اللهجة) وأيضاً انكشف عن شيء منها في كتبه النحوية وفي كتاب (نظرات في اللغة والأدب) حتى خيل إلى في هذا الأخير . أنهم أنصار الغلط الشائع ولكن بالتماسات قاعدية . فهو من هذه الناحية قد يكون لنا رأى آخر لا يستوى مع المقصود من الكتاب . ولكن على كل حال كأنهما يعطينانا بعملهما ان الأدب إذا وقعت منه مجاوزات شكلية . فلا ضير ان تنسج لها اللغة وتحتويها المعاجم . باعتبارها أصبحت

(١) منشور في مجلة العرفان ج ٦ مجلد ٢٧ سنة ١٣٥٦

(٢) راجع كتاب مناظرة لغوية أدبية .

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن سلام لغوي قديم أدرك عهد اللغة الزاهر في بيروت وكان من عيونهم وهو إلى هذا يتمتع بخواطر عبقرية بكل المعنى وله من الكتب دفع الاوهام في الرد على البازجي وشرح وتصحيح ديوان أبي تمام . والمثبات استدرك على الهي في والاذواء اتسع فيه لاكثر مما استوعبه ابن الاثير في المصمم وله ترجمة واسعة في كتابنا (طبقات علماء وأدباء بيروت) .

(٤) هو الشيخ مصطفى الغلاييني لغوي أدرك العهد المذكور وهو معروف بتواليفه الكثيرة ومقالاته العديدة وله ترجمة واسعة في كتابنا المذكور .

وافية الدلالة صحيحة الغرض . وليتنبه إلى الفرق بين الغلط والاستعمال المتجاوز بعض الشيء عن الوضع .

والجمل في هذا القول المتشعب المديد . ان العريية ستظل في موقفها وعلى وضعها ما دمتا تفهمها على لونها من المسحة التقليدية . ولم نسمع لأنفسنا بما سمع العربي لنفسه . ولشدهما يحز على نفسي . أن أسمع المتفرغين (١) إلى اللغة أو الفارغين اليها . يتمنون عليها الأمان . ويجهدون بأن يعملوا ويصدقون في العمل ولكن لا يكون لهم من بعد عملهم الشاق الا شيء كبير (٢) المهاج لا تنقل بالسيارة ولا تغير من موقفها . رغم أنه قد كان لها دوى وهدير . وذلك لأنهم لم بشخصوا الداء على وجهه كما يقولون وهو يستفحل يوماً بعد يوم ويتزايد خطره رغم الضمادات التي تتخذ له . والاسعافات الوقية العجلى التي تجري عليه . وهذا الداء أصبح يشعر به كل أحد . وأيضاً يشعر بأن الوسائل التي يحتاط بها . لم تعد صالحة أو لا تفي بالمطلوب العصري .

وعلى كثرة ما قرأت وسمعت من عبارات تصور مبلغ الداء . لم يمر في ابليغ من نادرة ارسلها عفواً اخي الشقيق (٣) في محاضرة من محاضر السمار . كانت حقيقة حكيمة وان كان لها وجه النادرة العابثة . وفي عبثها وجه آخر من حكمتها . قال وقد اخذنا بالحديث عن اللغة . ومقدار ما عراه من تخلف عن مطالب العصر الذي كأنها تعيش على هامشه او في ضميمه :

(كانت العريية تنسج لمطالب السماء فاصبحت تضيق عن قطرة الماء) هذه الكلمة التي اخذتها في اول الامر مأخذاً لا استغراب فيه . لاني ظننتها مزاجية وتسجيماً ولا تعنى شيئاً وراء النادرة . ولكن بعد لاي وقت منها موقف الدهشة . اذ فهمت انه يعني بقطرة الماء ما تنحل اليه من عناصر كيميائية . لم ترم العريية من وجدانها على وجه يقى بالتعبير عنها .

وفي غير اكنار ومعاودة . فاني اري الحديث يلتف على قلبي التفافاً . فلا يبتدىء الا على وجه ما انتهى . وربما كان السبب فيه ان الموضوع اصبح متجهاً مركزياً لمجموع تفكيري فهو يظهر في اشد حالات اغفاله . والاعراض عنه والانصراف الى مواه . وفي غير ما اكون كخباز ابن الرومي اقول . هذه افكار نصتها مدة لم تكن يسيرة فتحسب من الخاطر الهائم . ولم تكن طويلة فتحسب في جميعها من الناموس الخي بل فيها ما هو حق لامرية

(١) راجع مقال المرحوم زكي مغامر عضو مجمع الشام في مجلد العام الفائت .

(٢) هاتان الكلمتان من وضعا الجديد ومعنى الثانية فراشة الاتوميل ومعنى الاولى حركة الفراشة المذكورة اذا كانت في غير فائدة وبمعبر العريية الشائنة (على الفاضى)

(٣) هو الشيخ مختار العلايلي المشرع الاصولي الفقيه وله ترجمة واسعة في كتابنا المذكور

فيه كله الصدق والواقع . وفيها ما هو تقدير شديد الوضوح . لا يعدم وجهاً من الحق قريب ولا يخفى ان الحقيقة لم تكن حقيقة في اولها بل كانت مجازة وتجربة . والواقع ان المجازة العلمية الحقائق وناموس النواميس . وهي وان جاءت في بعضها دون ما به تكون الحقيقة . فان لها من بعض مقدماتها ما يحمل على التعويل عليها حتى يتبين وجه خطأها . كما هو الشأن العلى في اسلوب التعليل والشرح في كل نحو . في كل عصر .

ونحن ندعو بمجموعة ما اتينا اليه درساً ومناقشة وتصحيحاً (مقدمة) يد ليس لها مفهوم المقدمات . وانما كان منا هذه التسمية وكان منها ذلك القبول . من حيث سبب اليها المحجم . فبدأت ولم يكن لها موضع من القصد . وانتهت وقد انصرفنا اليها بكل القصد . فعالجنا بها الناحية الصرفية والاشتقاقية بكثير من التطويل . ووقفنا على مقدار اللحظات عند تعليل بعض ظواهر العربية . واستطردنا بين التصدير والخاتمة . بابحاث دعت اليها حاجة وجرت اليها مناسبة . فتناولنا المجامع ودور التعليم وبعضاً من تشكيلات العربية . وابدينا آراء في البلاغة والعروض . والاملاء والخط . من حيث كانت المقدمة تعبيراً عن آراء شخصية تعالج العربية في دورها الاخير . وكنا اضفنا فصولاً (١) تعلل النحو والادوات وتدرس ظواهر الاعراب والبناء . ولكن عدنا فاسقطناها لنشر في مناسبة اخرى كتاباً مستقلاً لا يتناول سواها لما اتسع بين ايدينا من مجال القول .

والمقدمة تقع في اقسام ثلاثة . تناولنا بالقسم الاول متفرقات لا يجمع بينها الا ملابسات الموضوع الواحد . واهم ما جاء فيها تحقيق ان دلالة الكلمة من اللغة على المعنى الحاصل في خيال المستعمل دلالة مقايسة وموازنة . وابحاث اخرى لها خطرها ولها نبل خاطراتها . واتينا في القسم الثاني على تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة فبدأ عاجلاً من حيث الوقوف عند تحقيق كل فكرة على ما يقتضي الاسلوب العلى الخالص . فقد تجد فيها آراء مرسله ولكن يطمئن اليها من حيث الشرح والتفسير . واهم ما اتينا اليه من آراء فرض ان الجدول الهجائي باصواته (حركاته) هو لغة الانسان القديم . وتقدير ان نشوء العربية كذلك كان احادياً قناتياً قناتياً الخ . وتحقيق ان العربية انتقلت من دور كانت فيه صوتية تماماً على ادوار متعاقبة . وان القرآن تناولها ولما تستقر بحيث كان سيئاً قوياً في تهيتها الاستقرار على اكمل الوجوه . وظلت غير خالصة من علائق الفوضى في الموازين وصيغ الجوع وابواب الافعال . الخ

(١) وضعنا كتاباً بعنوان (دراسات على فنون العربية) النحو والعرف والاشتقاق والبيان والمعاني والبديع والعروض والقافية والاملاء والخط افردنا بكل فرع منها قطعة واسعة من الكتاب بحثناه فيها تاريخاً وتقدراً وتهدياً على الوجه المطلوب . وانا اسقطت ما اسقطت مضطراً بين تخوف الناشر ودلال المشترك . والذي اضمه بين يديك من المقدمة هو اقل ما كنت احب ان اخرجها عليه .

وجاء القسم الثالث فتناولنا فيه القواعد على النحو الذي يجب ان تكون عليه . فكان فيه نقد لما تعارفنا من قواعد الاعلال حين فرضناه باعتبار آخر . وما اليه من اقرار الافعال على باب من الابواب . ومستجد انا عانينا كثيراً في التقدير والافتراض حتى اتينا الى اصح في اسلوب النقد والتعليل . ومسترى كيف نعيد مدار الحديث حول استنكار المحافظة في كل فصل . في كل بحث . لان المقدمة في غايتها لا تعنى سوى هدم ما تعارفنا . ان في تاريخ اللغة او في القواعد . وهي ان تكن تنكشف في بيان وجه النقص عن قاعدة تفرض فيها الصحة على مقدارها فلم تكن معنية الا على القدر الذي يستقيم به النقص ويتمتع اسلوبه . ولذا جاءت القواعد مختلطة اختلاطاً كبيراً لم نجتهد بتنقيتها والتفريع عليها . وكما سبق فرغمت الى سبكها باسلوب قاعدي تعليمي في كتاب (دراسات على فنون العربية) وانما قصدنا هذا القصد وتعمدناه نظراً الى ماثيره المفاجئة . والفرع انما يفرغ اليه بعد تصحيح الاساس . وبحسنا ما نخرج الآن من هذا المقدار . ليكون اعداداً للظرف المناسب والثروة الصالحة . وموجهاً للافكار لتعمل تحت أبحاث أخرى . اولاً تحت إيجاء بطابع مخصوص . الذي يأخذ دائماً السيل دون الوصول الى الحقيقة .



القسم الاول

« اللغة غاية لا وسيلة »

ان ما نفيض به في هذه المقالة سيجد قلة تؤمن به وتسيغه . وانما كانت قلة لأن ما اشتهر من أن اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . جعلها شيئاً دون الغرض تتناوله للكشف عنه ومشاركته . وهو ملحظ حق وصحيح . حينما نتجه بنظرنا إلى اللغة في دورها النشوي . وأما هي بعده فمجموعة من الأفكار والتقاليد والمواظف والاحاسيس والنزوات وشئى الشاعر والاعتبارات . تنظمها الألفاظ انتظاماً أصبح منها كما يكون الشئ من الطبيعة .

فللألفاظ بعد هذا الدور . وجود معنى على مقدارها لا تنزل دونه في الاعتبار كما لا يقع دونها كذلك . ونحن وان كنا لا نختلف مع الجماعة في أن الذى أنزلها هذه المنزلة هو الوضع والاصطلاح . وهو أيضاً الذى أفرغ عليها ما أفرغ وحملها بما ترى عليه . فإنا لا نوافق على اطلاق القول اطلاقاً يشمل اللغة حتى في دور كمالها . فانها تكون على ملء الالهاب . وإذا تناولنا بها (وهي على ما هي) أية صورة ذهنية . كان لنا أحياناً من فضول الألفاظ زوائد لا تكون أبداً في خيالنا حينما نريدها على تأدية ما كان اليه القصد . فهذه الزيادة التى يتأتى لنا أن نصفها بالطائفة . لا يسهل تعليلها إذا كانت اللغة وسيلة . فقط تكيفها المعانى المتجددة على مقاديرها . وانما نكون أقرب قصداً في التعليل حينما نجعل للالفاظ في وجودها شاخص أو للشاهد قياماً معنوياً . وبعبارة أكثر اصطلاحية كوناً معنوياً . تحكيه أفكارنا حكاية نرسل إلى الكشف عنها بالقياس على كون الألفاظ : وهذا رأى لا نقرده به بل سبق اليه (صاحب النهاية) أبو المعالى الموصلى المعروف بابن الحجاز . حين حد الحقيقة بأنها (لفظ يستعمل لشيء وضع الواضع مثله لئله لا عينه لعينه) راجع الارتشاف لأبي حيان : فالفاظ اللغة عندي تتناول الأفكار كما تتناول المقاييس الابعاد . وللمقاييس حقيقة في نفسها ووجود زائد على وجود الابعاد قطعاً . وفي النتيجة هي غاية دون الابعاد والامتدادات . وان كان بالنظر إلى ما يهيدنا منها تكون

غاية يلاحظ من الوسيلة . وأكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملاحظ فهي غايات غير استقلالية . يفرض فيها التعاون مما يتأتى لنا تسميتها بالغاية ^(١) المطاوعة . والمقصود من هذا المتعنى في أسلوب الشرح . يبان ان دلالة الألفاظ على المعانى المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فإذا أردنا أن نؤدى صورة ما كمثل (شعر) ^(٢)

« فِتْنَةُ الْعَابِدِ فِي مَحَرَّابِهِ وَرُؤْيُ الشَّاعِرِ فِي لَوْحِ السَّمَاءِ »
« نَشْوَةُ الْقِيثَارِ فِي أَوْتَارِهِ وَلَحْنُ الزُّهْرِ فِي زَهْرِ الْفَضَاءِ »
« وَحَنِينُ الْحَبِّ فِي تَطْرِيهِهِ وَرَجِيعُ الشُّوقِ مِنْ أَنْفِ النَّشَاءِ »
« زُرْقَةُ الْأَمْوَاجِ فِي إِزْبَادِهَا وَخَرِيرُ الْمَاءِ فِي أُذُنِ الضِّيَاءِ »

فإنما نؤديها بضرب من المقايسة المحضة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معنى الألفاظ المستقرة فالألفاظ « فتنة العابد » و « نشوة القيثارة » الخ مما وقع في الآيات تدل على معانيها المتجددة دلالة مقايسة . فكان لألفاظ اللغة أية لغة . التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد أحياناً تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن أنها كانت كذلك على كمالها في خيال الأديب أو العالم . وهذا طبعاً غير الجمال التعبيري الذي تأثر به من جهة ذوق البيان لأن ما نعى به . نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الدياجاة وروقة الألفاظ ورصاعة التعبير . وسنسوق لك مثلاً من الشعر المقارن يظهر فيه ما نمجده باظهار الفرق بينه قال الشاعر

« وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ »
« وَشُدَّتْ عَلَى حُدُوبِ الْمَهَارِ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَانِحٌ »
« أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَتَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْإِبَاطِحُ »

هذه الآيات التي هي مثال قديم من اشراق الألفاظ وجمالها على بساطة المعنى . ويقول عمر ابن أبي ربيعة من قصيدة .

(١) ووجه الاصطلاح بالنظر إلى اصطلاح المطاوع في الصرف الذي هو بمعنى الفعل المنفعل فتخوف مثلاً فاعل منفعل فالغاية المطاوعة معناها الغاية التي تنفعل فتكون وسيلة .
(٢) من قصيدة لنا رحلة إلى الخلد .

« نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالمُحْصَبِ مِنْ مَنِي وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ »

« طَلَبْنِ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْتَهُ نَزَعْنِ وَهْنُ الْمُسْلِمَاتِ الظُّلُمُ »

هذان البيتان اللذان انا مقتون بهما منهي الفتنة عند عمر. وكما كان فاتنا في نفسه وادبه. وقد اتهم باني سأتكلم عليهما كلاما مفتونا على مقدار ما أجذني منها وقد يكون صدقا وحقا ما يقتضيني به هذا الاتهام. ولكن يجعلني امضى فيه ان الاتهام سيكون له جهة مشتركة تلتقي عليه وجهة النظر وترقع معه الخصومة. وهذه ظاهرة الابداع.

لا اجد حاجة الى ان اقف عند الايات الاولى التي ليس فيها اكثر من مشهد طريق جميل التصوير متروك البيان. لا فرغ الى بيان بيتي عمر وأدُل على ما يتخلني منهما.

يقول في وضوح بالغ. انه ارسل اليها من على المحصب نظرة كانت شديدة وناقذة لولا تخرج الرقبا فقط. دون تأثم المشهد القدسي طبعاً عند من كان يستغل اغراء القداسة لارواء العاطفة. ويجب ندا، الذين لانه استحبال في وقدة الهوى صدى الرغبة الثائرة. فهو يسمعه قبل أي آخر. اذ يسمع فيه صوت هند والثريا والرياب وزفرة عشيقاته الكثيرات. فهو لا يتأثم ولكن يتخرج. واذا رهب فما يرى الله وانما يرى الناس ذوى القالة المتطفلة. المتطلعة ونطيل بيان هذا القول لتدل عرجاً على ما في قوله « لولا التخرج » من فحولة زائدة على جمال موقعه الشعري. ثم يسوق صوراً اخرى تطويها سراً لتقف معه عند قوله في ختام القصيدة

« طَلَبْنِ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْتَهُ نَزَعْنِ وَهْنُ الْمُسْلِمَاتِ الظُّلُمُ »

الذي يريد فيه ان يصفهن بنزاهة الهوى. وطهر النزوع فقد طلبن الصبا وأصبتنه ولكن لم يتهاوين. بل نزعن في شيء من العقوق او في كل العقوق. هذا معناه في البيتين وليس هو شاهدنا منهما. وانما في قوله « نَظَرْتُ عَارِمٌ » و« الْمُسْلِمَاتِ الظُّلُمُ » وهو مانسيه (بزائدة الالفاظ)

وبيان الاول . ان العَرَمَ حينما نذهب مستعرضين لاستعمالاته الكثيرة نجد معناه الشدة المتدافعة . ووجه الوصف حينئذ قاتن غاية الفتنة جميل غاية الجمال . اى نظر يتهاوى نحوها على مثل ما يكون التدافع الشديد . وفيه تصوير للنظر الملتهم الجشع . ونحن على غير شك فى ان المعنى الذى كان فى خيال شاعرنا ليس شيئاً وراء انه نظر شديد حَسْبُ .

وبيان الثانى . (المسلمات الظوالم) الذى وقع بعد المسلمات موقفاً غاية فى الملاحظة وحسن القصد البيانى . وشاعرنا بدون ريب لا يقصد اكثر من انهن ظلمن بنزوعهن وما بقى مما نُهَوِّلُ بِجَمَالِهِ آتٍ من موقعه بعد المسلمات موقفاً يقتضى انه صفته . وربما يوضح هذا الذى نريد ان نصل اليه منه . قول (بشار) خريج مدرسة (عمر) وتلميذه الخنيس

« أَتُسَّ غَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرِيَّةٍ كَطِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ »
« يُحْسِبُنَّ مِنْ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الذَّنَا الْإِسْلَامُ »
فبشار كعمر . يريد ان يقول بان الاسلام حافظهن دون الحنا . وسيأجنهن دون نبالة الا حساب . ولا اظن بان (عمر) يريد ان يظهرنا على شئ . وراء ذلك واما الظوالم التى هى زيادته . فليست الا تديلا اقتضته القافية . ضمنه شكوى مريرة نكاد نشعر بشديد طعمها . وما تبقى فن (زائدة الالفاظ) والزائدة هنا على ما نرى هى فى انهن تزغن نزوعاً فيه عقوق شديد . فلم يقفن عند حدود ما يقتضى الاسلام . بل تجاوزن بالصرامة الى ما لا يتحرجه الاسلام ولا يثأمه . فهن مسلمات وظوالم لهذا ، او ان صَبَوْنَهُنَّ كان ملوها العفاف . فلم تكن على شاكلة بأياها الاسلام . فلما تزغن كن مسلمات ظوالم بنزوعهن عن صبوة لا يتحرجها الاسلام عليهن . وربما دل لهذا قوله من قصيدة .

« حَافِظَاتٌ عِنْدَ الْهَوَى الْأَخْسَابَا »

وكانه اوقع لفظ (مسلمات) كناية عن عفيفات فى ماضى الصبوة . وافاده لفظ مسلمات غير المقصود .
الظوالم

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء ملا غموضاً . ولذا غير وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . وكان ان استقر في رُوع الكثيرين . ما ليس الى المنطق الحق . وراح من لم يذَرَب على فَصَح العربية او العربية اصلاً . يركب مركباً ذَلَعاً وينشي مثل الوَعَث والطَّبَع . اخذاً بقاعدة الانانية والشهوة (الغاية ^(١) تبررالواسطة) اى على اى اعتبار . فلم يَأْبَهُوا بعد ذلك ان يؤدوا ما يقصدونه على اى نهج . استقام اوالتوى مادام لا يلتوى مع غايتهم التى من اجلها يعملون . وهي اذا جوَّمل بها العلماء والفنيون فما يجامل بها الادباء الذين هم اهل اختصاص في الواقع . وفي الحق انى مُفَرَّض جداً ومُحَفَّظ من لُز منطق الغاية هذا . في محيط الادب بل في محيط البيان العربى عموماً . وجدير بى وحرى بكل عربى . ان ينطوى على حفيظة مفرضة من هذا النوع واسمها مفرضة لانى ابتغيها غير قابلة للتفاهم ابداً . اولا تسمع بأية مناقشة دون رعاية اسامها .

والمعجب في نهضة مصر الادبية . انها تسير بخطى ثابتة في جُدد من العربية الصريحة . وعلى مقدار تعلقها بتجديد الفكرة تعلقها بسلامة اللغة وعربية التعبير . وواجب ان اسجل وان لم اكن في مقام تأريخ . ان نهضة الاسلوب العربى تدبّر لمصر وحدها كما تدبّر النهضة المغربية للبنان القديم .

ولهذا فقط قصدت ان اهدم . بتحقيق ان اللغة غاية كما يكون الحساب والهندسة وما اليهما من انواع الرياضى . ما يَفْرَعُونَ اليه اذا راموا اللغة عَابِدِينَ . وقررت ما لم يكن في معرفة الكثيرين . من ان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنة . والا لودلت بالنفس لكان لها (على نهج الفلسفة القديمة) وجودات متعددة بتعدد الاشخاص اللّاعين . والتلازم خُلفَ قارتفعت الملازمة على وجه الاقتضاء . وبحسبنا من حديثه ما انتهينا اليه . لنفيض في يانه على آيات من الشعر نَدُلُ فيها على ما يجدر بالناقد البصير تمييزه . واعنى به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ

(١) راجع مقدمة كتاب (السفس) لدكتور ابو جرة وكتاب الغربال للاستاذ نعيمة

وبين زائدة اللفظ وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح . قال

قيس بن الملوح مجنون ليل

« بِمِشْرِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قَبِيلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ قَاهَا »

« وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ فُرُوعُ لَيْلِي رَفِيفَ الْأُفْحُوتَانَةِ فِي مَدَاهَا »

يكاد يكون هذا القسم عاماً على لسان الشعراء والعرب جميعاً . وهو لا يزيد في

اعتبارهم على (بربك) و (لعمرك) وامثالهما . ويقين انه لم يكن من معناه في خيال

المجنون اكثر من الحلف والتأكيد على هذا الذي حظي بالسعادة كلها مجموعة بين

يديه دونه . في غير مكابدة . ولا علاقة لاغية . وعلى خيال الحلف وحده اكاد المجنون

على مخاطبه . او بعبارة اقرب مزاحمه فقال (بِمِشْرِكَ) ولكن اى معنى ترى . لو

ابدل لفظاً مكان لفظ . واقام تعبيراً في محل تعبير . لما كان يزيد عن انه قسم عادي

جداً لا نشعر معه بشدة الزفرة . التي في مثل ما يكون من الموقد اذ يصيبه الماء ثم يخمد

في غير ضجيج . ليعبر عن الامسى المضممت بثوبه الفخمي الدّاكن . وهذا البيت جاءت

به الرواية ايضاً على وجه آخر من التعبير فلم يكن من وقعه الاطنين القسم اجوقاً .

« بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قَبِيلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ قَاهَا »

ولكن كيف يشعر ذلك التعبير بما نهوّلُ به . سأجيب بأنه من زائدة الالفاظ

وذلك حين تمثل المجنون يرى العيش في ظل التي يهوى سعادة دونها السعادات .

وهو من نُشْدَاتِهَا ظل يبكيها ابدأ في انشودة الحُزْنِ المرة . بهذا النظر طالع القسم

حين يستفهمه عن شكل من اشكال تلك السعادة . ولون تري من الوانها مرسوماً

بضمة السحر وقبلة في عين الصباح . بربك اما تشعر بماي يتقطع في افاسه . ويذوب

في نبراته . مع القسم اذ يرسله جامعاً بين الاماني العذاب وتاوهات العذاب وهو

أروع^(١) قسم سمعته في الشعر على تاريخ البيان

قالت نزهون الفرناطية

(١) راجع الكلام عليه مبسوطاً في بحث (القسم في القرآن من مقدمة التفسير)

« لَيْلَةَ اللَّيَالِي مَا أَحْيَسَتْهَا وَمَا أَحْيَسَنَ مِنْهَا لَيْلَةَ الْآخِرَةِ »
 « لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتُ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ »
 « أَبْصُرْتَ شَمْسَ الضُّحَى فِي مَاعِدَى قَبْرِ بَلِّ رِيمٍ خَازِمَةٍ فِي مَاعِدَى أَسَدٍ »

لا اجتهد بان ادل على مواطن الجمال في هذه الايات ، التي ينزل البيت الاخير منها منزلة اربع الشعر وامته واخلفه بكلمة الشعر . وانما اقتصر منها على محل الشاهد الذي هو (زائدة الالفاظ) وابن تقع منها . وفي غير كبير تعمُّل . تضر عليها في (فلم تنظر الى احد) وفي (بل ريم خازمة) ولكن كيف يكون هذين التعبيرين مائذ كر من ابداء الصورة على شكل ما تظهره من سرى وثرأ . فهذا ما تناوله ونجهد في تمثيله على وجه قريب من الاصل . ولكن طبعاً لا تكون له تلك العذوبة التي لاصله تقول في البيت الثاني كلاماً عادياً حتى تنتهي الى (فلم تنظر الى احد) فنشر بكل إفتان صورة من غفلة الرقيب . التي لم تكن عادية ولم تكن غفلة مختلة كما هو شأنها . بل كانت غفلة على معنى الاباحة . حتى كأن الرقيب جعلها منحة للفناء في الحب والاغراق في النشوة . فكنت تشهد مناظر من النجوى المطمئنة التي لا ترتقب مفاجئة من الارزاء . ولا تخشى عينا يسترها الهواء . فهي نجوى مُتَبَسِّطَةٌ تزيد تبسطاً في مرالنسيم فلا ترهب من حفيضة حساً . ولا تحذر من غناؤه صوتاً . وانت لا تسمع في خلالها الا قبلة لا تنتهي الى موضع اللام^(١) منها . وهذا منظر لسنا نحن نرسمه على افراد بل بريشة (نزهون) وحدها . واسمع كيف تقول لم تنظر الى احد . فقد كان هناك آحاد . وعين الرقيب لم تنظر اليهم . فهو اذن مشهد ممتد . يحوى مناظر عديدة من هنا وهنا تنشئ الحب من رآووقه الصافي وتهم في رواقه المشرق الهاني . وانا على غير ريب في ان (نزهون) لم تقصد تصوير كل هذا . حين ارسلت (فلم تنظر الى احد) وان ما اعتقد انها تصوره لا يزيد عن ان عين الرقيب غفلت في مشهد ما تريد ان تطلع عليه . مرسوماً في البيت الثاني على لوحين . تزدادان براعة مع

(١) كناية اجريناهما بجري الصنامة عن استدامة القبلة وطولها لانه ينطق اللام تنفج
 الشفتان وتنتهي القبلة

دوام النظر . تبدو اللوحة الاولى منها دقيقة ومشرقة على مقدار ما لوحدث في الطبيعة . وكانت الشمس في ساعدي القمر حقيقة . وتجاوزها الى اللوحة الثانية التي فيها مانعها بالزائدة . يد أن الصورة نفسها لاتعبر عن شيء وراء ما تعبر عنه الصورة الاولى فلا تشرحها . وانما تقف عند اللفظ الذي اثار في نظرنا زائدة حقيقية وهو (بل) وهي اي نزهون لو قالت بعبارة (او) لما كان لها ذلك الوجه الذي نحكي عنه . وانظر كيف تثيره (بل) هذه ونحملنا حملا على التنبه اليه . فهي تقول ما كنت تبصر جملة في ساعدي جميل فقط بل فتنة مشوبة . تؤلف من اختلاف الطبائع طبيعة تجمد معناها وحقيقتها فيما كان يمتاز عنها بالمعنى والحقيقة . وتجميل من القسوة الشرس حملا وديما . ينطوي بتحمّل وحُورٍ نشوانًا بالمعنى الذي هو وراء وجوديهما فيشدّه في خدر صليب . وسبات هاني . لذيد . وفي اللوحين تعرض مثلا من الجمال في الحب . ومثلا من الفتنة في الحب . ومثلا من الجمال العاشق . ومثلا من الفتنة المحبة .

حقيقة ان معني الصورة الثانية في صميم الالفاظ ولكن (بل) وحدها هي التي تثيره وتنبه اليه . ولولاها لكانت غفلة خاطر عن المعنى الحقيقية . (ونزهون) من بعد لم تقصد الا تنويع الصور كما يظهر

قال حافظ^(١) بك ابراهيم على ما أنشدني بعض خلطائه لما زار لبنان .

« يَا غُلَامُ . الْمُدَامَ وَالْعَاسَ وَالنَّكَاسَ وَهَيْيَ لَنَا «شَرَابًا» كَأَمْسٍ »
« وَاسْتَقْنَا يَا غُلَامُ حَتَّى تَرَانَا لَا نُنْطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهَمْسٍ »
« خَمْرَةٌ قِيلَ لَهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمَلَا حِ فِي يَوْمِ عُرْسٍ »

وروايتها في الديوان (وهي : لنا مكانا كأمس) ونحن سنمضي بالكلام عليها على التسق الذي بلغنا منها . فانه التعبير الذي يستوقفنا اي (شرابا كأمس) على تقدير ان متعلق الجار والمجرور . صفة الشراب لا (هي) والا فهو يعدل رواية (مكانا

(١) الشاعر الفذ الذي لم يحسن المصريون شرحه وقدموه فهدموا من نهضة يانهم طبا خلا

كأس) ويبدو البيت بعد ذلك عادياً صرفاً وحديثاً منظوماً . ووجه الجمال فيه والزائدة انه وضع الـأس هنا كناية عن الذكرى . اى شرباً يفعل بنا نشوة كما تفعل الذكرى . واذا صححت هذه الرواية لحافظ . فيكون قد وقع على معنى مرقص غير مسبوق به . ولما ان حديث الادب ذو شجون وقد جاءت مناسبة . فما احبلى (قيل) عنده . واطن بانها لم تحسن في شعر يكثر مما حسنت هنا . وما ابرعه تظرفاً لو قال (قَطَرُهَا) في محل (عَصَرُهَا) ولا اقول هذا لما استدرك به بعضهم (١) من ان عصر تقال في الاستعمال العامي على الدماطل . فانا لو اردنا ان نحمكه اى الاستعمال العامي . لآتى على اكثر الادب واستقبح اعلق الالفاظ بالملاحة . وادّلهَا ظَرْفًا كَمُرسٍ وعَلق . وما اليهما . مما لو اعتبرناه لاسقطنا ثروة من اللغة . وكفى الشاعر انه ينظم بالعربية الخالصة او عربية البيان الرفيع على انها لفظة عربية في الادب العربي بهذا الاستعمال والمعنى . وفي هذا الموضع بعينه . وارفع الالفاظ نسباً بهذا الاعتبار . فقد وقعت في القرآن (اِنِّى اَرَاَنِى اَعْصِرُ خَمْرًا) ووقعت عند ديك الجن قال .

« وَقَهْوَةٌ كَوَكْبَاهَا يَزْهَرُ يَنْفَحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ »
« وَرَدِيَّةٌ نَجْدَهَا شَادِنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدَرٍ تُعَصَّرُ »

ووقعت كذلك عند كثرة من الادباء . لم يعد يحضرني منها الا ما ذكرت . على انه في غايته استدراك بارد بارد كما يقولون . وما مثله في الواقع الا كمن يأخذ على متكلم بالانجليزية مرادف كلمة هوا . لانها في العربية تقال على مايقبح ذكره . او كمن يدخل متحرشاً بين محبين يطلب المدلّة منهما قبلّة تئدى عليه حبه فيزجره لانها تقال في العربية ايضاً على الصنوا الآخر . وانما ملحظنا ان عصر في موضعها الشعري قِلَامة من حيث ان الحرة التى يردها كالدكرى لايتسق معها (عصر) . هذا اذا صححت الرواية التى بنينا الكلام عليها . والا فهي سائفة كما تكون العقار في حلق شاربها .

(١) هو المرحوم مصطفى صادق الرافعي الاديب الواحد في نهج من الادب امتاز به واما في النقد فانه يبدو كما هو اديباً فقط . فيه صورة من الادب وليس فيه صورة من النقد

قال الصافي^(١) من قصيدة

« وَاسْكُنْ كُوخًا مَا بِهِ أَيْ زُخْرُفٌ وَلَكِنَّهُ كُوخٌ أَقَامَتْهُ لِي يَدِي »
هو بيت يرى على اشد ما يكون الوضوح . حتى كاد يكون حديثاً عادياً ولكن
رغم ما يبدو عليه من بساطة سابقة . اشعر بأنه مُتَقَيَّ نَزَوَاتٍ شَتَّى وفَلَسَفَاتٍ وجدانية
عميقة . وهو بين القناعة والكبرياء . والزهد والإدلال . يحقر العظُمَات التي تُقِيمُهَا
أيادٍ أخرى . ويسخر من القِنْفَخِرِيَّاتِ^(٢) الدليلة التي تَصْطَنِعُهَا جهات . تستعبدُها
استعباداً يمدو على كل حرية . ويرى العظمة غير المزيقة والقِنْفَخِرِيَّة الحقيقية فيما نهى
اليد لصاحبها .

وكذلك يَطَّلِعُ على كل الناس من كوخه مُدِلًّا نِيَّاهَا وهو بعدُ كوخ حقير .
وانا لم اسمع اشد نكايه . ولا أكثر سخريه . ولا ابلغ تهكماً . ولا أَمَرًا تعريضاً .
من قوله (أقامته لي يدي) وهذا كله ليس محل الشاهد وانما اردت التعريف
(بيت) يمر به أكثر الناس . ولا يشعرون بالجانب الروحي فيه . والزائدة في البيت
(ولكن) هذا الاستدراك الموطأ له بكلمة (زُخْرُفٌ) . ومن ثم استمع لإذُن بلاغية
شاعرة . تدرك مقدار ما تثير من معنى عميق تنزل عنه الالفاظ . ويبقى حيث هو في
تسام مذهش .

قلت من قصيدة^(٣)

« مَنْ رَأَى الرُّوضَ يُغْنِي السَّحَرَا مَنْ رَأَى الظُّلُمَاتِ يُنَارِجِي الْجُودَرَا »
« مَنْ رَأَى الْفِتْنَةَ فِي رَاوُوقِهَا سَكَبَتْ فِي الرُّوضِ حَتَّى نُورَا »
« مَنْ رَأَى الطَّيْرَ يُعَاطِي إِلَهَهُ رَشَقَاتِ الْحُبِّ فِي جَوْفِ الْكَرَى »

(١) احمد الصافي النعبي ، شاعر عصري تأثر حتى في صموته . وشعره لا يشف عنه كثيراً .
ولو استطاع ان يفرغ كل نفسه في شعره . لجاء به شعراً فوق الشعر . وشعره على وجه العموم
سامت واعني بالشعر الصامت . الذي ينزل عن مستوى المعنى ، ولا يتناول الا على غموض

(٢) من وضعنا الجديد بمعنى (الارستقراطية) و (قِنْفَخِرِيَّاتٍ) في محل الارستقراطية
من قول العرب (قِنْفَخِرٍ) للمفتخر بنسبه التاريخي

(٣) هذه ابيات من قصيدة قلناها في خطبة اخي الشقيق

« مَنْ رَأَى الْبَلْبَلَ يَشْجُو صَادِحًا مِثْلَمَا يَشْجُو مُجِيبٌ هُجْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْجَدُّولَ مَضِيًّا عَلَى ذِكْرِيَّاتٍ أَسْكَرَتْهُ فَجَرَى »
 « مَنْ رَأَى الْغَابَ يَصْبِيحُ خَاشِعًا لِأَلْفَيْنِ اسْتِمَاحًا الْقَدْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْخُودَ اخْتَوَاهَا مَرْجَزًا ^(١) لَعِبَ الرِّيحُ بِهِ فَاسْتَكْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْخُودَ تَعَاطَيْنَ مِمَّا يُوْهَازُ ^(٢) يَسْتَنِي كُلَّ الْوَرَى »
 « مَنْ رَأَى هَذَا فَأَنِي مِثْلُهُ لَعِبَ الْمَيْدُ بِهِ فَازْدَخَرَا »

تأمل في ذوق النقد (استمحا القدرا) نجد تجمته سريعاً من المعنى . هو من هبات
 لالفاظ وحدها . التي لم يكن من عوالمها في الخيال الا معنى غامضاً اشد الغموض . او
 كان في سماء من الدهن تائهة . ارتسم في نسج الالفاظ خلقاً سويّاً . وهذا
 بى . لا احكيه عن الغير فاتهم به . ولا اقدره تقديرأ مرسلأ فارمى بالتخطئة . وانما هو
 شعور النفس بالنفس .

« العربية واللغات »

يوم هذا العنوان شيئاً لا أقصده الآن بالحديث . وأيضاً لا أفرغ اليه فيه .
 فلست أريد أن اتشر بمقارنة دقيقة على العربية واللغات . ولا غير دقيقة . ولست
 نعيّاً كذلك بأن أمثل من طبيعة اللغات وطبيعة العربية . ما نخرج بعده بموازنة
 نحكي عن المميزات الحيوية لكلا الطبيعتين .
 وانما أريد أن أتناول بالتحليل التزويى والبيكولوجى عناصر الشكوى التي
 لا يفتأ يطالع بها كتاب العهد الجديد . ومن ورائهم الناشئة على اختلافهم بالدار
 والبيئة والنشأة .

هذا الشكوى التي يخطئ . أكثر المدرسين بتحميل أسبابها على الوجه الصحيح .

(١) من وضعنا الجديد للاتومويل الذي لا يسع الا اثنين اولوتوسيكلس « السبت »
 (٢) من وضعنا الجديد للرقص التوقيعي

فهم يعزونها أحياناً إلى ما في طبيعة العربية من صعوبة تنزيل منزلة الشخصية . وأحياناً إلى خطل الأسلوب التعليمي . وأحياناً إلى أشياء أخرى يجهدون في التماسها ظناً منهم أنهم يُسلِّطون أويقاربون . وما هم منه الأعلى مقداره مما ابتدؤا بشرحه وتعليقه .

وذلك لأنهم يطلبون أسباب الشكوى في العربية طبيعتها وبيئاتها وموسوع استعمالها وما يرحوا إلا عكوفاً على هذا النظر . فلن تكون لهم إلا هذه النتيجة بكل ما عليها من تهافت ومجانبة وضعف . وإن أسبابها الحقيقية تقع بعيداً عن العربية في مُلابسات حياة العربي .

ومن ثم كان ضرورياً علينا أن تأخذ ببيان الأسباب الحقيقية عند نظرنا . لأنه يترتب على جلائها تصحيح الأسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي وتخفيف النصب الذي يقع دائماً دون ثمرته .

والأسباب التي نسميها حقيقية . ونراها كذلك (لا تتجاوز الواقع ولا تقع بعيدة عنه على اعتباراتها وأشياءها من النظر) . أدت إلى صبغ النفس العربية بصبغة من الترويع . شديدة الأثر رمت العربية بما أثار الشكوى . ويتأني لنا حصرها في وجوه . (١) عدم الثمرة العملية التي يصادفها متخصص العربية . فإن شدة الاتصال الأوربي بحياتنا من أقطارها . فرض علينا لوناً لا أظن أننا نتحلل منه بسرعة . وصبغ محيطنا بصبغة لا يمكن أن نعيش بدونها في سهولة . ولقد أصبح العربي في وسطه ومحيطه بل في ذوى قرابته يشعر بأنه غريب عن عصره بعيد عنه غاية البعد . فأساس المعاملات حتى الضروري منها يقوم بالأجنبية بله التبائع وما إليه . وقصارى القول قد أصبحت اللغات الأجنبية (أى الأوروبية الرئيسية طبعاً) تنزل من الحياة العامة منزلة اللسان من الانسان .

(٢) عدم الركون الثقافي . لان الاتاج الفكرى اجنبى من كل نواحيه وسيلنا

فى التعرف الى اللغة حسب . فائقان اى فرع من فروع العلم . ونحقق اى بحث من الابحاث انما نستطيعه اذا ضربنا بسهم وافر من لغات الغرب . فليس لنا افكار

برغب الغرب في ان يتعرف اليها . بينما نحن في حاجة الى ان نتعرف بكل افكار الغرب .

فبدت لذلك العربية اثرية بكل المعنى . وهزيمة في تواح عديدة . ما لم تستوفها فلن تكون عصرية تكفل مطالب الحى .

ومن هنا يمكننا ان نمثل مقدار تقصير حكومات الشرق العربى في عدم انشاء مؤسسات خاصة شتى اللجان على فروع الاختصاص . تنهم بترجمة كل كتاب وكل فكرة . ونشرها على نسق كتيب دورية تصدر بالتتابع (serial) . العمل الذي به ينشط الفكر العربى للثقافة وتفهمها ومناقشتها والمساهمة في اعدادها .

واما الاعتماد على العمل الشخصى الذي يقوم به في فترات طائفة من الادباء والعلماء . فلا يكفي ابدأ لاغداد العقل العربى على الوجه الاكل ولا على اى وجه . فان كثرة من العفريات المحزونة في محيطنا العربى لم يسعها الحظ بدرس اللغات . فلا يتسنى لها الانتاج الصحيح . وانما تقضى كذلك وافكارها الثرية الغنية لاتزال في غلاقتها .

واقرب مثل اسوقه الشاعر العبقري المرحوم (صادق الزهاوى) فان شاعراً كما هو في لغته . وفيلسوفاً كما هو في ذهنه . يضرب في كل وجه . ويفكر احياناً على نهج علمي . وينتج ثروة بالغة عظماً . وفيها افكار لاتنكر قيمتها . يشاء ان يناقش نيوتن . ويفهم داروين وهيكل وسبنسر وهكسلى وستيوارت وماركس وبرجسون . ومن اليهم من الكثرة التى لا تحصى وهو لا يتصل بهم الا عن طريق (المقتطف . والهلل) وتنف من الكتب المترجمة ويتجاوز هذا وهو غير جامع للنصيب الكافي من الثقافة الى مناقشة الشرائع الدينية والتقليدية . والنحل الاجتماعية من حيث ملائمتها لمقدرات العصر . ومقادير الاستعداد الشخصى للاجتماع .

وبهذه المناسبة اتكن من التصريح بان هيمنة السوريين وبالاخص اللبنانيون منهم ودحاً غير قصير من الزمن على التفكير المصرى . انما كان بالترجمة وحدها . ومن ثم قيل عنهم . بانهم باعثوا البقطة الفكرية الشاملة بما القوا من لقاح في محيط العرب الراكد .

وربما كان شاهداً حقيقياً (الدكتور شبلى شميل) . بما ترجم من افكار جريئة في ذلك الحين . وبما تظاهره به من استفزازات أغرت بالنطلع وحملت على التساؤل الذى هو طريق المعرفة (كما يقول ارسطو)

وبالجملة فان من التخلف الذى يؤخذ على العرب ان كتاباً ككتاب (داروين) وهو بحق منقطع النظير في منهج تناول النظريات واسلوب تقريرها . وبسطها ومنطق مناقشتها . لا يعرف في محيطهم حتى يقوم بهذا الواجب لسنوات خلت استاذ^(١) يدفعه اليه الشغف الموضوعى . واعنى بهذا ان الفكرة لو لم تكن تعنيه او لو لم يكن من انصارها لما وقف عنده وعنى نفسه باخراجها .

وايضاً كتاب (ماركس) لا يجد من يتصدى لنقله وقد اصبحت الاشتراكية من دوافع العصر ومعنوياته . وهو في واقع النظر من اجل ما عرف حتى اليوم . في تحليل حوادث التاريخ بمثل اقتصادية بحثة . والنقل لا يعنى ملائمة الفكرة للحق .

والذى يضعف من وجه آخر . الركون على المثقفة في ان يقوموا بهذا الواجب وحدهم دون معونة الحكومات الشغف المتسلط بهم بان يظهروا بمظهر المؤلفين قبل كل شئ . ومن هنا اصبحت لا نعرف بشكرة الا مثوية ممسوخة او مشوهة غاية التشويه لان الكاتب او المؤلف حل نفسه على ان يتجاوز النقل الى كثير من التصرف . والاحتجاج بداحة النفقات احتجاج يقصد به التنصل فقط . فان كثرة^(٢) من الاعتمادات الاضافية في غير داعية اليها ابداً .

(١) هو الاستاذ اجماعيل مظهر صاحب مجلة المصور وعضو مجمع الثقافة المعري ويمتاز بدقة الترجمة وانزال المصطلح منزله من الاعتبار .

(٢) منها الميزانية المخصصة لطبع الكتب القديمة في الدار الملكية هنا بمصر . اذ حركة المطابع الحرة النشطة اليوم تنفي عنها وتسكت في امرها واذا كان القصد نشر النفاثات الخطية ذات الخطر . فان هذا (عدا عن انه يأتي دون غايته اذ لا يقوم الا بتعريف النذر منها) يمكن الاحتياط له بأخذ صور فتوغرافية عديدة عن عموم الكتب الخطية الموجودة في الدار وإباحة استعارتها كالكتب المطبوعة بحيث يقضي للجميع الاستفادة منها وبهذا نحفظ شيئين (قيمتها العلمية) بالاستفادة منها الغير أخاصلة اليوم لانه لا يسمح بها الا بمعاملات مخصوصة على وجه مخصوص . وايضاً لاشخاص مخصوصين . فهذا الخصوص في الخصوص يحملها على مثل النصوص تسع ولا ترى او ترى ولا تمس . و (قيمتها الاثرية) بالابقاء على النسخ الخطية بدون كبير مساس يسجل اليها التاف

وإذا استطعنا أن نفهم مؤسسة من هذا النوع . ضمننا النهوض بالمستوى الثقافي العام . والنهوض بالمستوى التعبيري . الاصطلاحي والبياني للغة . وبموجبنا الآن هذا المقدار من التعريف بالفكرة . ونشرها لتتناولها في مناسبة أخرى . تكون موضوعها فإن الاستطراد قد فسم عروة ما أنا آخذ بالكلام عليه .

وخلاصة هذا السبب الثاني . أن عدم الركون إلى تحقيق أية فكرة وفهمها إلا عن طريق الأجنبية . وفقر العربية من هذه الناحية . نفي السأم عن دراسة الأجنبية فبدت على ما هي من سهولة تقابلها صعوبة مربية في العربية التي لا تدرس إلا بانصراف وازورار .

(٣) كون اللغات الأجنبية بالنظر العام عنوان الحضارة في الحياة والشخص وعنوان الترف العلمي والعقلي والاجتماعي من كل الوجوه . ومن ثم أصبح الناشئ إذا ذهب يعبر عن آرائه يعترض بينها بكلمات أجنبية . ليس فيها شيء من الاصطلاح فيعذر له . وأحياناً يكون مرادفها مما يجاوز الحصر في العربية المشهورة . بحيث لا يعزى إلى شيء سوى أنه يقدم البرهان على امتيازه .

(٤) تعلق المرأة (التي هي ذات فطرة شديدة الولوع) باللغات الأجنبية حتى غدت ولا يلين لها لسان إلا بها . ولا يحقر أثر المرأة في موائيل الاجتماع والحياة العامة . فإن المرأة من الحياة بمنزلة العنوان من الكتاب . الذي يبدو في كل سطر من سطوره الكتاب . أيا ن قلبت من صفحاته . والواقع كذلك نجد المرأة وحدها . كيفما التفتنا إلى الحياة .

ولقد أذكرتني هذه المناسبة . قصة تحدث بها إستاذ^(١) من اقدراساتة العربية في لبنان . كان مغزاها أن المرأة دائماً عدد صحيح . والرجل بجانبه (صفر) فليعرف الرجل كيف يقف منها . فهو لا شيء . إذا لم تكن . وقد يكون كل شيء . إذا كانت . ولكن المرأة هي المرأة في كل دور . وكذلك هي (الدروز)^(٢) الشاخص في حياة الناس .

(١) هو الاستاذ جورج المقدسي مدرس اللغة العربية في جامعة الاميركان ببيروت
(٢) من وضعنا الجديد بمعنى (model) واشتقاقها من مادة (درز) التي من معانيها (النسق العالي من اللبوس)

واذكر من ويل أثر هذا التعلق . أن سيدتين عربيتين رأيتهما في (ذهبية)^(١) على النيل . وصادف أن نادت احدهما (البربري) بلهجة كلها قحة (an arab) فأنطلقت وأنا أشهد وأبصر كيف تذوب حصة الأمة في بوتقة التقليد إلى حد انكار الشخصية وانما نجمل المرأة وحدها سبباً نفسياً في هذا التخرج . لأنها سريعة الانطباع سريعة التحلل . فهي لا تأسف على ما تركت في نشوة ما تأخذ به . وهذا سبيلها في الحياة الداعة فهي سريعة التأثير إلى حد التجاهل . ثم سريعة التقليد إلى حد الانكار . وهي مع ذلك (الطابع)^(٢) للمجتمع من أطرافه تغير كل شيء على هواها بين الفتنة والدلالة . هذه هي الأسباب التي أراها حقيقية في الشكوى المذكورة . والتصعب في غير هُون . ومعناي بهذه الأسباب . ان مَثَارَ الشكوى نفسى صرف أى ذاتى يعبد أشد البعد عن أن يكون موضوعياً بالمعنى المجرد .

هذه الأسباب انكرت العربية فانكرها الناشئ . بتحليل . وكيف يرجى أن تهون عنده . وهي مكروهة غير محببة . يدرسها بازورار فيشعر بما يشعر فيها من التواءآت . والا فالعربية شهد الله أسهل من كل اللغات . إن في قانون نحوها أو صرفها أو املائها او اشتقاقها أو خطها . بل أكثر من جميعها آلية إذا صح هذا التعبير . على ما فيها من فوضى اجتهدنا بفهمها ومداواتها في بحوث المقدمة المقصودة .

ولا بأس من أن تأخذ بمقارنة عجمي تشمل النواحي البارزة على صورة موضوعية صرفة نستبين منها مقدار ما يجازف في زعم ما يزعم .

الخط العربي

هو أى الخط العربي أشغل الرؤوس في أقدم ما كان . وما فتى شغلة على جانب عظيم من صعوبة الحل . وكذلك لا يزال يرأخى بالرؤوس بين الأكف لتنتهى في تفكير عميق .

وعلى صعوبة ما صادف الأولين من عنائه . فإن ما يصادفنا نحن منه يزيد على

(١) كلمة في النامية المصرية بمعنى حراقة

(٢) من اوضاعنا الجديدة بمعنى الاكليشي

أعضائها أو عليها كاقبها . وربما كانت هذه آخر معاضله . وإذا استقامت فيه فليس أجهل منه . وما أخصره قلماً .

وتلك هي مشكلة الخط العرب . أي الدال بنفسه على الحركات . ومميناها مُعرَباً بصيغه اسم الفاعل أو المفعول بملاحظة الاعراب بمعنى اليان . وهو مطلب خطير الشأن غني الجانب . ضروري أن يشترك اللغويون والفنيون من كتبة الخطوط بالسعي الحثيث اليه حتى يسقطوا منه على ما يكفي حاجة العربية

والحق ان متن اللغة في أحوج ما يكون اليه حاجة . فكل ما يرمى به من صعوبة آتية من سذاجة الخط . فإذا كفت العربية أمره . لم يعد مفر من ضبط كل كلمة على ما هو في الأجنبية . وتلقيها كذلك وتداولها على وجهها من الصحة . بله تربية النشء على أقوم اللهجات وأصحها . بحيث يمكن أن نضمن بمرور ربع قرن على شيوع هذه الحروف أن تصبح اللهجة القوية الفصحى . هي اللهجة المشتركة العامة

وفي هذا شيء كبير من تشذيب العامة ورفع مستواها . وقريب ما بين مختلفها كالمصرية والسورية والعراقية والحجازية واليمينية والمغربية . وما إليها مما يكبر على الإحصاء .

وبالأخص حين يصبح التعليم اجبارياً في عموم المحيط العربي وهو آخذ في تحقيق هذه الصفة له . على أنه وإن لم تكن له أية صبغة رسمية . فالتهمزة التي شملت الناس عامة . والصحافة التي شغفت الجميع . وانبهت كل امرئ . إلى تقدير المسؤولية ولو من بعض وجوها . متحققان هذه الغاية من وراء الخط المذكور على شكله . وسيجعلان الأقطار العربية على ثقافة لسانية لم يكن العصر العباسي الذهبي على شاكلتها منها .

ولا تعجب إذا سمعت أن الأجنبية فيها كثير من هذا الاختلاف وهذا الضبط والضبط وحده شغل جزءاً كبيراً من المعاجم . وربما كان على وجه أصعب من العربية ولكن انما مهلت على الأجنبية واستعصت في العربية . لما أنها تلقن كذلك وتقرأ كذلك . ويتخاطب بها كذلك . ومن ثم لم يعد لها مناسبة تتجاوز فيها فصيح نطقها فيلتوى الدهن على الخطأ . وتنطبع كذلك على الهوى .

واليك المثل عليه من الانجليزية فيها .

(pear) بمعنى الاجاص . وتضبط هكذا (par)

(pear) بمعنى أميراوند . وتضبط هكذا (par) واليك مثل منها على وجه آخر

(patrol) وضبطها (patrol)

(patron) وضبطها (patrun) وهذا كثير يفوت الحصر . ولذلك كان واجب

المعجم عندهم . كما هو الحال عندنا يقضى بضبط كل كلمة حتى يكون المرء على بينة من فصيح نطقها .

ومنه تبين أن ليس الخط المعرب . هو كل السبب لشروع الفصيح في الأجنبية . بل وراءه أيضاً أسباب أخرى . نثرنا ذكرها بين هنا وهناك من موضوع الاملاء وغيره . وأهم الأسباب فيما تبدو عليه العربية . مزاحة العامية . فالحديث اليومى وجه . والحديث العلمي وجه آخر . وأيضاً التلقين الخاطيء الذى يضاف من شأنه الخط المعرب . وفي غير بسط وتخطيط من جوانب الموضوع وحواشيه . نذكر اقتراحنا هذا الذى نرى فيه أنه علاج لا يبعد صلاحه . وإذا لم يكن مما يحقق كل المراد فلا ريب في أنه يهد السبيل القنى في أقل التقدير .

ونحن نقترح ما نقترح من أمره مع المحافظة الشديدة على الشكل الهندسى والارتفاع به حتى يكون دونه مجال الاقتراح . فان ما وراء هذا الرسم لانشاؤه مجال . وترى أنى لا أتكلف لهذا الاقتراح (عرق القرية) واعتصر الذهن على أشكال مناسبة . وانما غاية ما كان من أمرى ان اخذت بالاعتقاد فى زمن يكثّر الاسراف فيه . فان المجموعة الخطية المختلفة الاوضاع عندنا تشكل ثروة تجوز العد . وهى تتقارب فى أشكالها وهندسة الحروف تقارباً لا يبلغ حد الاشتباه بل تختلف بما تمتاز به . وهذه الثروة عوضاً عن أن تبقى لتطريف الخط على مثل التطاريف . نضعها موضع الفائدة . وتأخذ بها مأخذ الاستثنائية . ونحكم منها خطأ قديماً موزوناً جداً . وستجد له أشكالاً تعرضها هنا حتى لا يمرّ الشاهد .

ومن رأينا أن يؤلف (الخط الجديد) من النسخ . والرقعى . والفارمى والديوانى

والثلث .

فالثالث - للحروف المضمومة . أولا ووسطا وآخرًا .

والنسخ - للحروف المفتوحة . كذلك .

والرقعى - للحروف الساكنة كذلك .

ومن الفارسي والديوانى - للحروف المكسورة كذلك .

وهذا وإن كان يعسر التمييز بينه للتقارب في أول الأمر . فإنه يُعَبِّدُ عَلَى المِثَالِ والتعهد . وفي اليونانية حروف على هذا النسق متقاربة . ولكن لا تبعث على الاشتباه للمزاولة المتعاهدة من أول الأمر بالتعليم . حتى يَنْتَظِمَ بها حاسة دقيقة جداً . كما هو الحال في كل الأشياء . وكذلك نجد في السريانية تقارباً بين بعض الحروف . وفي العبرية أيضاً . ومع ذلك يشعر قليل كل لغة بسهولةها .

وكذلك نجد لها سائفة إذا أردنا أن لاتصعب عليها . ونَعْتَمِلُهَا متَأَمِّنين . وقد يؤخذ بأنها تُكَبِّدُ الطالب إتقان فروع من الخط كثيرة . ولكن يجب أن لا ينسى أنها تكفيه أيضاً مؤونة اللغة ضبطاً وتصحيحاً وأيضاً مؤونة النحو . على أن هناك فرقاً بين المِثَالِ على تمييزها وبين احسان رسمها . وإنما يكلف الطالب بالتمييز دون الآخر الذى هو من هَمِّ الخطاط وحده . وإذا صرفنا النظر وجدنا فى الأجنبية تعداداً للخطوط . يكلف الطالب بحجز كبير منها . فهو مضطر ليساير الشائع أن يكتب Capital-letter أول الأعلام وابتدأت الأسطر وهكذا .

ومن ثم تصبح العناية بالنحو واللغة فى التعليم الاولى قليلة من حيث ما يلزم للمطالعة منها . وقد يُعْتَلُّ بأن هذا الخط فى الخط . ربما أضاع جمال الهندسة العربية . وهذا قد يكون صحيحاً . بيد أن الخطاطين إذا تناولوه بالتهذيب . أخرجوا منه قلماً جميلاً بدون ما شك . ولا يبعد المثل عليه فهذا (الخط الأيوبى) ^(١) الذى اخترع بين الثالث والنسخ . ما زالت أيدي الخطاطين تراوحه حتى بدا أجهل منهما معاً . ويكفى أنه اتخذ قلم دولة . ومظهر حكومة

ولا نجد داعياً إلى وضع حرف مشدد بل نلتزم الاحتفاظ بالشدة . ووضعها فوق

(١) راجع كتاب قانون الرسائل للعيرفى ص (٨)

الحرف الذى بشكله يدل على حركة الشدة . وأما (ال) الشمسية فترى رسمها فى الساكن (الرقى) وإذا وقعت بعد ساكن . تحرك بالكسر أو بالفتح . وإنما اخترنا أن تكون هى دليل الحركة فى الحرف . لئلا يظن أن الحركة أصل فى الساكن قبلها . وليكون دليلا على عروضه لالتقاء الساكنين . وأما همزة الوصل فت رسم فى الساكن (الرقى) وأما التنوين فى الحرف فأشارته (ة) مثل (ل) .

على أن ملاحظة الآخر على سنة هذه الحروف . صعبة لعدة الاعراب فى العربية التى يتغير كثيراً . مما يصح معه أن نصطلح على إعمال الخط العرب فيما عدا الاعراب التى لا يفتقر إلى كبير مجهود . وبما أن الأصل فى الآخر (الوقف عليها بالسكون) . فنرسم أواخر الحروف مطلقاً التى هى متراوح الاعراب فى الساكن (الرقى) . ولما هو مقرر من أن (العارض بمنزلة المعلوم) . وأيضاً الشكوى ليست من الاعراب وإنما من البناء أى تحقيق ما هو مقتضى الابنية فى العربية الصحيحة .

هذا ما تراه . وستجد مثاله فى الحروف المثبتة والأشكال المعروضة . وللهيئات الخطية أن تبدى رأيها . وتأخذها بما يلائم من اصلاح وفنية .

يدبقى رغم كل ما يدخل عليه من اصلاح وتهذيب وتحسين . صعباً على الطفل البدئ . فهو من الناحية التربوية . يبدو عقياً بعض الشيء وهذا مأخذ قد يكون جوهرياً ولكن يمكن أن يخطأ له بأحد أسلوبيين

(١) أن يعلم شكلاً من أشكال الخطوط العربية كالنسخ والرقى ساذجاً . وفى الأول ابتدائى يؤخذ بتعليمه الخط العرب .

(٢) أن يكون تعليم هذا الخط العرب على طريقة التوزيع بمعنى أن يعمد إلى الكلمات المضمومة فى كل حروفها . والتى توضع فى الثلث - والكلمات المفتوحة فى كل حروفها والتى توضع فى النسخ - والكلمات المكسورة فى كل حروفها . والتى توضع فى الخط المختلط - ويقتصر عليها فى ترويض الطفل للوهلة الاولى . حتى يتمرن من مزاوتها على هذا الشكل . وتنطبع فى ذهنه فوارق الخطوط بكل وضوح وهكذا حتى يدرك بنفسه مييزات كل خط بدون تلقين أبداً . ولكن بالاستنتاج المجرد . ومن ثم يؤخذ

الطفل إذا قطع هذه المرحلة . بالكلمات المختلفة الحركات والمترضة بالسكون . حتى
تم منزلة هذه الخطوط من نفس الطفل كما لو كانت من طبيعة الحروف . وبهذا يعود
الخط في ذهن التلميذ . وله قياس مترتب الحلقات . مطرود النظام . بحيث يستسيغه
استساغة مطلقة .

وهذا الأسلوب الثاني . أفضل من الأول في الترويض على الخط . ومن هنا
يصبح كما ترى خطأ سائغا لا مشكلة فيه .

ونحن إذا حددنا لهم هذا المقدار من الشكوى . أو حددناها شكوى في هذا المقدار
واصفينا اليها بانتباه حكيم . حتى كان من كافة رجالات العربية مناولة لها مشتركة .
بأفضل الوجوه والأوضاع الممكنة التقدير والاحتمال . فأننا لا نحمد ما وراثها مما يزيد
على مقادير الجد . ويكون غنجاً من الغنج . ودلالاً من الدلال . هذا القنبح المرتسم
بالشكوى أيضاً من صور الحرف على موقعه من الكلمة أولاً ووسطاً وآخرأ . وهو لا
يفسر إلا بأحد تفسيرين .

إما ان الجماعة تريد أن تدرس العربية ولكن كما يقول العامة (بدون نفس)
وما احبلاها كلمة فيها قوة . وفيها حقيقة وفيها براعة اخاذة .

وإما أن يكون استتارة مثل هذا الأمر مقصود وراء ما تعطى الألفاظ . ووراء
ما تخفي الظواهر . وهو على المكشوف وضع العربية والعرب . أمام الأمر الواقع الذي
لا مفر معه من اعتماد العرب على أحد لونين . إما الكتابة بالحروف الصوتية .
وإما الكتابة بالحروف اللاتينية من أول الأمر . مما يختار أولاً وهو الثاني في بادى
النظر قطعاً . وذلك لما يسببه الأول من ارتباك لا أقل فيه من الذي اجتهدوا بالخلاص
منه . ونحن نميل الى الاتهام ونعتبرها ليست شكوى . بل طلائع محاولة خطيرة . إذا تم
وأخذ المصريون بها انعزلت مصر . وفقدت كل ما تتمتع به من مكانة سامية . فان
هذا الطرف منها والحق . ليس له لون الشكوى في شيء وإنما هو الإلجاء والإخراج .

حروف الفتح

«أول»	«وسط»	«آخر»	«أول»	«وسط»	«آخر»
ب	ب	ب	ب	ب	ب
ج	ج	ج	ج	ج	ج
د	د	د	د	د	د
هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
و	و	و	و	و	و
ز	ز	ز	ز	ز	ز
ح	ح	ح	ح	ح	ح
ط	ط	ط	ط	ط	ط
ي	ي	ي	ي	ي	ي

حروف الازكان

أول	وسط	آخر	أول	وسط	آخر
ب	ب	ب	ب	ب	ب
ج	ج	ج	ج	ج	ج
د	د	د	د	د	د
هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
و	و	و	و	و	و
ز	ز	ز	ز	ز	ز
ح	ح	ح	ح	ح	ح
ط	ط	ط	ط	ط	ط
ي	ي	ي	ي	ي	ي

نموذج من الخط الجديد

نظمت عقود جما نھا لکن بدت

(١)
فکلھا قطفًا وبکری الزہرة

الامثلة

يختصون الاملاء بجزء كبير من شكاوهم . المطبوعة على غرار لا يختلف في كثرة ما يختلف الشاكون . ونحن وان كنا نحس معهم صعوبة في قواعد وضع الهمزة . وفيما يخص الف اللين المنقلبة عن ياء او واو . لا نرى من الانصاف اللجاج في الشكوى . فان العريه اذا كان في هذين وجه صوبتها فقط . ففي بعض اللغات الاجنبية ما يضاهي . هذه الصعوبة باملاء كل كلمة . كالانجليزية التي تنطوي على اختلافات . وبقايا وزوائد اثرية تارة . وتقليدية تارة اخرى لا تنظر الا الى مصدرها البعيد . ومع كل ما نجد في الانجليزية من هذا لانسمع تأقنا يصم الاذان . ويستغل كل مناسبة على كثرة ما تدرس بين ظهرانينا .

(١) بيت من قصيدة قلها في صديقي الاديب (بكرى الصديق) وقيله . . .

« صدي اکتلت على لآلئ رطبة قد جادها مطر رخي غيدق »
« وکأنما اسداقها درية قد اطبقت حملا زهاها رونق »

والزبرق من اوضاعنا الجديدة لكلمة (locket) في الانجليزية ومعناها المدايون او الذخيرة وكان يقول العرب في معناها (واسطة العقد) والاصل في الوضع قول العرب للبدر زبرقان وهو مثني أميت مفردة على مائص عليه المحي في (جني الجنتين) فأحييناه لمعني بدر الآلئ الذي هو واسطة العقد طادة . . .

« تنبيه » وقع في حفر الا كليشيات تقديم بعض صور الحروف على بعض كما في حرف الحاء من حروف الكسر . والابقاء على أذنب الحروف الواقعة اولاً كاليم من حروف الضم . فليتنبه الى امثال هذا .

ولا اجد داعياً الى ان اسوق شواهد واستكثرها من هذا الاختلاف .
فانه اللغة برمتها واقية . وان كاتب قد يلتمس له علل لغوية فلا ينافي صعوبة الاملاء
الى حد الارهاق .

ورغم اننا نرى العربية ليست على صعوبة من هذا القيل . فلا علينا ان
نبقى على ما هي من املائية لا ترهق دراستها . كنا ابدينا رأياً يضعها في نحو ايسر طلباً
واطوع عملية . نأق هنا على تلخيصه فانه لا يعدو مناسبة .

لا نظن بان احداً يستريب في قواعد الاملاء . وان خضوعها للفرض بأكثر مما
خضعت للمحاكات الدقيقة والاستنتاج عليها . وهذا ضروري في جانب تراث حفظه
من التقدم الكتابي ضئيل . ومن وجه آخر نشاهد بان اللغة مفرداتها وموازينها . لم
تستقر على وجه التام . مما يكون معه على جانب كبير من البداهة . تقدير وجود
املاآت قبلية مختلفة اختلافاً يندأ بصورة غير يسيرة . ويشهد لهذا حتم عثمان (ض)
على كنية المصاحف (الام) بان يكون الرسم آخذاً سنة قریش في الكتابة
والتصوير . على ما ذكره الداني والسيوطي وغيرهما .

فلا سبيل اذن الى انكار ان بعضاً من الصور الاملائية التي قبلها اللغويون
على علائها . اى كصورة متممة للاستقراء الاملائي . باعتباره موضوعاً من الصرف
هى من الاملاآت الاثرية التي تمثل عهداً اتقضى او ينقضى باوزانه ورسومه .
وانما بقائها في العربية الحديثة كبقاء حيوان من الفصائل المنقرضة يغالب الحياة في ان
تقبله مع منافسه الاصلح . (ويمكن ان تسمى هذه الأثریات بالمتحجرات اللغوية التي
يبقى عليها لصالح التاريخ ومن ثم يظهر وجه كيف تكون اللغة ايضاً في سلك التاريخ
الطبيعي) .

وفي اللغة تبقى النقائبات لاعتبارات عدا المنافسة . تتبع القبيلة في سيرها الارثاقي .
وعليه فالخطأ الذي وقع فيه اللغويون من وجهين .

(١) ظن ان الأثرى من اللغة الحديثة التي عرضوا لدرسها واستنتاج قواعدها

(٢) اخذ القبائل جميعها بملاحظة واحدة . فلم يستقروا الملاحظات القبيلة في

وجه الاختلافات .

ومن هنا يظهر بعض من سر الإبقاء على املائية القرآن من غير تغيير . او حجر هذا التغيير كذلك . لان القرآن كتب بمثلانهاج قبيلة بعينها . هي اتقن ماتكون للوسائل الكتابية . عند مقايضة القبائل . ولما تعد اللغويون وضع قواعد الاملاء . تناولوا الآثار الكتابية . وحكوا اجتهاداتهم الصرفية بصورة كبيرة . رفعوا مستوى القرآن عن ان يأخذوه بها .

على ان اللغويين كادوا يشورطون باجتهاداتهم على القرآن . ولكن لما اجتمع امر القراء بانفصال القراءة عن اللغة . واصبح لهم بما يسمى في لغة العصر (نقابة) او شبهها . وقفوا وقفة كان لها مطلق الأثر بعد ذلك بحفظ هذه الاملائية . وصيانتها من التغيير وزادوا محافظة حين افردوا املائية القرآن بالتأليف وجعلوها فرعاً من علومهم . وهنا اذكر قصة تقف منها على صحة ما نقول من اخذ اللغويين بقواعدهم على القرآن رغم اختلافها . فكاد يكون في القرآن رسمان مختلفان اشد الاختلاف او رسوم . ذكرها (ابن الاثير) في كتابه ^(١) نزعة الالباء قال :

(ويحكى ان بعض اكابر اولاد طاهر . سأل (أبا العباس ثعلب) أن يكتب له مصحفاً . فكتب والضحي بالياء . ومن مذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هذا النحو اولها ضمة أو كسرة كتب بالياء وان كان من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالالف . فنظر (المبرد) في ذلك المصحف فقال ينبغي أن يكتب والضحي بالالف . لانه من ذوات الواو . فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لثعلب لم كتبت والضحي بالياء ؟ فقال لضمة أوله . فقال له ولم إذن ضم أوله وهو من ذوات الواو . وتكتب بالياء ؟ فقال لان الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء . فتوهوا ان أوله واو . . . فقال أبو العباس المبرد أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة ؟ .)

وكذلك لم تضبط قواعد الاملاء . ولم توضع اصوله بعيداً عن النظر الصرفي . ولما لم يفرد بالتأليف . ومن كتب فيه كتب بصورة عامة لا تخصه بالذات كأبن درستويه في (المتمم او ادب الكتاب) . والصولي في (ادب الكتاب) .

وابن قتيبة في (ادب الكاتب) واكثر ما يظهر فيه هذا . قواعد وضع الهمزة .
والف اللين المنقلبة . ولذا بقيت فيهما مشوشة نوعاً ما . ومن ثم لا ترى مانعاً يمنعنا من
المضي في تقرير قواعد جديدة للهمزة ومكانها لا تكون على هذا المضطرب البين
(وكل هذا اذا لم تقرر حروف مشكوة) .

وانما لم نر مانعاً لاتنا بعرض نسق الكتابة عند العرب لانستطيع ان نخرج
بقواعد واحدة . او لانخرج بقواعد ابداء . مما ندرك معه ضعف التمويل على اسلوب
عربي عريق في شريعة الاملاء . وبالاخص حينما نعلم ان الاملاء أخضع لتطورات
على مقتضى الحاجة فكان يتأتى ويحتاط به مع ما يستوى والحاجة الباعثة قال (١) أحد
لغويينا اللبانيين ظاهر الشويري (ان قواعد الاملاء اصطلاحات كان لبعضها أوجه
قبل النقط والشكل وأما الآن فقد صارت ليست عديدة الفائدة فقط بل من جملة
العوائق) . ومن ثم نتركه للاجتهاد الصرف او للأرتاء وحده كالحط . فلم يكن
التجديد فيه . وتحديد قواعد خاضعاً للملاحظة اعتبارية . وعليه فلم يعد صعباً
اختصار قواعد وضع الهمزة . اولا ووسطاً وآخرأ ومفردة ومركبة على حرف من جنس
حركتها . او بعبارة ابن درستويه . (على حرف من جنس ما تسهل اليه) . وفي حالة
الاسكان تكتب على حرف من جنس حركة ما قبلها .

وقواعد كتابة الالف المقصورة تختصر بكتابتها على مثل لفظها الذي هو الالف
الهوائية . بقطع النظر . لان ما وراءه ملحوظ صرفي يضاف الى اللغة ويتعلق بالاشتقاق .
ويجب ان لا يعزب عن البال . باننا نرسل نموذجات لقواعد محتومة التقليد .
وهي بعد دعوة مرسله قد تجد وقفاً . وتصادف هوى .

ومع اني اعتقدها دعوة . حتم علينا الاخذ بها . ووضعها موضع العمل . تسهيلاً
على الناشئة . وترقيها على الاحداث . فلا ارى ان تتناول بها القرآن . لانه يرسمه
التقليدي بجميع المعالم الاسلامي على راموز واحد . له مسحة قدسية حبيبة . مما تصغر
معه اية غاية اخرى .

البيان

مضينا في دراسات واحاديث حتى جاء حديث البيان . والبيان حديث طويل واسع . نتناوله فتناول به علما غير واضح القصد ولا ظاهر الغرض . وموضوعا لا يقوم في مسائل وانما يقوم في خواطر . فجاء البيان كذلك منجرداً عن صبغة مابه يكون العلم . وانت حين تأخذ فيه تشعر بكل ماتريد ان تشعر به من تكلفه . حتي اذا اتيت عليه لم يبق منه الا انه (ايساغوجي والقاطينورياس) . اجريا على الادب في غير تقليد محكم . والا فأي معنى لثل (فخرى التشبيه من الكلبيات للجزئيات) الا ان يكون تصويراً لحركة النفس في المعقولات .

ثم أي معنى لان تأخذ في اللغة بتقسيمات دقيقة من نوع الوهميات وما اليها . مما هو خليق بان يكون تصنيفاً للصور الحاصلة بالحصول الشبهي . وايضاً فاي معنى لرأى السكاكي في (ائت الريع البقل) الا ما قرر من الاتزاع الفلسفي البعيد عن قصد الاديب .

والواقع ان درس البيان . لن يكون بهذا البيان . ونحن لا نذكر على المعلومات . التي يطالعونها بها في هذا العلم (كما يشاؤون تسميته) . انها صارت وقررت قسماً من علمنا . فلا نشجها باستغناء مطلق . وانما نريد ان نجعل دراستها للتخصص . فهو يدرسها على انها حلقة من حلقات تطور هذا العلم . وهو يتقنها لا من حيث ان لها ضرورة . فيهم على شا كلتها يات العرب وادبهم . بل ليتحقق لونا من دراسات الاولين .

والا فاي اخذ هذا يقوم . لاسلوب العرب اذا كان على نهج (ليس كمثل شئ) الذي كان نهجاً كافراً جعله امثالا . في نفس الآية التي جاءت لتتفي المثلية والمثل . وما أضر وأوْضُر الا لز منطق المتفلسفة في محيط الادب . واخذه على هذا التسق البعيد عنه اشد البعد . ومن اجل ما كانت عليه الآية من تجاذب الرد والمناقشة . الفت فيها رسائل كأنها المعضلة الخطرة . ولما نزل يبحثونها .

وانا لا استجيز لنفسي ان اقف من هذه المجموعة الثرة بالافكار . موقف الملحد

لها أو المقبر . وإنما أريد أن ندرسها (كما سبق وصرحت) في دور الاختصاص .
 كفكرة نبتت في محيط هذا الفن . من مثل ما يدرس المتخصص للفلسفة . نظرية
 الحكماء في الأفلاك . والمقول المشرة . ونظرية إدراك الكواكب وما اليها من الألاهى .
 ونظريتهم في الثقل وأنه قوة أو كمية وما اليها من الطبيعى .

وأما ما يجب أن ندرس من البيان كفن على لنا اليوم . فشىء غير هذا ابداً .
 لا يستقيم معه ولا يسايره ولا يأخذ نهجه . وإنما علينا أن ندون فيه مرة أخرى .
 ولقد تمثل هذا للاولين على اوضح صورة واليك ما يحدثنا (الزركشى) في
 عبارة مأثورة عن نقد العلوم (اما علم الحديث والفقه فقد نضج واحترق . واما علم
 النحو والاصول فقد نضج وما احترق . واما علم التفسير والبلاغة فما نضج ولا
 احترق) ونرى لنهجه الجديد احد وجهين .

(١) الفاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية . فان ما بقي يرجع
 اليهما من أقرب الطرق . إذا أنصفنا التطبيق ولم نتخرج عليه بتحليل محض . فهذه
 (الاستعارة بالكناية) يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائى فيقال في مثل .

« وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انشَبَتْ أَظْفَارَهَا الْفَيْتَ كُلُّ نَمِيَّةٍ لَا تَنْفَعُ »

شبهنا المنية بشيء له أظفار . وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق .
 وما وراء هذا من التخيل تخيل . أو بدون ملحظ التشبيه أصلاً . وإنما من أول الأمر
 يقال جعل للمنية أظفاراً . كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

ويمكن أن نرد مثل (لا صلبكم في جذوع النخل) إلى الكناية أيضاً والمعنى
 لا صلبكم صلباً في الجذوع . كناية عن شدته . لأن التعلق في الظرفية أشد . وإذا
 أبقينا على التضمنين النحوى في اصطلاحاتنا (وما فهمناه على أنه حيلة اللغوى ليعمل به
 فوضى العربية في الأدوات وعدم استقرارها كما سيجىء بحثه في موضوع التعدية
 والوزوم من المقدمة) أمكن رد الآية اليه في غير عناء .

وعندى أن الأولى أن نرد الاستعارة في الحرف إلى التجريد . وعليه

فالكلام - حقيقة . ومجاز . وتجريد .

والحقيقة - قسمان (١) لغوية وهي ما كانت على مقتضى الظاهر (ب) بيانية وهي ما كانت على خلاف مقتضى الظاهر . وتشمل المجاز العقلي . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة . من كل ما كانت الحقيقة مرعية فيه بلا بسة أو رمزية . وهذا يقطع النظر عن أن يكون في الاسناد أو في ظرفية أو في فضلة تابعة .

والتجريد - قسمان (١) تضمنين فحوى (ب) تضمنين ياني .

والمجاز - قسمان (١) تشبيه (ب) كناية وكل منهما مطلق . ومرشح . ومجرد . (وتعريف المجاز عندنا كتعريفه عندهم وهو الاستعمال في غير الموضوع لعلاقة مع قرينة مانعة) . ومن ثم يرد كيف بعد التشبيه مجازاً ؛ والجواب عليه ليس بسير بعد إنعام النظر . فان التشبيه بأنواعه الثلاثة يصدق عليه أنه استعمال في غير ما وضع لعلاقة وهي وجه الشبه . مع قرينة وهي التصريح بالمشبه . وتتقوى القرينة بأداة التشبيه . ولكن بعد أن فهم في (القرينة والعلاقة معنى على التسامح)

فالتشبيه المطلق - هو المذكور فيه الأداة ووجه الشبه .

والمرشح - هو المحذوف منه الأداة ووجه الشبه .

والمجرد - هو المذكور فيه أحدهما .

والكناية المطلقة - تشمل . الكناية البسيطة كزيد كثير الرماد . والمجاز المركب مثل (أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى) .

والمرشحة - تشمل . المجاز بالاستعارة مطلقاً من كل كناية مبنية على تشبيه . والكناية المركبة مثل (ليس كئله شيء) .

والمجردة - تشمل . المجازات المرسلة مثل (إني أراي أعصر خمراً) كناية عن شدة وضوح الغاية وهكذا ينبغي أن لا يفهم من عبارتنا بالاصطلاح . انا نبقى عليه وفيه موطن العلة . بل كان الغرض منه توضيح كيف ترد مسائل علم البيان إلى هذا التقسيم . وإلا فالاصطلاحات التي يتم الاحتفاظ بها هي .

(الحقيقة . والمجاز . والتجريد . والتشبيه . والكناية . والمرشح . والمجرد . والمطلق حسب) وما وراءها لغو من اللغو في سياسة التعليم .

(٢) من الوجهين - أن يقال . الكلام حقيقة ومجاز . وكل منهما . كناية .
وتجريد .
والكناية الحقيقية - تشمل الكناية البسيطة . والتشبيه . والمجاز المرسل .
والمجاز المركب .
والكناية المجازية - تشمل كل كناية انبثت على تشبيه . والكناية المركبة .
والتجريد الحقيقي - يشمل التضمنين النحوي .
والتجريد المجازي - يشمل المجاز العقلي . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة .
وكلا الوجهين منبئان على اعتبارات مختلفة لم نأت عليها اقتصاداً في بيان الفكرة .
واقصاراً على مقدار الاقتراح . وإذا أبدى المحيط العربي استعداده للدرس هذه
الأفكار بجد . بعيداً عن الهوى الثائر . أخرجنا ما تنفع منه على مقدار الضبط والسهولة
في كل من الوجهين بل الدقة أيضاً في حصر مسائل الفن .

المعاني والبديع والنحو والصرف

سأتكلم عليها كلاماً مجزئاً وعاجلاً على مقدار اجمال العنوان . لأن ما تناول
من النواحي . أما بيانية صرفة كما في الأولين . وأما لغوية على وجه الاعراب أو البنية
كما في الآخرين .

فالمعاني - لغة بمثابة المنطق في علوم المعقول . وتنقيحه بعدم درسه في كتب القواعد
كعلم . بل يدرس على نهجه في كتب الأدب كما نجد عند الجرجاني في (دلائل الإعجاز)
وعند الزمخشري في التفسير . بهذيب يتسق عند أخذه . في أسلوب مدرسي تخريجي .
وبهذا يكون أدخل في الدوق وأقرب مناطق النفس . وكذلك البديع

والنحو - صعوبته ليست في نفسه . وليس لأنه يحتاج إلى تكميل . أو من قص
يبدو في قواعده . فإنه بحق أو في المجموعة الدراسية التي أعطاها علماء الأدب وأصحابها
أيضاً . وإنما صعوبته آتية من أن الاجتهادات التي تمت عليه في خلال عصور عديدة
كانت تنضاف إليه مجتمعة . بحيث يستوعبها الفن بدون تصنيف ولا ربط بينها . ومن
ثم كان كنهه مجموعة اجتهدية لم تنفح ولم ترتب .

وعليه فليس يلزمنا فيه إلا أن تقتصر من علمه على أبسطه وأدخله في شائع الاستعمال دون ما وراءه . ونختار من مذاهب النحاة ما ينتهج وذوق العرب اليوم . دون ما نظر إلى كبير موافقتها للآثار الأدبية المحفوظة . مادامت قد عرفت لغة عربية . وحفظت على أنها كذلك لأنكر فيها ولا دخل . وبذلك ينسبك في شكل فنى . واسلوب تخرجى مدرسى . وطريقة تربية . والحق أنه كذلك واف بالمراد . وكافل للغاية التى يطلب من أجابا . وليس فى حاجة إلى زيادة درس فيما سوى تصنيف تلك الافكار وتأليفها على نحو يدخل فى (سيكولوجية التربية) وبهذا ينتقل اصلاح النحو من أن يكون لغوياً إلى أن يكون فنياً محضاً يعنى شعبة اختصاص أخرى .

والشئ الذى يجب أن لا يغفل عنه هو أن التصنيف المذكور ضرورى أن يدرس على ضوء القواعد التى أقررناها فى القسم الثانى والثالث من المقدمة وعلى بصيص التطور الذى أثبتنا أثره على العربية من كل الجهات . وهناك دعوة ترمى إلى إصلاح النحو على صورة تجعل قواعده كَيْفِيَّة . يد لا أفهم لها وجهاً يجعلها موفقة .

وأما الصرف - فهو فى حاجة إلى التدوين مرة أخرى ويقتصر منه على أدخل مباحثه فى النحو كالنسب والتصغير والجمع . وما بقى من الاعلال ومثله يضاف إلى علم الاشتقاق . وسترى فى ابحاث المقدمة ما ينسفه نسفاً . ويلاشى اعتباراته المرسلة ارسالا .

العروض أيضاً :

العروض وان يكن وجه المناسبة فيه لموضوعنا ضعيفاً . حتى يبدو وأسبابه فى مثل خيوط الشعاع . تناولته وقصدته بالحديث كما لو كان من أركان الموضوع . لما أنه من جملة أشياء العربية التى تستثار بالشكوى . ومهما يكن من ظروف هذه الشكوى وقوتها ومناسبتها . فالحق أنها فى هذه الفرع من فنون العربية حقيقة بالاثارة وجديرة بالاستماع .

فان العروض هو الفرع الوحيد الذى بقى لا يدين إلا إلى عمل واحد فقط . فنحن ندرسه على ترزم الحدود (التحليل) . وهو نتاج العقلية الأولى التى توفرت على

خترائه . والخليل عدا عن أنه عمل منفرداً في شيء لم يسبق بلون منه . ينتشر انتشاراً واسعاً على ما للعرب من أدب شعري يقايسه ويوازنه ويحاكي بينه . ويستمتع لأذن دقيقة الحس ثم يجتهد بضبطه وتسميته . ويفرغ عليه كل ما به يأخذ صبغة الفن . . وهذا عمل مهمل قليل عليه . فانه واسع النواحي . وحب الجنابات يقتضى استقراء في الرواية وتعاوناً على النظر . لا يقوم له الواحد .

وعلى أنى أنظر في الخليل أمة عبقرية . وجماعة مولدين ونسباً فذاً . فلا أستطيع إلا أن أحكمه بالشخصية التي لا يمكن أن تجيء إلا في أفاق محدودة . وكأننا لمس هذا أولسه بالفعل (السكاكي) في بحث الشعر من (المفتاح) فقال عبارة تنصف الخليل وتنصف الفن وتكبر من العلم والعالم .

« لا (١) يظن أحد الفضول عندهم في الباب من ضم زيادة على ما حصروه ليست في كلام العرب . فضلاً على الامام الخليل بن أحمد . ذلك البحر الزاخر مخترع هذا النوع . وعلى الآفة المخترفين منه من العلماء المتقدمين رضوان الله عليهم أجمعين . والافن أنبأهم . لم يكونوا يرون الزيادة على التي حصروها من حيث الوزن مستقيمة . والزيادة عليها تنادى بأرفع صوت

لَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا مَعْنٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ

إلى أن قال وهي أى استقامة الطبع المعلم الأول المستغنى عن التعلم . فاعرف واياك أن تقل اليك وزن منسوب إلى العرب لا تراه في الحصر . أن تعدقواته قصوراً في المخترع . فلعله تعدد اعماله لجهة من الجهات . وأى قيصة في أن يفوته شيء هو في زاوية من زوايا النقل لا العقل . على أنه أن عد قصوراً كان العيب فيه لمقدمي عهده حيث لم يهتوا لامام مثله ما يتم له المطلوب . من مجرد نقل الرواة وبمجرد الاستظهار بذلك اللهم صبراً .

فالخليل تفرغ بفرد له وضع الفن بكل ما فيه من اصطلاحات . وبكل ما فيه من شكليات معتبرة اعتبار القاعدة . فمن ثم كان عملاً غير هين . وعمل لا قد يترك

واضعه منصعباً بضبطه . يد أن النبوغ يفتزع الصفا ، ويستتدي الحجر . (كما يقولون) .
وهنا تنجلي عبقرية الخليل بكاملها حين بدأ عملاً وانتهى منه . فانهى في اعتبار الناس
كذلك . وان كنت تثر على اجتهادات للاخفش والزجاج وقطرب والمخاطمي فانها
اجتهادات في الشرح فقط .

ونحن من وراء ما قدمنا نريد أن نصل إلى أن الخليل حين قرر ما قرر . لم
يقصد به أنه كذلك قضية حاصرة . وانما يعنى انها ظاهرة فقط . وأظن بأن الفرق
بينهما واضح . وذلك لان كونها قضية حاصرة . يقضى بعدم جواز الخروج عليه . وأما
انها ظاهرة فتعنى وصف ما هو واقع دون حظر أو تحكم . والفرق في أخصر عبارة
كالفرق بين التعليل والوصف .

وان كان قد أخذ عمله بعد ذلك على وجه الالزام للشاعر بأن لا يتنكب . غير
ان الشاعر كان جوابه الصريح على هذا التحرج بلسان أبي العتاهية (أنى سبقت
الخليل) حينما قيل له في بعض شعره انه على خلاف علم الخليل . فقد وقع ان جاءت
عنده في الخفيف عروض مجزوة مخبونة مقصورة تصيرفيها (مستفع لن) إلى
(متفع ل) ونحول إلى (فعولن) وكذلك الضرب فيكون هكذا .

« فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن »

قال ... « عتب ما للخيال خيريني ومالي »

وكذلك ما استحدث من وقع المدق عند قصار وقال عليه .

« للمنون دائراً ت يدزن صرقها »

« حتى يتبيننا واحداً فواحداً »

وما أجدر كلمته أن يرسلها مثلاً . كل مجدد ملهم يقف منه المحافظون موقفاً حرجياً .
وما أجدر الشعراء أن يقولوا اليوم كذلك . أو يتخذوا كلمة أبي العتاهية شعاراً لهم .
على معنى أنهم فوق سلطان النقد من هذه الناحية التي تعنى الشاعر قبل الناقد . ثم
هي من هبة على الادب . لا من هبة الادب عليه . ولقد كان هذا في قرارة الشعراء

على التارخ كشيء هم أولو أمره . فهذا (المتني) لا يلتزم ما التزموه من وجوب
لقبض في عروض الطويل . على ما أخذه به المصاحب بن عباد في رسالته (الكشف
عن مساوي أبي الطيب) . وهذا (البهاء زهير) . يشذ كذلك في أبيات بحيث
لا يعرف لها بحر على ما ذكره (الصبان) في حد الشعر . وإن راح يتعمل بلزها فن
بعض المجازي . بعنف .

وكذلك وجدنا الشعراء يفتنون دائماً - فكان أن استحدثوا المستطيل وما إليه من
الموشحات والقوما . الى غيرها من الأنواع الكثيرة التي ذكرها ابن خلدون وغيره .
والذي لا ينكر . انه قد عرى الجماعة ضرب من التحكم في بعض دراستهم أو
قصدا أن يأخذوا الموضوع بشيء منه . واليك ما يذكره السكاكي وفيه تلمس مانعني ،
قال في الكلام على البسيط من المفتاح ^(١)

(وعن الخليل أن العروض المقطوعة لا تجماع غير الضرب المقطوع والكسائي
يرى خلاف ذلك الى أن قال وفي قصيدة عبيد بن الأبرص وهي
(أَقْرَبُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْعُوبٌ)

كثير من هذا القليل . وهذه القصيدة عندي من عجائب الدنيا في اختلاف
الوزن . والاولى بها أن تلحق بالخطب كما هو رأي كثير من الفضلاء)
فقد عند قوله (الاولى أن تلحق بالخطب) ففيه الشاهد الصريح لما قرر .

واليك قصيدة ^(٢) النمر بن تولب العكلى التي يقول فيها
« صَحَا الْقَلْبُ عَنْ ذِكْرِهْ تُكْتَمَا وَكَانَ رَهْبًا بِهَا مُغْرَمًا »
« وَقَصَّرَ عَنْهَا وَأَيَّامَهَا يَذْكُرْنَهُ دَاءَهُ الْأَقْدَمَا »

وهي تصح من المقارب الثمن المحذوف الضرب والعروض . الذي اقصروا فيه
على العروض السالمة وهكذا مما تلمس تقصه . وعلينا أن نحرر من أمره ما يتساق مع
مطالبنا . ويتسع لها وينهض بالادب .

(١) ص ٢٨٢ (٢) راجع مختارات ابن النجري ج ١ ص ١٦

ونحن من اعتبارات الاوائل بين ما يبيح لنا هذا الاخذ . فقد ذكرنا في حد الشعر انه القول الموزون دون زيادة قيد (على نهج مخصوص) . مما يعلتنا بأنهم لا يتخرجون من قبول النظم على غير الموازين المحفوظة . أو عليها مع تغييرات في الضروب لم تحفظ . ولا يستضيئون من اطلاق كلمة (شعر) عليها وان خرجت على مألوف ما أثر . ويؤكد هذا قول السكاكي حينما عرض لتعريف الشعر قال (١) (ومذهب الامام أبي اسحاق الزجاج في الشعر انه لا بد من أن يكون الوزن من الاوزان التي عليها أشعار العرب . وإلا فلا يكون شعراً ولا أدري أحداً تبعه في مذهبه هذا) . . .

وعليه فلا مانع من أن نعمل بمجد في هذا السبيل . وأن نأخذ بقصد وعزيمة . . وإن أبي علينا جماعة من الناس هذا النهج . فما أجدرنا أن نترك لهم كلمة (الشعر) ومجموعة أوزانه المحفوظة . ونعتمد في شأننا مذهب الامام أبي اسحاق الزجاج . من أن الشعر لا يقال الا لما هو جار على وزن من أوزان العرب . ونسعى مانعنا إليه من التحلل . اسماً غير الشعر إذا كان كل ما في الأمر تغيير الاسم . ومن ثم تطلق للأديب الحرية بحيث يتسنى له افراغ ما يريد به بكل مطاوعة ومواتاة . . .

ويستوى هذا القصد عندنا في أن قسم الكلام الموزون إلى شعر . ونظم . والشعر - ما جاء على وفق ما حفظ عن العرب الأولين في أوزانهم وضروبهم . والنظم - ما جاء موزوناً على غير ما حفظ عن العرب . وهو مباح للأديب ما دام صحيح الموسيقى لا تباين في مقاطعه ونبراته وهو على قسمين . . .

(١) نظم يأخذ منهج الشعر ويتقيد به . ولكن يتحلل بأجراء التغييرات مطلقاً في كل بحر مادامت معروضة لتفعيلاته . ولا تخرج بالبحر عن جرسه . ولا يتقيد بوضع تكون عليه العروض في البيت أو الضرب . بل يتحرر على نسق ما رأينا عند أبي العتاهية في الخفيف . وتجد شواهد في كثير من الشعر الذي مثلنا به في المعجم . واليك قطعة من قصيدة (٢)

« خَلِبَ الشَّيْخُ عَلَيَّ حُنُكْتِهِ يَدِهَانٍ وَطِلَاءٍ وَرَوَاةٍ »
« ظَنُّ مَعْنَى الْخُلْدِ فِي غَضَنِ الْحَيَاةِ وَنَجْمُهُ مِنْ خُلْدِهَا الزَّاهِي السَّكِينَةِ »

فأنك لو أخذت العروض في البيتين لوجدت بينهما في وزان تفعيلة العروض
اختلافًا لا يصح في نهج الشعر . فالأولى . محذوقة . والثانية محذوقة مزالة . . . واليك
مثالا من قصيدة ^(١) على الخفيف ليتضح عليها الغرض .

« إِنَّمَا بَنِمَةُ الْحَيَاةِ أَمَانِيْ فَأَعْظِمُ بِبِنِمَةِ الْآمَالِ »

« فاعلان . متفعّلن . فعلان فعلان . متفعّلن . فاعلان »

« يَا مَلِيكَ بَدَتْ طَلَاتُكَ الْغُرَاءُ فِي مَجْدٍ أَعْظَمَ اسْتِقْلَالِ »

« فاعلان . متفعّلن . فعلان فاعلان . متفعّلن . فاعلان »

« عَلِمَ فِي الْجُنُوبِ قَدْ ظَلَّ الْأَجْيَالُ زَيْهًا وَآخِرُ فِي الشِّمَالِ »

« فعلان . متفعّلن . فاعلان فاعلان . متفعّلن . فعلان »

وبمقايسة ما صارت اليه التفاعيل من أبيات القصيدة يتبين لك مقدار ما قصد من
الأخذ الجديد . الذي يتسع بالاعاريض انشاعًا لا يخرج بها على سنة البحر ولا يغير من
موسيقاه ولا جرسه . بل ربما كان إلى بدائه الأذواق أقبل من بعض الزحافات التي
قبلوها لشعراء سابقين . من مثل ^(٢) ما ذكره الأمدى في شعر أعشى بن النباش التميمي .

« وَبِلْ أُمِّ بَنِي الْحَجَّاجِ إِنْ نُدِبُوا لَأَبْجُلَ فِيهِمْ وَلَا فِي الْخَضَمِ إِشَارُ »

وقويّه (ويل لأم بني الح .

وكذلك نجد الجماعة تقرر في زحاف الخفيف . ان التشعيث يجري في فاعلان
الضرية والعروضية . ولكن مع التصريح لا غير . واختلفوا في كيفية إيقاع التشعيث .
وهكذا . مما تجد في القصيدة المثبتة مجاوزة شأنه وخلافه . وإنما قيدناه بالنظم الشعري من
حيث هو جار مع أوزان العربية بازاء تام إلا في تعميم اجراء التغيرات على الشرط
السابق من عدم الخروج بالبحر ولا الاخلال بالتوازن الموسيقي . كما يظهر من عمل
أبي العتاهية على الخفيف . فعندهم التشعيث لا يجري في بعض البحور . وعندنا يجري

(١) هي قصيدة الاهداء الى جلالة الملك التي توجناها الكتاب

(٢) المؤلف والمختلف من ٢١

في كل وتد مجموع من أى بحر وهلم جرا . ونعني بالتجاوز والخروج أن يجمع في القصيدة الواحدة بين بيت تام وبيت مجزوء . أو التغير بحيث ينقل البيت من بحر إلى بحر آخر يداخله على قرب . ومن ثم نعرف ان المحذور هو هذا فقط . وما وراءه من لزوم للعروض في القصيدة أو للضرب أو للتنغيلة على وجه فيما لا نرى أمره . حتى ولو كان بين البيتين في العروضين . حذف وكف ككل ^(١) (شعر)

« وَفِيهِ افْتِدَاءٌ حُقُوقٍ غَدَتِ تَنْتِ بَلِيلٍ إِذَا مَا اغْتَرَمَ »

« وَفِيهِ نِدَاءٌ يُصِمُّ يَرْوِعُ ظَلُومًا غَشُومًا إِذَا مَا اخْتَكَمَ »

« وَفِيهِ نِدَاءٌ أَبَا الظَّالِمِينَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا فَلِلْحَقِّ يَوْمٌ »

فانك تجد بين عروض الأول وبين عروض الثاني والثالث مخالفة . إذ الأولى محذوفة . والثانيتان مكفوفتان . ولا وجه عندى لمنعه . وإن كان الأكل التزام التغير على أى الوجوه ولو في التنظيم .

(٢) التنظيم الجارى على ابتداء واختراع كثير من أخذ شعرائنا اليوم وفي السابق . فالمستطيل يقال له تنظيم ولا يقال له شعر . وكذلك الموشحات . ومن ثم تجد كيف اقتصرنا باسم الشعر على ما كان بالوفاء التام على أوزان العرب وبمجردهم . أو بعبارة أدق بالوفاء التام على أوزان الخليل وبمجرده . لأننا لانستطيع أن نَحْكَمَ العرب بعمل الخليل الذى لا بد أن يكون قد أتى قاصراً عن الاحاطة ببعض الشئ

وأرجو أن أكون أوضحت بهذا . منحنى قد يجد الشعراء عليه سهوله تحقق بعضاً من أهدافهم . فلا يعالجون من الشعر كما يُعالج من علك الشكيم . وأنا أعرف أشخاصاً عندهم مري من الأنهام الشعري فعدوا عنه لاعتياصهم بالشعر على فنيته المقررة . وهذا الاعتياص شمل كل شاعر مما اقتعد . فقد حدثني بعض من لغويينا هناك في لبنان . بأن الجزء الاول من ديوان المرحوم أمير الشعراء (شوقي) في الطبعة القديعة . مملوء بالأغاليط العروضية .

وفي الحق لا أرى أفضل من اعتماد رأى الزجاج . وبه تتمكن من احلال ماتريد محل الاعتبار حتى من جماعة المحافظة المستدقة .

(١) من قصيدة لنا بنوان (ذكرى عاشوراء محرم)

« داء العريية ودواؤها »

« أو تخصيص الموازين »

ليس ما أحاول هنا عملاً من تلك الأعمال التي قد تكون هينة المطلب . ولا عملاً بركب الخاطر الشارد في جذر الدهر ومد الفطرة الأولى . وتأتي نتائجه على نسقه من التقدير المرسل . فإن ما عمله وأريده مجتهداً . هو شيء خلاف التقدير وغير الخاطر فهو لا يتناول اللغة في تاريخها . ولا الفكرة اللغوية من حيث خيالها على اللغة . وإنما يتناولها في مقدار قرارها بين أشياء المستقبل المعتم . ومقدار ثباتها في جانب الموجودات الحقيقية . التي لا تقبل إلى جانبها موجوداً ليس منها وليس له ذلك النصيب من الحقيقة الذي يحفظه . وإنما كل ما فيه من معني الوجود انه كان فقط .

ولذلك فهو موجود غير متماسك . حيث تكون الحياة فيه على انفصالات . وفي أطراف غير متواصلة . ومن ثم كان الاخلاص عند رجال اللغة يدعوم إلى الأخذ في مذهب آخر أكثر جدية . يمكن أن يركن إليه وتكون به اللغة . فإن عمل اللغويين في الفترة الماضية . لا يبدو أنه برهان على قدرتهم اللغوية وعدم عجزهم المسيطر فقط . وأما اعداد اللغة للوجود بين متنازع الحياة ومعتك البقاء . فهذا ما لا أظنهم يستطيعون أن يزعموا بصراحة أنهم فعلوه . وربما كانت مثالة عملهم كقلب السعادة الذي يجمعه الساحر من كل قلب وما هو في الحقيقة الأمزاق قاذية من كل قلب .

وأنا أعدو هذا الآن لأخذ في مذهب الجدل الذي أراه . واجتهد بتقريره وأدعو الناس إليه في جرأة وصرامة . وإنما استجيز هذا المنطق الصارم . لأن الناس لا يزالون يتمسكون بأوليات . يزعمونها . لم ترق في يوم من الأيام إلى الفطن فضلاً عن رتبة العلم فالضرورة . والتي جعل لها هذه الأولوية . مزاولة درسها والنصب على تعاطيها بدون مناقشة لها ولا تردد في قبولها . وهذا شأن كل دراسة مهما كان نوع صحتها . ومهما كانت نسبة العقل فيها . ولعل أقرب مثل لهذا ، التجميع المنبني بدون شك على اعتبارات تجريدية وضوحية فقط . ومع ذلك نجد من الهنديين من لا يجرؤ على الشك بنتائجه

ولا يسمح لنفسه أيضاً في قرارة الضمير أن تتساءل عنها . على أننا أصبحنا اليوم وجهاً لوجه أمام المذهب العلمي الذي يأخذ كل شيء على أنه في حاجة إلى الدرس مرة أخرى . ويتساءل ما استطاع في صدق كل هذا . وبعبارة أحصر أمام المنحي العلمي الذي يتبدى كل تفكير . وبحق كان (ماركوني) مديناً للجرأة في هدم الأولية الطبيعية التي حالت زمناً دون تقدم اللاسلكي . .

واظن قد آن لنا ان نتحلل من مسحة التفكير الصوفي (سلم تسلّم) . لان السلامة أصبحت في شيء آخر يبعد اشد البعد عن التسليم بأي معانيه . فقد أصبحت اليوم في ضد ذلك الشيء . الذي غير الناس على تسميته بالفضول . فالعلم اليوم يفرض الفضول . ويفرض ان يكون كل عالم بحق فضولياً ويفخر بهذا الفضول الذي هو ضمانه التصحيح العلمي .

على ان العهد برجال اللغة الاولين عدم هذا الركون الذي تأخذ انفسنا به . بل ونحملها عليه حملاً فظيماً . فقد حدثنا ابو البركات ابن الانباري في (نزهة الالباب) حيث ترجم لشيخه ابي منصور الجواليقي . كيف كانوا يناقشون باستخفاف بالغ اية فكرة حول مسألة لا تشرحها . وانما تتكاف فيها ما لايسهل التسليم به . فهو يذكر لنا كيف اعتمد شيخه ما ذكره ابن دريد في (ليس) وان اصلها (لا ايس) . وكيف انبعث ابن الانباري يناقشها عليه في سخريه لاذعة .

هذه الحكاية على كونها طريقة او نادرة ترينا منحي من فقه اللغة في سير الدراسات الاولى التي لا تخرج في مجموعها عن كونها التماسات مجردة . ومن ثم قالوا (النكات لا تنزاحم) . .

ومن وجوه الضعف فيها ايضاً الاجتهاد بتعليل كل شاهد على حدة . بدون اية ملاحظة صومية . ومن ثم انتهت بهم دراساتهم الى ما انتهت اليه من عدم التلاؤم وزاد فيها هذا المعنى . حينما ظهرت حاجة العربية الآن الى ما لم يكن لها به عهد فوقفت على معنى الحرون لانه اخذ لا يلائمها فاعتاصت عليه .

وجملة ما نكثر من الحديث بين يديه . ان تكون نظرتنا الجديدة في درس

العربية نظرة اقتصادية محضة تعمل على الاستثمار وحده . وان نجتهد في الاستفادة من الموجودات التاريخية في غير ما تركها دُمى او عاديات او شواهد قبور . فان الاحتكام بمنطق السماع يجعل مخلفات العربية شيئاً من هذا القليل فقط . لا فائدة فيه اكثر من انه ثروة من التاريخ . واذا جاوز وضعه التاريخي . سقطت قيمته واعتبر كالمزيمات التقليدية تصادر وتطارد بين هنا وهناك .

وسبيل الاستثمار عندنا يقع في نحوين .

(١) توحيد المعاني في المادة الواحدة . ونعني بهذا جعل كل معانى المشتقات مزيدة او مجردة من مادة . معانى للمادة . مما يصح معه اشتقاق المجرد من المزيد الذى جوزه الشاطبي وغيره . ومن ثم تكثر الوحدات المادية . للمادة الواحدة . وقد أريناك شيئاً من هذا عند العرب ودللنا عليه في غير هذا الموضع من المقدمة . وفي اللغات الحية الاخرى مما يكون له اعتبار المذهب اللغوي العام . على ان هذا قد وقع في ملحظ الامام ابى اسحاق الزجاج حين قرر^(١) في كتاب (الاشتقاق) ان كل لفظين اتقيا بعض الحروف . وان نقصت حروف احدهما عن الآخر . فهما مشتقان فكان يقول بان (الرَّجُل) مشتق من (الرَّجُل) و (الْعَقْل) مشتق من (الْعَاقِل) وهذا كله بحسب ظهور المعنى ووضوحه بين المشتقين .

ولقد نص رجال اللغة باشتقاق العرب . مثل مزكوم من ازكاه ، ومقرور من اقراه ، ومكروز من اكزه ، ومغموم من اغمه ، ومحموم من احمه . فلا مفر من اعتبار الوحدة المادية لتوسيع باب الاشتقاق . وهو اعتبار من صميم اللغة وروحها في غير اعمال ولا افعال . ولكي يبقى هذا كشيء له وجه صحيح . يجب ان نجيب على سؤال . وهو اذا سلمنا ما يقضي به توحيد المعانى ووضعناه موضع العمل على سنة الموازين المخصصة . فسيكون من المفرد الواحد عدد كبير من الكلمات على عدد الموازين . ولا يخفى ما يكون من تداخل بينها مع الاختلاف المعنوي طبعاً . او لا فيكون الوضع تحكيمياً . والجواب باختصار الشق الثانى ولا ضير فانه من السنن اللغوية التى تتفق على تبين

(١) راجع معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

ما بين اللغات . . فلو أخذنا مادة (سَفَح) بمعنى صب الدمع و (سَفَح) بمعنى وجه الجبل . وجعلنا هذين المعنيين وحدنى اشتقاق راجرينا عليهما الموازين ذات الخصوصية . لزم ان يكون معنا (سَفَح) بمعنىين على حسب الوحدة المادية . وعليه فتعتمد الى التخصيص الموقوف على التحكم . والاختيار الارتقائي المجرد دفعا للاشتراك . .

(٢) تخصيص الموازين بمعان وتأديات تقوم بها مقام الواحق في الأجنبية وهذا سبيل لا مفر منه . ما دامت العربية من اللغات الاشتقاقية لا التركيبية . فلا بد من أن تغني الصيغة فيها غناء ما . وتراد لارادة بعينها . ويرى المتبع لكلمات العربية انها قد أخذت بعضا من هذا الأخذ في صيغ بعينها سيمر بنا تعدادها والكلام عليها في فصل (تعليق واستنتاج) . ولكن لم تماثل فيه . فظل أثره كأخذ محدود

وهذا في نظري شيء . قد كانت العربية على دراك له . لولا أسباب إقلاية مفاجئة وقفت بها عند حد مانراها مسطورة في غضون الكتب المعجمية . ومن ثم أصبح حتما علينا نحن اليوم أن نقوم بهذا العمل عمل تخصيص الموازين . واحلالها لتأديات بعينها قارة . ومن وجه آخر نطلق سبيل الوضع عليها . والاشتقاق وفق ابنيتهما من أية مادة . وإلا فأي معنى في قرارة وجدان العربي لتخصيص وزان (فَعْفَعِيل) مثلا بمرمر يص . ووزان (فَعْلَمَال) بمحلبلاب . دون أن نقول منها حَسَحَسِينَ وحَسِينَسَان إذا ثبت أن لا امتياز لمادة عن مادة . وأما امتياز التعدي وال لزوم فسيأتي الكلام عليه . وبيان وجهه والأسباب فيما يظهر لنا أنه مذهب العرب .

ومن الشطط في العبث إذن . أن لا نروم ما كان يرام وأن لا نقول من فمفعيل الامرمر يص وهكذا . بل ضرورى أن نستفيد من هذه الموازين الكثيرة الوجة كما استفاد العرب منها . على مقدار الحاجة الذى هو التعليل الصحيح لعدم وجود الأمثال أو مثاليين من الوزان . عدا عما اضاعه الرواة وقات المعجميين .

وأنا لا أفهم شيئا وراء هذا من تعاليل تروح هكذا ملتوية حبرى . وكيف أستطيع أن افهم خلاف هذا وفيه وحده ثروة العربية وروحها الوثابة . مما يضمن لها

حياة ثرة في غير تخاذل ولا وهن ولا ضعف . وتعود من قوة حيويتها كما كانت تسيطر على مطلق الأفكار . وتذهب مع شتى التصورات مذاهبها من الدقة والاحتمال ولا تضعف أو تلين لشيء من الآثار المنتشرة بين ضمير الكون وحسه . ولا يلحقها رَهَق ولا مَعَجَزَة في هضم وتمثيل علوم وآداب الأمم المختلفة . بينما تكون حافظة لشخصها رغم ما حمل عليها وما تمثلك في وجودها .

والحق ان دراسة هذه الموازين من الصعوبة بمكان . ولكنها في الوقت نفسه طريقة ايماطرافة وهي توضح من سير الاشتقاق في العربية وسنة التفريع . وسر الزيادة وان كان على شيء من الغموض ايضا نظرا الى ان النصوص التي بين ايدينا اليوم لا تفي بكل المقصود من الدرس . فهي لا تحتفظ بشيء زائد عما يسمى بالمعاني المطلقة أي لا تحتفظ بخصوصيات هذه المعاني حتى يتأتى لنا درك الملحظ الاعتباري الزائد في الوزن الشكلي . بيد أنها تكشف في الحين نفسه عن أنها خضعت لتطورات كثيرة لبُدت فيها الخصوصيات الزائدة حتى لم يبق لاكثر هذه الزيادات الا دلالات مبالغية فقط واليك (وزان فعَّال كخطاف وفعَّال كقذاف وفعَّال الذي منه جلواخ الخ) مما لو ذهبت تنبجه تنقص أمره لوجدت دلالات متفاهمة ومعان متصاقبة . لا تباعد بينها الا في اعتبارات قد لا تكون ملحظ العربي ابدا . والشيء الآخر الذي يعتبر التقصير فيه أبلغ . ان الكلمات التي جاءت على هذه الموازين لم تحتفظ لنا في استعمالات وشواهد يمكننا أن نعلم من اليها .

ونحن رغم هذا التقصير اجتهدنا في استخراج معان قارة وثابتة لها . بعضها من لطائف الاستعمال . وبعضها من التشخيص المادي . وبعض أخذنا فيه بالتحكم العلمي في مواطن الاصطلاح . وما هذا بغريب عن اللغات حتى التي تبني انبناء تركيبيا سهل معه إيجاد الملاحظة بصورة وافية . فلم يكن اذن مقابلة اللاهجات الكيميائية شيئا يمكن استنتاجه على مقاربة بل بالتحكم المحض والاصطلاح وحده . ولا خير في هذا ما دامت الكيميائية نفسها تبني انبناء اصطلاحيا حتى في الاحنية نفسها .

والواقع أن السبب الذي نضطلع به من هذا . ليس باليسير الهين بل يثقل الى حد الارهاق ويطلع دونه . وهو حري بهذا فانه يقتضي نقوذاً الى ضمائر الالفاظ وهي مستدقة .

وأنابعد ذلك لا انزلها منزلة أكثر من أنها افكار لها نصيب من الجهد . تدفع بالعربية في طريق معبد . يزداد مع الجهود المجموعة المستتعة تعبيدا . ولا أظن أى دارس منصف يرى فيها فرى على العربية . بل الفرية الحقيقية فى أن تقف بهذه الموازين على المقدار الأثرى فقط . والفرية فى أن تبقى دراستا صادرة عن (أى كذا خلقت) هذا الذى كم العربية فى شتى أوقاتها . وجعلها حتى فى أحصص جهود دراستها . لا تخدم مجتمعا فى شىء . ولا تصوره ولا تلون على نسق منه . والسبب فيه هو ما قدمناه من درس العربية على النحو المذكور .

ولقد يتعاطاك العجب حينما تتولى تأريخ الأثر اللغوى . فى جنب الحضارة الاسلامية فلا تجده الا نذرا أو لا تكاد تعثر له على أثر . إن فى لغة العلم أو الفن أو السياسة أو الادارة . ونظرة واحدة نأتى بها على مثل كتاب (صبح الاعشى) للقلقشندي وديوان الرسائل للصيرفى و (رسالة الديوان) للاسعد ابن ممانى . التى الفت لتصوير الحياة الادارية . وجانب من علم الدولة . تكفى للاقتناع بتخلف اللغة وعدم خدمتها لشيء . ما من أشياء الحياة الجديدة . سواء فى جانب الجد أو الهزل . هذا الجانب الذى يشمل على الطرف السار المرح من قطريات الحضارة ومباهجها .

وكبير جدا هذا التخلف الذى نشهده . فان لغة كالعربية امتازت بالسعة فى مذاهب البيان . والتفصح فى جنبات القول الى حد المعجزة . تقف على هذا الشكل عن تناول هبات الحضارة . يبدو عجيبا .

وليس لهذه الظاهرة التى تناقض طبيعة اللغة . وتناقض مروتها المعهودة . حين كانت تدفع لكل الاشياء ولادق الحواجز . بين الانسان والانسان . وبين الانسان وعواطفه وبين الانسان والمجتمع وبين الانسان وكونه الا تحليل واحد هو عدم فهم قدامى اللغويين . مذهب العرب ومعقولهم فى اللغة حتى اضطر الادباء والناس من ورأهم الى تناول الاشياء على ما هي . لان التقدم سنة الطبيعة يشمل كل شىء على رغبه والبيان سنة الانسان التى تلازمه ولا تنفصل عنه . ومن ثم خضع حتى اللغويون فى النهاية لتناول هذه الاشياء واستعمالها على علائها . بدون ما تشذيب فيها . ولا تغيير لما هي عليه من الشكل .

وهنا استطرق بذكر قصة مؤلفة من بعض الوجوه أوردها أبو بكر الصولي قال (١)
(ناظر فارسي عريا بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي ما احتجنا اليكم قط في
عمل ولا تسمية . ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم . حتى ان طيبخكم
وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمينا . ما غيرتموه كالاصفداج . والسكياج .
والدوغياج وأمثاله . وكالسكنجين والخنجين والجلاب . وأمثاله كثيرة وكالروزنامج
والاسكدار والفراونك ومثله كثير) فسكت عنه العربي فقال يحيى . قل له اصبر حتى
تلك كما ملكتم الف سنة بعد الف سنة كانت قبلها . لا تحتاج الى شيء . كان لكم

هذه القصة التي تنطوي منها على وخز ضمير وألم مرير . كل المسؤولية فيه والتبعة
تقع على كاهل هؤلاء الذين وقفوا موقفا حرجا غير مرغوب فيه كما يقولون . وكانت
الجماعة فضت في العربية أنها لغة لا تنسب الى عربي الفالوذج والاوزنج . كما تنسب الى عربي
الشيخ والقيصوم . بل هي ثروة خلفها عربي الجزيرة فهي وقف عليه . وهذه الثروة في
عدد محصور محدود من الكلمات طبعاً . فلذلك ينبغي أن لا يتجاوز بها رقم هذا العدد .
وبدل على ما نقول من هذا الظن . اختلاف الجماعة في التعريب وحدوده . فان أولئك
الذين كانوا أكثر مزاولة للحياة في حدودها . وخوضاً في شؤونها الدائمة كانوا أرفق شروطاً
وأكثر اقتصاداً . وبالأخص حينما وجدوا الحاجة ماسة اليه فقرروه (٢) في معالم واضحة
على أشد ما تكون وضاحة وجعلوا كل ما جرى به اللسان العربي على أوزانه من غير
العربية . عرياً ومنهم الأزهري .

وآخرون وهم الذين كانوا يقيسون الحياة على مقدار مقدمهم من حقة الاملاء .
وينظرون الى دهرهم من وراء معلقة امرء القيس ومن اليه . منعوا التعريب على غير
العرب ومنهم ابن فارس .

ولكن يا هؤلاء اذا كانت العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نجسه ونشعر به .
وتقف دون البيان عنه بأي لفظ من أية لغة فهي جذبة بأن لا تكون الا في متحف

(١) ادب الكتاب ص ١٩٣

(٢) لا يفهم من كلامنا اننا نقرره كما قرروه فانه سير بك راينا في التعريب واننا لا نقره في
شيء ما من اسماء المعاني باطلاق القول وفي اسماء الاشخاص (الاعلام) تجربيه على قواعد
مخصوصة راجعها في بحث التعريب من القسم الثالث في المقدمة .

يكتفى الناس منها بالنظر اليها . وأداني غير مطمئن الى أن الجماعة تقرر فكرتها على مثل هذه الغاية . ولكننا نعتني شيئاً آخر هو ما سبق لنا أن تكهننا عنه . وهو أن الجدير بكلمة العربية . هي مجموعة الكلمات التي توضع المعاجم بالنقل عن لسان العرب قبل أن عراه ما عراه . وهذا الوضع الخرج الذي وضعوا فيه العربية . الحق بها فيما أرى نتائج كأشوأ ما تكون نتائج ومن أهمها :

(١) قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر . ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في العربية . فانك واجد في الشبهة المنطقية كلمات (المادة . والجهة . والموجهة) . وقد ذكروا في تعريفها أن كيفية النسبة في القضايا (مادة) . واللفظ الدال عليها (جهة) . والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) . ثم خذ أي كاتب كالسعد ومن يعنون بانثار مثله كمبد الحكيم والمطار في حواشيه على التهذيب والشمسية . فانك تراه ينشرون تساؤلاً عريضاً عن سبب تسمية الكيفية مادة . وهم يحقون بهذا التساؤل الذي لا يفرغون الى اليوم من جوابه . وان كان الاعتذار ليس بمحل من الاعجاز . وهذا الغزالي في (محك النظر) يرد اصطلاحهم في التصور والتصديق وبسميه معرفة وعلماً على أن هذه في جميعها لا ترجع من أية طريق الى جهود اللغويين أبداً . وإنما تدبر لعمل العلماء فقط .

(٢) جهود اللفظ في معناه فلا نجد على مرونة ولدانة كما يجب أن يكون . بل تشعر بأنه يتأرجح على نفسه . وينكمش في طبيعته . حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تقاذفتها السيول تبقى كذلك حصاة غير متحولة شكلاً ولا اعتباراً . ومن هنا أنهم بعض مستشرق الافرنج . اللفظ العربي بأنه (اكاشيه) لا اكثر وسمى العربية (لغة الاكاشيات) وجره الى انكار ان يكون في العربية ادب بالمعنى الصحيح .

(٣) نشوء العامية . ولقد يرى عجيباً أن أعد تشدد اللغويين لغة هذا التشدد . جر الى نشوء العامية . أو كان الأثر النعال اليها . ولكنني على ما يرى من عجب . فاؤكد به بصورة لا قبل الريب . وذلك لان الوقفة على هذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يهبر عن أغراضهم اليومية . وهي لا تنفصل عنهم بحال . أولاً يتأتى لهم أن ينفصلوا عنها بأي وجه . جعل العامة يهيجرون تباعاً هذه اللغة التي للخاصة رغم أنها

لغة التشريع والابتهالات . ورغم أن العامة لا تهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة إلا لأسباب ماسة لها حدثها ولها عنفها . والا فالعامة من الوجهة النفسية تميل جدا لهذا النوع من التقليد وتميل إليه حد الفتنه .

فالانصراف الذي نلمسه في العامية . قد كان اذن لأسباب لا يحقر أبدا شأنها . وكيف نمحقر وقد سببت انصرافا عاما . ولقد أخذ بان هذه النتائج التي اربتها تصح اذا سلم أن العامية كانت عن الانصراف المذكور . ولم تكن لأسباب أكثر وضوحا من الدخيل والامتزاج . ولكن الواقع يقرر أن الدخيل وما إليه . لم يكن بذى بال الا في الاعراب . والاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها . وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح . المفردات المتخيرة المنتقات . التي تشتمل عليها لغة الخطاب . ولعل غير بعيد أن تكون عامية اليوم أفضل بكثير من عربية القرون التي تقع بعد القرن العاشر . ولنا على هذا أوراق ثبوتية لا تزال تنطق بصراحة . وهناك نتائج يطول تعدادها . وأعتقد بأنه لولا غلبة العربية بحكم غلبة السلطان ولولا ضيق النطاق العلمي بحيث لا يتجاوز محيط العلماء لضج أولئك العرب كما نضج نحن العرب . وما ذلك من طبيعة اللغة ونحن نشهد مقدار ما هي عليه من السعة يوم كانت اغراض المتكلمين محدودة . حيث الجاهلية حقيقية . مما يصح معه ان تقول بأن العربية القديمة كانت اسمى من تفكير العرب القدامى . ونحن العرب اليوم نغار على العربية . من أن ننظر اليها نظر سالي اللغويين . وان كنا نعذرهم لان غرضهم اتجه الى وجه واحد وهو حفظ العربية من ان تأتي عليها الألسن الشتى . ونجتهد ونحن ورثة العرب الأولين أن نحقق كوننا خير خلف . وأن نعمل بملء اليدين . وجمع الكفين كما يقولون لاستثمار هذا التراث . دون أن نتركه على وضعه الذي كان عليه . ونكون مع ذلك أكثر صيانة للغة . وأكثر فقهًا لمعقول العرب فيها . ولذا كان من نابهي اللغويين الذين يفسرون اللغة على مقدار ما تستوي مع الحياة . مجاهرة بان اخذا من هذا القليل اصبح لازما . واول من اذكر له صرخة جريئة وحكيمة الاغوي المأسوف عليه ظاهر^(١) الشويري .

(١) هو من لغوي لبنان . وضع عدة رسائل منها (رسالة مقفلة) ورسالة تعقب فيها اخطاء القاموس ورسالة الجمع النواجم في اللغة والمعاجم ضمنها بعضا من افكاره الجريئة . ويستاز بالهدوء العلمي في درس ما يدرس . وقد وضعها كمقدمة لمعجم المأسوف عليه جرجس مام الشويري

ولقد لخص جملة افكاره في عبارات نوردتها هنا على اقتضاها قال بمنوات تليها
 (١) يجب أن يجعل متن اللغة قياسيا .
 (٢) يجب أن يقول بقول ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب وهو انه لا يقال
 بالشذوذ ما وجد له وجه قياس
 (٣) أن يقول بقول المازني كافي الاقتراح وهو أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم
 (٤) أن يقول بما في مادة (حلف) من المصباح . وهو أن عدم السماع لا يقتضي
 عدم الاطراد مع وجود القياس .
 ولشدة خطورة الموضوع من وجه . ولما احمل من موجدة على الدراسات البترا
 التي تعبدها في غير ما مبرر حكيم . تذهلني المناسبات ونحتم بي على مقدار أن انتقل
 اليها بالموضوع .

وبحسبي من حديثها ما ذكرت لانتقل الى درس فيه تفصيل على الموازين . وان
 كنت لا أرى في موضوعات العرب عليها فوارق حملت الواضع على اختصاصها . الا اذا
 صدق الظن الذي تقدمنا به من أن الفوارق تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول
 الرواة . وقد يقوى هذا الظن أن تكون آخذة شكلا تقنيا^(١) . على منحنى موزون
 خذ (فَعْفِيل) الذي يظهر أن أصله (فَعِيل) و (فَعْلَيْت) الذي يرجع الى (فَعَلَ)
 و (فَعْلَيْن) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الرأي في جميعه . باعتماد المقارنة
 التشاكلية . وان كنت أفطع بأني مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكنني اطمن
 اليها على أي الأحوال .

والملاحظة التي لازمتنا في دراسة الموازين . أن العربية كانت تصدر عن لواحق
 تزداد على الوزن اذا أريد لافادة معني اللاحقة زيادة على معناه . بدليل السوابق وما لها
 من المعني المعتبر في العربية الشاهدة كسابقة (أسنت) في (استفعل) التي تفيد الطلب
 أو الصبرورة أو العد . وأظن بأن هذا يقطع عرق النزاع كما يقولون من انه كان في العربية
 سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

(١) كلمة من وضعنا الجديد جعلناها ترجمة لكلمة (technical) واصلاها من مادة (تقن)
 العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والمراق من كل الجهات .

وكنا سنذهب إلى تقرير هذا الذي وضع لنا واعتبرناه ظاهرة ليس فيها شك
يد امتنعنا منه لشئين .

(١) انها خطوة واسعة تشبه العفورة التي لا تخلو عقابيلها من بعثرة وفوضى
مستطيرة . وليس ذلك من عدم صدق النظر . وانما من عدم سلامة التطبيق من وجه .
ولندرة الأمثال المحفوظة على هذه الموازين التي نحتفظ بالواحق من وجه آخر .

(٢) حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة . أن ينضاف اليها ما لم يكن
منها . ومعناي بهذا أنا بتقرير معنى الواحق بعيداً عن الميزان ثم اضافتها على الوزان
لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي إلى تزايد كبير في الموازين الجديدة على أشكال لم
تعرفها العربية العريقة . لانها لم ترم حاجة اليها . وان كانت ظواهر الدرس تقتضى
ان العربى كان يعتمد لواحق بعينها للدلالات بعينها . ومن يشك في هذا إذا تناولنا
(بعيدين عما تسببه الدهشة من استنكار عابث) مثل وزان (فعَلَوْتُ) (وفَعَّلَوْتُ)
و (فَعَّلَوْتُ) ووزان (فَعْلَان) و (فَعْلَان) ووزان (فَعْلَمَ) و (فَعْلِمَ)
و (فَعْلَمَ) ووزان (فَعْلَيْن) و (فَعْلَيْن) و (فَعْلَيْتَ) وهكذا .

وانما خصصنا مثل هذه الموازين بالذكر . لأنه يظهر فيها بصورة قاطعة للتردد
أو الاسترابة . ان العربية كانت خاضعة لما يدعونه بالواحق في مذهب زيادتها
ولكن تشذبت هذه الواحق حتى عادت وهي جزء من الوزان لا تنفصل عنه وكان
هذا بفعل الصقل اللغوى المستمر .

وينبغي أن يتنبه إلى الفرق بين كون اللغة تصدر عن لواحق . وبين كونها تصدر
عن موازين شكلية . فان الأول يكون أوسع نطاقاً لان الواضع لا يتقيد معه بشكل
من أشكال الموازين ، بل يضيف اللاحقة على أى وزان مجرد عنها لافادة المعنى
الزائد . فمثلاً لو فرضنا أن للاحقة (غَسَلَيْن) التي هي عندنا نظرنا (ين) تدل على معنى
الخلاصة وأردنا أن نفيد خلاصة من اسم مفعول (كَلَبُون) مثلاً الذى هو بمعنى . المضاف
اليه الين تقول (مَلْبُونَيْن) وهكذا عما لو أخذتها في (فَعْلَيْن) و (فَعْلَيْن) وشبهها
لوجدت بأن مجال العمل عليها أوسع نطاقاً من حيث الفائدة . ولكن يُقصد دونه أنه

اصطناع للعربية اصطناعاً. بخلاف ما إذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط ، فانه يكون في غايته اشتقاقاً متوسعاً . وقد تدرك فرقاً واضحاً بينهما . وان كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذى أخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا وأنه مذهب العرب ، ودليله ان لاحقة (وت) لم تختص بوزان ما . له طابع يميزه كما رأيت في فعلوت . وتعلوت . ولكنه كان مع ذلك خاضعاً لشروط أهمها .

(١) أن لا تزيد الكلمة باللاحقة على أكثر العدد الذى تكون منه الكلمة في العربية .

(٢) أن لا تجتمع فيها لاحقان (كفعْلان) مثلاً فلا يجىء منه (فعْلانين) و (كفعْلين) لا يجىء منه (ففعْلين) وهكذا .

ويظهر أن اللاحقة تعتبر في أكثر من حرف . فكل ما كانت الزيادة فيه حرفاً فقط كان وزاناً أصلياً يجوز أن تتبعه اللاحقة وتنضاف عليه . ونحن رغم أنا نعلن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة . فلا نرى العمل عليه للمحافظة على شكلية العربية . على أن كثرة هذه الموازين المحفوظة مغنية عن أحياء اللواحق والاشتقاق عليها . ولناخذ في عرض خصوصيات الموازين . كل ميزان على حدة لينجلي أمرها على صورة لا يتوغل من بعدها سير الاشتقاق . وهذا الأخذ وحده الذى ينقذ بحق الوضع العربى ويهد السبيل اليه بحيث لا يبقى عائق . عن إفراغ التعبير بما لا يتفاوت معه في تعبير النفس وتصوير الضمير .

وأهميته هذه آتية من حيث إنه يضمن توزيع الوحدات المادية على نسق علمي صحيح ، وهنا يجىء أمر التنبية على شيئين لهما أهميتهما في بحث الموازين .

(١) مسابقة الجماعة في اعتبار الاسمية والوصفية في كل وزان . ولكن على أن لا نستثني من الموازين واحداً عن هذا الاعتبار . ولا نقف عند^(١) قولهم (وقد يختصون الصفة بالبناء دون الاسم . والاسم دون الصفة . ويكون البناء في أحدهما أكثر منه في الآخر الخ) لأنه وقوف مع الموجود من العربية بدون مجاوزة في النظر من أجل

النام التعليل الصحيح . وإلا فأى معنى لهذا التقسيم الشاك غير المطمئن سوى الحيرة
في فهم مخلفات العربية على الوجه الواقى .

(٢) هذه الزنات جميعها قبل زيادة التاء المتحركة والتجريد . لا اعتبارات من
التأنيث والوصفية والمبالغة مما يجمعها قولهم (علامة الفرعية) وهذا قد نص سيويه
عليه في غير موضع من الكتاب وبالأخص في (باب ^(١)) ملحقته الزوائد من بنات
الثلاثة من غير الفعل)

فَعَلَ

خصوصيته الدلالة على الاتصاف بوحدة المادة قول (رَجَعَ) للشيء فيه الغلق .
فَعَّلَ : خصوصيته الدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف قول (زَبَدَ)
للتعدد الزُّبْدَ .

فَعَّلَا : خصوصيته الدلالة على المكان يوجد فيه الشيء على معنى التميز وعلى تعدد
الشيء في غير انفصال . قول (حَرَجَا) لمكان الغابات الكثيرة و (صَنَعَا) للمكان
تكثرفه الصناعة .

فَعَّلَان : خصوصيته الدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملاً من كل
الجهات قول (رَوَّانَ) أى صوت متكامل وآلة ذات روتان .

فَعَّلَتْ : خصوصيته الدلالة على سرعة التأثر أو الانفعال . وعلى سرعة
الاحتراق . قول (عَصَبَتْ) لتأثر الأعصاب السريع .

فَعَّلَن : خصوصيته الدلالة على نفوذ الوصف إلى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه
لظواهر العقل الباطن قول (نَفَّسَن) لرجل المختص بالأعمال النفسية كاللنوم المغنطيسي .

فَعَّاوَة : خصوصيته الدلالة على البروز من الوصف قول (أَثْبَوَة) للجداول
يفشق من أعلى الجبل ويوافق الجبل في انحداره . (حَبْنَوَة) لتواء الماء البطنى المسمى
بهذا الاسم .

فَعْلُوتُ : خصوصيته الدلالة على الاستعالة من شيء إلى شيء تقول (فَعْلُوتُ)
لاستعالات المعادن إلى أشياءها العنصرية . وفي (الاقرباذين) يدل على الموصول تقول
(كَلْبُوتُ) لمصل الكلب و (حَلْبُوتُ) لمصل الحليب .

فَعَل

خصوصيته الدلالة على الانصاف بالمادة مع توزع وعلى ما هو مثل (الزنبرك)
لوصف تقول (رَعَجَ) لشي المال الكثير الموزع في أيدي الناس بالترابي .
فَعَلٌ : خصوصيته الدلالة على الذي يحتوى على المائة الألفية من الوصف تقول
(عَقْدٌ) للذي يحتوى على أكثر من ألف إلى مائة ألف عقدة . ويدل أيضاً على الخلل
في الشيء تقول (نَعَمٌ) لنغم المختل المضطرب و (مَعْدٌ) للمعدة فيها ضعف .

فَعَلًا : خصوصيته الدلالة على الامكان من الوصف أي ما يلاقي الزائدة (ble)
في كلمة (salvable) أي ممكن التخليص تقول حالة الجو (مَحَبَّاءُ) أي ممكن أن
ينشأ سحب .

فَعَلَانٌ : خصوصيته الدلالة على التفاعل والاضطراب خفيفاً أو ثقیلاً تقول منه
لاضطراب الأنهر الرقيقة ولاضطراب الآليات تقول (هَرَمَانٌ) للضطراب من الهرم .
وفي كونه اسماً يدل على الذي يبدو ويختفي كالأضواء القائمة على وضع كيمي .

فَعَلَانٌ : خصوصيته الدلالة على الألف الألفي تقول (عَقْدَانٌ) إذا كانت
يحتوي على أكثر من مائة ألف عقدة

فَعَلْنِي : خصوصيته الدلالة على ما يحدث إثارة عظيمة تقول للقنبلة (فَعَلْنِي)
أي تثير الفناء و (فَعَلْنِيَا) أيضاً .

فَعَلُوتِي : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء بمبالغة تقول
(رَكَبُوتِي) .

فَعَلِيًّا : خصوصيته الدلالة على النفاذ إلى الصميم تقول (حَزَنِيًّا) أي حالة حزن نافذة إلى الصميم .

فَعَلُول : خصوصيته الدلالة على القابلية السريعة تقول (مَصْحُوح) للشيء يتلاشى ويصح بسرعة .

فَعَلِيل . خصوصيته الدلالة على ذي الخاصة التي يفرزها في الغير فتكسب خاصته أو يفعل فيها ذلك ويأخذ اسما من الخاصة تقول (خنصيص) للنبات السام الذي يضاف على الأشياء ليفعل فيها هذا الأثر .

فَاعَال : خصوصيته الدلالة على الذي يفعل الوصف بنفسه أو الذي يفعل نفسه ويقوم مقام السابعة الأجنبية (auto) ولكن يغلب في المعنى .

فَاعَل : خصوصيته كخصوصية فاعال ولكن يغلب في الحسن .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على مثل ما تدل عليه فاعال بملاحظة الملكة ويدل على الحامية أيضا .

فَعَالَاء : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى مع محاولة خلافه تقول رجل (شَرَارَاء) يقع في الشرع مع محاولة الخير .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على المبالغة في الفاعل . وإذا سمي به كان المراد منه ظهور الملكة والتخصص . فإذا قلت (نَوَّار) كان المعنى الشيء الذي يعطي النور بكثرة عن ملكة ثابتة . وأما (نَوَّار) بالتخفيف فالمعنى فيه . الذي خاصيته النور فيقال على (الفوسفور) .

فَعُل

خصوصيته الدلالة على الشيء ذي الوحدة من الوصف تكون في مضاعفات تقول (رَيْل) للذي لجه في طبقات . ويدل أيضا على معنى (كثير وأكثر) الذي يقال له في الأجنبية the comparative أي تفضيل المقابلة . وهو لا يراد منه معنى (أَفْعَل)

التفضيل تماماً بل يخص بما الوصف فيه من نفسه بخلاف (افضل) فهي أصل عام في باب التفضيل مطلقاً .

فَعَاةٌ : خصوصيته الدلالة على التطاول المترتب الجائز إلى المستقبل تقول (الدَلُجَةُ) ومعناه سرداب المستقبل المظلم

فَعْلَانٌ . خصوصيته الدلالة على التكاثر بالانقسام تقول (حَيَوَانٌ) أى حي تقاعى يتكاثر بانشطار الخلية وهو التوالد الذاتي .

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل في الطبيعة تقول (طَيُورٌ) لأعظم الطير سرعة و (فصيلة طَيُورِيَّة) وأيضاً (مَبُوحٌ) لأعظم السمك سرعة . وهو يفيد معنى (الاكثر) الذى يقال له في الاجنبية the superlative أى تفضيل المبالغة

فَعُولِيٌّ : خصوصيته الدلالة على الأقل ملكة مما في (فَعُولَاءٌ) الآتي تقول (لَبَّةٌ بَرُوقِيٌّ) أى بروقها ليست من كل الجهات .

فَعُولَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الخاصية المتفردة وفي اكل ما تكون عليه قول (لَبَّةٌ بَرُوقَاءٌ) .

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي والاعتباري العددي قول (شَبُورٌ) لقياس المنبني على اعتبار الشبر .

فَاعُولٌ : خصوصيته الدلالة على الأشد كثرة في الحس أو المعنى وهو وفعل وفعل ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية وترتيب معناها (أ كثر والاكثر والأشد كثرة) وهذه الثلاثة عند نظرنا تنويعات محضة لا تنظر في ثلاثتها إلا إلى معنى واحد تقول (رَوْنٌ) لكثير الصوت و (رَوُونٌ) للأكثر صوتاً و (رَاوُونٌ) للأشد كثرة .

فَاعُولَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الكثرة المطلقة في عمل تقول (آلة قاسوما) أى قسم المحجم إلى ما لا يحصى كثرة .

فَعِل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يكون أكثر انفعالا بالوصف أو هو مصدر
الانفعال أو محل توارد الانفعال . تقول (نَفَقَ) لمصدر النفوق .

فَعِلَ : خصوصيته الدلالة على المبالغة في وزان فَعِلَ .

فَعِلَان : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف مع تماسك قول (فَوْرَان) .

فَاعِل : خصوصيته الدلالة على الفاعل .

فَعِيل : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف لزوما لا ينفك إذا نهي به قول
(صَنِيم) لحبث الرائحة التي تلزم بسبب علل فيزيولوجية في الجسم .

فَعِيلَاء : خصوصيته الدلالة على الصناعي يكاد يكون كالطبيعي تقول (صَوِيغَاءَ)
لوصف الصناعي الذي يعمل من المكين المبكر في إيطاليا وتقول (قَلِيَاءَ) للقلب
الصناعي الذي اخترعه الدكتور كاربل .

فَاعِلَاء : خصوصيته الدلالة على الاستطالة في الفاعل تقول (بَارِئَاءَ) أي آلة
تخفظ الحرارة في استطالة .

فُعِل

خصوصيته الدلالة على المتصف بالوحدة في لزوم طبيعي أو آلي قول (كُئِدَ)
لشيء المنجم بعضه على بعض انجماعا لا ينفك إما في الطبيعة كبعض الآفات المرضية
وأما في الصناعات كالزئبركات المضغوطة .

فُعِلَ : خصوصيته الدلالة على المفعولية أو الانفعالية وتخص بمعنى الاستعداد في
الاشياء تقول (فلان أدب) أي مستعد للادب ومطبوع عليه . وتزاد التاء فيه لزوما

فُعِلَاء : خصوصيته الدلالة على ما يشبه التكهرب قول (رُوْكَاءَ) أي صوت
الصدى المكهرب ويمكن أن يوضع للموجة الكهربائية .

فُعْلَمَ . خصوصيته الدلالة على الذي توجد فيه مضاعفات تجمله صنفاً آخر تقول
(خُضِرُمْ) للأخضر الذي ضوعف في خضرته حتى عد صنفاً آخر من الألوان
فُعْلَان . خصوصيته الدلالة على الوحدة أو الأصل في الوصف تقول (نُهْرَان)
الذي كأنه وحدة الأنهر أو مصدرها .

فُعُلُول . خصوصيته الدلالة على التراتبي من الوصف تقول (مَطَرٌ هُطْلُولٌ) يترأى
أنه يهطل وحرارة (قُطْرُور) يترأى أنها قطر .

فُعُلُل . خصوصيته الدلالة على الذي يجمع عدة أفعال من الوصف ويفعلها دفعة
تقول (قُفُلٌ) للقل الذي يقفل من جهتين دفعة واحدة .

فُعُلَّوَان : خصوصيته الدلالة على الأول من الوصف والاقدم في الوصف أيضاً
تقول (عُمُرَوَان) للانسان في أول العمر . وأيضاً لا أقدم مُعِير .

فُعُمَلَل : خصوصيته الدلالة على الذي يجمع عدة أفعال من الوصف ولا يفعلها دفعة
واحدة تقول (قُمَلَل) للقل الذي يقفل جهتين أو جهات ولكن على التعاقب .

فُعُل

خصوصيته الدلالة على الشيء المتصف بالصفة العجلى من المعنى على لزوم تقول
(سُبُحٌ) للمنطلق الشديد في البحر .

فُعُلٌ : خصوصيته الدلالة على الاطباق في انتشار تقول (عُدُلٌ) أي العدل
المنتشر المطبق و (دُخُنٌ) للدخان المنتشر المطبق .

فُعُلٌ : خصوصيته الدلالة على الذي يلزم لزوماً في غير انفسكاله ويكثر في الظايات
تقول (طُبُعٌ) للاكليشية أو طُبْعَةٌ .

فُعْلَان : خصوصيته الدلالة على الأصل تنفرع عنه الأشياء أو تقوم عليه تقول
(نُورَان) أي المصدر الموزع للنور و (حُجْرَان) للعجر تقوم عليه الاحجار كحجر سينار

فُعْلَان : خصوصيته الدلالة على الثوي و (فُعَل) للدلالة على الاحادي و (فُعَل)
الدلالة على المشري قول (عُقْدَان) لما يحتوي على مائة عقدة إلى ألف و (عُقْد) لما
يحتوي على عشرة إلى مائة و (عُقْد) لما يحتوي على عقدة إلى عشرة .
فُعُول . خصوصيته الدلالة على الذي يفعل مضاعفة عديدة إن في الطبيعة أو الصناعة
قول (سَيُور) للذي يسير مضاعف معدل النسبة العامة للسيارات السريعة .
فُعَلَى : خصوصيته الدلالة على ما يكون بنسبه الوصف قول (لُعْبَى) لمن يشير
العب ولا يلعب وبعبارة أوضح خصوصيته الدلالة على كل ما يثير صفة في الغير بدون
أن يكون متصفاً بها . .

فُعَل

خصوصيته الدلالة على الذي يأتي الوصف من أخفى وجوهه حقيقة أوعلى التنزيل
مع المبالغة فيه قول (خُدَع) الذي يخدع خدعة خفية .
فُعْلَة . خصوصيته الدلالة على التطاول المترتب الجائح إلى الماضي قول (الدُلْجَة)
لسرداب الماضي المظلم على التجوز .
فُعَلَاء . خصوصيته الدلالة على مثل الثرائي أو الاعتقاد حتى يصير صفة ومنه
يقال أيضاً على مثل التوقد والتألق وبعبارة أشمل الوصف على التوهم قول (نُهْرَاء)
نهر الراكد الذي يوم أنه جار .
فُعَلَى . خصوصيته الالة على التطفل الخفي كالأشباح والأوهام وما إليها تقول
(عُجْبَى) و (عُجْمَاء) للتكبر على الوهم . . .
فُعَال . خصوصيته الدلالة على مثل لاحقة (grah) قول (رُوَان) لفتوجراف .
فُعَال . خصوصيته الدلالة على طبع الانطباع إذا وضع على بناء (فُعَال) تقول
طَبَاع (آلة تصوير المطبوع و (طَبَاع) الاكثيشيه وإذا لم يوضع على بناء (فُعَال)
انت خصوصيته الدلالة على الملكة المصطنعة أو على شبه الملكة بمبالغة أي على شبه

(فَعَالٌ) وبعبارة أخرى الذى تكون له صفة غالبية تجعله يوصف بصفة غيره خذ (عَوَّار) الذى هو البثر في العين مما يجعلها أشبه شئ بالعوراء وعليه فيوضع منه تخصيصاً للشئ الكاذب ومن (فَعَالٌ) لشيء الصادق تقول (مرض حَرَّاقٌ) إذا كان شديد الحرق حقيقة و (حَرَّاقٌ) إذا كان يوم كذلك

فُعَالِي : خصوصيته الدلالة على تدرج الشئ في الانطباع بالصفة أو على فترات الانتقال تقول (ثمر نَضَاجِي) أي في فترة النضوج .

فُعَالِي : خصوصيته الدلالة على الانطباع الطبيعي أو شبهه ونعني بالطبيعي مطلق ما لا دخل للإنسان في صنعه فيقال لصور الأحجار التي توجد كذلك في الطبيعة تقول (وجدت زُهَّارِي) أي حجرة مرسوم عليها زهرة ويقال بهذا المعنى من فُعَالٍ .

فُعْلَان : خصوصيته الدلالة على الطفيلي على الأشياء مطلقاً تقول (رُزَّان) أو (رُزَّان) للصوت الطفيلي على الأصوات مما يصلح أن يكون في مقابلة كلمة (parasite) على الأصوات . وإنما أخذناه من (فُعْلَان) أيضاً بهذا المعنى لأنه يقارب (فُعْلَان) بالدلالة وأخف منه . وتقول (كُتْبَان) للكتابات التي تضاف بين الأسطر لتوضيح أحياناً وهكذا مما يشاهد في المطبوعات التركية .

فُوْعَال : خصوصيته الدلالة على التداخل والتشتر أي ما يفعل هذا الفعل تقول (فُوْهَار) لكل ما يحتقن ويظهر .

فَعْل

خصوصيته الدلالة على المحدود . وعلى الضئيل الناعم تقول (نِصْل) للنصل الذي لا يترك دقيق الشعر وتسمى به (آلة الحلاقة تحت الصفر) و (نِعم) للناعم جداً وتسمى به (البودرة) .

فِعْلَال : خصوصيته الدلالة على الضوولة البالغة على معنى أنه يدل على ما هو دون معدل الصفر كثيراً تقول (نِصْلَال) لآلة الحلاقة التي هي دون الصفر بعدد كبير .

فَعَلِمَ : خصوصيته الدلالة على الكثوبات والامتزاجات وعلى مثل الدوائر في الشيء .
قول (خَضِرَم) الخضرة دخلتها كثوبات تلوينية و (لِينِم) لطلق اللون الذي دخلته كثوبات .

فَعَلِمَ : خصوصيته الدلالة على مادون أن يقال عليه الوصف أو على الأقل النسبي عما يقال عليه الوصف تقول (لِينِم) لطلق اللون الذي هو أخف من أن يوصف بصفة من الألوان الرئيسية وتقول (خَضِرَم) الأخضر الفاتح . .

فَعَلِنَ : خصوصيته الدلالة على ضوولة الوصف الباطني . وعلى الخلاصة الروحية قول (قَدَسِين) بمعنى الطهر الباطني الضئيل وتقول (كَشِين) لاطلام المكتوبة التي تفعل فعل الخلاصات

فَعَلَا : خصوصيته الدلالة على أداة الوصف قول (صِيَاء) أي أداة الصوت ويصلح لأن يسي به (الميكرفون) و (الريناء) أي أداة الون ويصلح إسمًا للميكرفون أيضًا .

فَعَلِيل : خصوصيته الدلالة على الاقتران بالشيء . إقترانًا كالانحداد قول (إِرْضِيض) لما يقترن بالأرض من المعادن الأولية و (زَغِيْب) لما يقترن بالزغب من الدويبات قول فصيلة (زَغِيْبِيَّة) . .

فَعَلَيْتَ : خصوصيته الدلالة على الاستتار في الوجدان أو الضمير والرجوع إلى التحولات المندثرة تقول (إِنْذِيْت) لاذي تحكم به روحان إحداها جبلية والأخرى عصرية . وبمباراة أوضح يدل على الرجوع إلى التاريخ السحيق والابتعاث فيه وبدل أيضًا على ما خالط الوجدان أو حل في موطنه تقول (عَقْرِيْت) للذي ينطوي على ألم مرير كأن فيه عقراً ينز على الدوام فهو يتأفف منه

فَعَلَيْنَ : خصوصيته الدلالة على ما ينزل منزلة اللاحقة (ine) في الأجنبية كفسفورين ، ويدل أيضًا على الأصل الفعال في الأشياء قول في (الشاي) إذا عددناها

كلمة من العربية باعتبار أنها قد تمكنت فيها إلى حد أن أخذت مسحة عربية سابقة . ويمكن انزالها منزلة كلمة (باز) الطائر المعروف وعليه فتكون الألف منقلبة عن (واو) فيقال في بناء فعلين منها (شويين) وبالأعلال الواجب (شيين) (لاشيين) ومن (قهوة) (قهوين) لا (قهوين) .

وخصوصية هذا الوزن العامة للدلالة على انجماع الوصف في شيء من أشياء أو في جزء من كل . لاحظ جيداً (غسيلين) التي بمعنى ما يغسل من الثوب . وإذا لاحظت أنه يرد إلى (غسل) ومعناه الماء يغسل به كان معنى الوزن الذي يفعل بالغسل . وبما أنه جاء بمعنى المدة أيضاً فلا بأس من أن نجعل له إصطلاحاً طياً ويراد به الافرازات المتغيرة مطلقاً تقول (صفرين) لافراز الصفراء المتغير و (ييلين) للبول المتغير وهكذا .

فعلياء : خصوصيته الدلالة على وحدة الصفة النفسية التي أصبحت وجداناً وطبعاً تقول (عشقياء) أي وحدة انفعالات العشق .

فعلوة : خصوصيته الدلالة على المستخفي وله عمل افرازي تقول لشجر (caoutchouc) وغيره من النباتات مما له هذا العمل ومنه نشق (جحنوة) للمغازز تكون في منعطفات الأشجار تفرز افرازاً ما . وفي الطب يدل على ما في الغدة من المادة تقول (جبنوة) ترجمة لكلمة (thyrosis) أو thyrosin اللتان تطلقان على مادة منعقدة ناشئة عن انحلال المادة الأولية .

فعلية : خصوصيته الدلالة على البعثرة مطلقاً تقول (جبنية) داء له بعثرة في الجسم فعليان : خصوصيته الدلالة على المائل إلى الشيء أي ما يقوم مقام اللاحقة (ish) في الانكليزية من مثل (greenish) أي مائل إلى الخضرة . ويدل على الذي يتعلق بالوصف تقول (طيريان) وهكذا . وقد يوضع منه للدلالة على المعنى الذي يشف عنه الحس تقول (شيريان) أي النحلة في صناديق زجاجية تعيش فيها النحلة ويرى من خلالها كيف تقوم بوظيفة التمسيل .

فَمَلَّانَ : خصوصيته الدلالة على الشيء المحشور من معنى الوصف أو في معنى الوصف
تقول (مَلَّان) أى خبز محشو بخبز ويصلح أن يوضع اسمًا (لخبز فينو)
فَمَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقًا أو المرضية فقط بدون تخصيص بشيء
من نبات أو حيوان تقول (إِبْوَط) للداء يصيب الابط و (عِضْوَل) للداء
يصيب المضل .

فَمَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الذى له طبيعة لينة إلا أنه يتصلب أو يفشل
التصلب تقول (قَشَوَّر) للقشر الذين يتصلب .
فَمَوَّالَ : خصوصيته الدلالة على التجمع من شتى الأشياء مع وجود الة بينها
يدخل في الكيمياء وغيرها تقول (إَوَّان) أى لون متجمع من عدة ألوان ليس
بينها الة .

فَمَيَّالَ : خصوصيته الدلالة على التجمع كذلك من شتى الأشياء مع وجود الة.
تقول (لَيَّان) أى لون يجمع من عدة ألوان بينها الة وتقول (طَيَّاس) أى جمال
مع تناسب والة في التقاسيم والأعضاء .

فَمَيَّلَ : خصوصيته الدلالة على الألفة النفسية وبعبارة أوضح يدل على التشيق
بين الأشياء في النفس . تقول (ظَرِيف) للألفة بين الظرائف المختلفة عند النفس .
ويدل أيضًا على كل ما له اتصال بالنفس تقول (حَجِين) أى اعوجاج نفسى .

فَمَيَّوَلَ : خصوصيته الدلالة على المركبات التى تأتى بعمل تفاعلي سواء كان آليًا
أو طبيعيًا أو عضويًا ولكن يغلب في الآلي تقول (كَيَّوَن) للآلة المركبة من قطع
تحدث تفاعلًا من الوصف الذى هو العدو في استمرار سريع . مما نضمه ترجمة لكلمة
(autobus) ومن هذا الوزن يوضع لأي (motor) وتقول (يَزَيَّوَن) لمطلق المحتفظ
بالوصف من حرارة أو برودة .

فَعِل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يتعدد فيه نظير الوصف تقول (يهيز) للآلة التي لها عدة دفعات عنيفة بالتوالي .

فَعِلَ : خصوصيته الدلالة على التعبير الحيوي بانفصالات وغير الحيوي بتولدات ذاتية تقول (كَتَبَ) للكتاب الذي مضى عليه زمن واحتفظت به ظروف كأوراق البردي المكتشفة في (تل العمارنة) أو تسمى (سِجِلًا) بهذا الملحظ، وفي (العددي) يدل على أكثر من المليون تقول (عَقِدَ) إذا كان يحتوي على أكثر من مليون عقدة .
فَعِلَّانَ : خصوصيته الدلالة على الصفة البالغة في الشيء تقول (حَرِ كَأَنَّ) للبالغ الحركة . وفي العدد يدل على (المليار) فأكثر العدد تقول (عَقِدَان) إذا كان يحتوي على مليار فأقصى العدد .

فَعِلَى : خصوصيته الدلالة على الانتشار والتعبض نتيجة عمل آلي تقول (الرِسْنَى) للآلة تطوي الحبل وتشره .

فَعِلِمَال : خصوصيته الدلالة على الذي يفعل بسرعة ويدوم انفعاله طويلاً تقول (مِخْطَطَاط) أى يسخط بأشد ما يكون سرعة .

فِعَل

خصوصيته الدلالة على اقتران المتعدد في الوصف اقتران خليط أو اقتران إزاء تقول (إِبَز) للشيء يكون على أطراف تتوئب على اقتران .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على التكاثف تقول (منظر ظَهَار) أى ظاهر من خلال كثوفات .

فِعَال : خصوصيته الدلالة على شدة التكاثف دون الشيء تقول (حِبَار) للحيوان البحري الذي يولد الحبر ويحتني فيه .

فَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على الشيء والامتداد هنا وهناك تقول (نَهْرَاءَ) لنهر
الشيء الممتد .

فِعَالَةٌ : خصوصيته الدلالة على العلم أى ما يقوم مقام لاحقة (logy) في الأجنبية
تقول (نِبَاتَةٌ) أى علم النبات و (صِحَافَةٌ) أى علم الصحافة .

فَعَلَنَ : خصوصيته الدلالة على المنفعل كثيراً بالباطن وبعبارة أخرى الذي تسلط
عليه آثار الباطن تسلطاً شديداً . ويدخل فيه المنفعل بمناطق اللاشعور تقول (شِعْرَنَ)
لمن تسلط عليه شعور باطني عميق .

فَعَلَنَى : خصوصيته الدلالة على التكيف بصفة أو شكل أو القدرة على التشكل
مطلقاً تقول (صَوْرَنَى) لمن يتصور بكل صورة ارادها .

فَعَانَاةٌ : خصوصيته الدلالة على خصوصية (فَعَلَنَ) ولكن بزائدة وهي الدخول
من تأثيرات الباطن في سبات شديد تقول (شِعْرَنَاةٌ) لمن يسبت تحت شعور ما .
فَعَلَّى : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالشيء على تفرد وامتنياز تقول (الذِّتَّى)
لأشد الأمراض بحيث يتميز من بينها .

فِعَلَّ : خصوصيته الدلالة على الاستطالة من الوصف تقول (مِرَنَ) لشيء ذى
الربن الطويل الصدى والرجع

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على التجبب أى الكون حباً تقول (خِلَصَ) لعظم
الاذن الدقيق الذى له عمل دائم من قولهم (خلص) للعظم نشط

الزيادة بالهمزة :

أَفْعَلٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل مطلقاً . فإذا وضع اسماً كان الملاحظ فيه
مضاعفة الوصف .

أَفْعَالٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل المطلق ويظهر أن هذا الوزن هو إسم
التفضيل القديم في العهد الصوتي وقد تطور إلى (أَفْعَلٌ) وتوسعا قبل الصيغتين .

ونخص الأول بالتفضيل النسبي والثاني بالتفضيل المطلق . ومن هذا الوجه قد يشابه ما هنا . ثلاثة الموازين السابقة وهي (فَعَلَ) و (فَعُول) و (فاعول) والفارق بين الطائفتين أن (أفعل وأفعال) ملاحظ في خصوصيتهما الأفضلية الاكتسابية . و (فَعَلَ) وإخواته ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية .

إفعل : خصوصيته الدلالة على الندرة المطلقة الممتازة ويدل أيضاً على علامة الأشياء المطلوبة قول (إغلمة) للعلامة التي يستدل بها المهندس الجيولوجي على البترول . ولا يبعد أن يكون هذا الوزن متحلاً عن وزان (إفعليل)

إفميلي : خصوصيته الدلالة على ما وراء الظواهر أي يدل على الاستخفاء تقول (فلان له إعتيلي) أي تغفل باطني وأنجذاب إلى اللاشعور و (فلان عنده إغريفي) أي تعرف وتكهن باطني و (إكلمبي) أي تكلم في الباطن مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (فنترولوكنس^(١)) في الأجنبية (أي المتكلم في الباطن) .

إفعل : خصوصيته الدلالة على مطلق الآلي وأيضاً على الشيء الذي تنجم به المواد أو تفصل . وبعبارة أخرى يدل على ما يفصل فعل آلة خفية في غيرها من غير أن يكون آلة . وعليه فيشتق منه لكل التجربات الكمية والتحليلية . فيقال لعملية تحليل الماء (إمارة) ويظهر أنه متطور عن (إفعال) .

إفعال : خصوصيته الدلالة على الآلي المحكم وعلى الفعل أو العمل الذي يشور وتظهر آثاره فتقول منه للمواد التي إذا وضعت على بعضها أحدثت أثراً شديداً . ويظهر لي أنه محول عن مصدر الرباعي وليتنبه هنا إلى أن التسمية بمصدر الرباعي من (أفعل) سواء في الحس أو المعنى لا يكون إلا بملاحظة معنى (السلب والازالة) ولاجل أن لا يشتبه تخص الناء في غير المصدر لزوماً .

أفعل : خصوصيته الدلالة على التفرق في الدقائق والانتشار المحدود .

أفعل : خصوصيته الدلالة على الامتداد في تقطع أو في ذبذبات وتكسر فيقال

منه للموجات الصوتية القصيرة وما يشبهها كالإدخان المتقطع من مدخنة آية تقول (أُذْخِنَ) . وهو متطور عن وزان (أَفْعُول) .

أَفْعُول : خصوصيته الدلالة على الامتداد في استواء واستطالة فيوضع منه للموجات الطويلة وما أشبهها .

إِفْعُول : خصوصيته الدلالة على ضد (فَعُول) أي يدل على نفي المبالغة والمبالغة في السلب تقول فلان (سَخُوف العيش) أي رقيقه وفلان (إِسْخُوف العيش) .

أَفْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الاستغراق أو على الكل تقول جاء الخصم (بالأشهادى) عنده أى بكل شهاداته .

إِفْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الانتشار الحثي المصدر تقول تسري في البلد (إِكْلَى) أي كلام منتشر غير معروف المصدر .

أَفْعَلَّة : خصوصيته الدلالة على التخصيص أو التخصص تقول هذا مكان (أَفْصَر) و (آلة أَفْصَرَة) أي تخصصت للمصر .

أَفَاعِل : خصوصيته الدلالة على الفاعلية المقاومة على استمرار تقول (رجل أدأثر) أي متمول بالمراباة .

إِنْفَعَل : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى لسبب باطني تقول (رجل إنسهم) أي ساهم اللون لعله مرضية . ويظهر بأن هذا الوزان أصله (فَعَل) المصدر زيدت عليه الألف والنون كسابقة .

أَفْعَل : خصوصيته الدلالة على المنفعل بشيء والفاعل في شيء آخر وبعبارة أخرى يدل على المكتسب للوصف بحيث يكون مصدراً له يكسبه الغير . تقول (أَجْنَذَب) للقطعة من الممدن تمقنط بحيث تنقل الأثر إلى قطع أخرى . ولسريان التجاذب في قطع كثيرة على التسلسل وربما كثر هذا الوزان في الثلاثي بالتضخيم كثرة مطلقة . والذي أظن فيه أن أصله (فَعَل) زيدت عليه الهيرة لإفادة تعديده الأثر .

أَفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على استيلاء المعنى على الشخص استيلاء يأخذ عليه مذاهبه وبعبارة أخصر الانطباع بالشيء . يقال (رجل أَرْقَنَات) متعلق بالرقص كذلك .

إِفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على التعلق العقلي والقلبي والشعوري بالوصف ويدخل فيه الأمراض العقلية بهذا النوع . ويستعمل في الأكيات توسعاً . قول (رجل إَغْرَسَان) استولت عليه فكرة الغراس استيلاء ملكه .

أَفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على التحولات التي تشمل الشيء من أطرافه . وتكون تحولات تغييرية . ويشمل التحولات العنصرية في الكيمياء .

إِفْعِلَاء : خصوصيته الدلالة على علائم الأشياء غير الطبيعية وعلى الآثار غير الطبيعية مطلقاً قول (إِظْلِمَاء) أي ظلمة ناشئة عن سبب غير طبيعي .

أَفْعِلَاء : خصوصيته الدلالة على انجماع اللطائف وضغطها فيوضع منه للهواء المضغوط وما أشبه .

فَاعَل : خصوصيته الدلالة على الجزء (كالنقرة) .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على الأقل جزئية (كالدريرة) .

فُعَائِل : خصوصيته الدلالة على التحامل تحت الشيء . وعلى الكل في الأشياء التي لا قبل مهايها للقسمة وإنما تفرض فقط كما في الجوهر الفرد والغازات . . .

الزيادة بالتاء :

تَفَعَال : خصوصيته الدلالة على تجسم المعنى . وعلى الخفي واللطائف والأفكار . لاحظ بدقة قولهم (تَمَثَّل) أي تمثيل و (تِمَثَّال) أي صورة شاخصة قول (تِظْلَال) للظل يتجسم فيصير صورة .

تَفْعَالٌ : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً للدلالة على جمع أجزاء المعنى في نقطة أو بؤرة تقول (تَفْلَالٌ) اسماً لمحل اجتماع أجزاء الفل في آله التصوير . وعلى الاجتماع أيضاً .

تَفْعُلٌ : خصوصيته للدلالة على ما يحدد الوصف المادي كل حين تقول (شجر بَئْرٌ) و (فصيلة بَئْرِيَّةٌ) للاصناف التي تثمر في العام مرتين أو أكثر . . .

تَفْعَلٌ : خصوصيته للدلالة على المنفعل من الوصف لأسباب غير معروفة لكنه تقول (رجل تَفْرَعٌ) أي يَفْرَعُ من غير أسباب معروفة . ويظهر أنه ينظر إلى الفعل المضارع المبني للمجول .

تَفْعُلٌ : خصوصيته للدلالة على المنفعل من الوصف بأسباب مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تَنُورُ) للحشرة التي تضيء في الليل . ويظهر أنه ينظر إلى (تَفْعُلٌ) ولكن أخذ بالاتباع فقط كما قرر سيويه في (يَفْعُلٌ) . . .

تَفْعِلٌ : خصوصيته للدلالة على مجيء الشيء في غير الأوان عادة تقول (تَحْمِلُ) أي حمل في غير الأوان . ويظهر أنه اتباع لوزان (تَفْعِلٌ) ويدل على هذا أن أكثر كلماته تجمي على أوجه مختلفة . فثلاً (تحلبة) جاء بضم التاء واللام ، وبكسرهما ، وبكسر التاء وفتح اللام ، وبضم التاء وفتح اللام .

تَفْعَلَةٌ : خصوصيته على مجيء الشيء في غير الأوان مطلقاً . ويظهر أنه وزان فلي ينتسب إلى القبائل التي تكسر حروف المضارعة . هؤلاء الذين تقدر أنهم متأثرون بالمنطق السرياني الذي هذه إحدى ظاهراته . . .

تَفْعَلَةٌ : خصوصيته للدلالة على كون الشيء بين بين في الوصف تقول (تَوَلَّةٌ) أي حادثة بين السحر والحقيقة . وهذه الأوزان متداخلة كما هو ظاهر من كلماتها التي لا تكاد تنضبط فما من كلمة إلا وفيها وجه جواز من صريحتها . خذ (تَفْعَلَةٌ) التي جاءت كَتَنْضَبُ وَتَفْعُذُ وَدِرْهَمٌ وَجَفَرُ وَزَبْرَجٌ وَجُنْدُبٌ . . .

تَفْعُلُوتٌ : خصوصيته للدلالة على الذي يتصف بالوصف عند حدوث الحادث

فقط أي يدل على مصاحبة الوصف للحادث الذي يفعله فقط تقول (تَرْغُمُوت) أي لا يرغم إلا عند اليأس .

تَفْعِيل : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً للدلالة على ما يكون أداة للوصف تقول (تلوين) لاقلام التلوين . . .

تَفْعِيلَة : خصوصيته الدلالة على الاجادة في الوصف تقول (آلة تحديد) أي تحكم التحديد . وكذلك وزان (تَفْعَالَة) و (تَفَاعِلَة) و (تَفَاعِلَة) و (تَفْعِلَ) وان كان لها خصوصيات أحياناً فاتها مقاربة

تَفْعَلَة : خصوصيته الدلالة على الآلة تحدث من الوصف تقول (تَأْبِرَة) اسماً لورب^(١) المحددين الذي ينشأ من غبار الابر . وكذلك (تَفْعِيلَة)
تَفْعُول : خصوصيته الدلالة على لين الوصف تقول (شجر تَخْشُب) أي لين الخشب

تَفْعَلَة : خصوصيته الدلالة على الذي تهبؤه الظروف طبيعية أو عادية قول (تصورة) للصورة التي تحدثها الطبيعة . كقطعة الحجارة التي تمثل شيخاً عجوزاً بلحيته وهي من عمل الأمطار وتأثير هطولها

تَفْعُول : خصوصيته الدلالة على الاداة غير المباشرة في الوصف تقول (تَسْوِخ) لكتابة بورق الكربون . ويظهر انه اتباع لوزان (تَفْعُول)
تَفْعِيل : خصوصيته الدلالة على (البهلوانية) تقول (تَخْطِرَ) أي لعبة خطيرة بهلوانية . . .

تَفْعِيل : خصوصيته الدلالة على الأشياء التي تأتي في المناسبات أو معها تقول (تَرْبِع) للنبات الذي يأتي مع الربيع

تَفْعُل : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً للدلالة على أظهر خواص عمل

الشيء تقول (تَمَشُّط) أي آلة تصنع الامشاط وسواها ولكنها أكثر في الامشاط ..

الزيادة بالميم :

مُفَاعِل : خصوصيته الدلالة على المتصف بالمفاعلة بين متفعلين تقول (مُدَاوِر)
للذي يدور شيئاً آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مُفَعِّلَان : خصوصيته الدلالة على الموازين مطلقاً تقول (مَحْرُكَان) لميزان
الحركة و (مَحْتَكَن) لميزان الشيء وهو آلة على شكل الساعة ترقيم الخطوات عند
الشيء وإذا كان وصفاً دل على المبالغة في دقة

مُفَعِّلَاء : خصوصيته الدلالة على الذي يوجد في المكان ولا يكاد يميز عنه
تقول (مَحْتَنَزَاء) للذي يوجد في مكان العفن والنتن ولا يكاد يميز عنه مما يصلح
أن يسمى به ميكروب العفونة

مُفَعِّلِي : خصوصيته الدلالة على المضاعفة والتضاعف تقول (مَوْرَقِي) للورق
المقوى . وعلى الورق يجعل لفائف . وهو يرجع إلى (مَفْعَل) الذي له عين دلالة
تقول (مَوْرَق) بالمعنى نفسه . وهذا يرجع إلى (مَفْعَل)

مِفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يعمل عملاً حرّاً كياً^(١) وهو يرجع
إلى (مِفْعَل) وهذا إلى (مِفْعَل) ولها جميعاً خصوصية واحدة تقول (مِفْشَح)
و (مِفْشَح) و (مِفْشَحِي) للمفتاح الحركي

مِفْعِيل : خصوصيته الدلالة على المتأثر بتأثيرات خفية تضاف إلى عالم الغيب

(١) هذه الكلمة من وضعنا الجديد ترجمة للمصطلح الاجنبي (automatic) وتكاد تكون
ترجمة وافية وذلك لأن وزن (فَعَال) يدل على الجزء الاول منها والمادة تدل على الجزء
الثاني

ولونسيكا وبعبارة أخرى انفعال عالم الشهادة بعالم الغيب مطلقاً ومن ثم يصح أن يصاغ منه للعوازين أيضاً . كميزان الحرارة والمطر وهكذا . وضروري أن يكون مع ذلك يدل على المعنى بدقة . ويظهر انه الصوتي الذي يرجع اليه (مَفْعَل) وهو اتباع لوزان (مَفْعَل)

مَفْعُول : ظاهر الخصوصية .

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على الآلة . وكذلك (مِفْعَال) وكذلك (مِفْعَلَة)

مَفْعِل : خصوصيته الدلالة على الزمان والمكان ...

مُفْعَل : خصوصيته الدلالة على الانظراف في الشيء . قول (مُنْقَس) أي المنظر في النفس من أشتائها ...

مُفْعُل : خصوصيته الدلالة على ما يكون آلة للشيء . ومكاناً له قول (مُرْط) لالة تصنع المروط وتكون وعاء لها و (مُقْمَح) لالة التي تنقي القمح وتكون وعاء له .

مَفْعُل : خصوصيته الدلالة على مثل اللاحقة الأجنبية (scope) تقول (مَنظُر)

بمعنى (microscope) ...

مَفْعُلَان : خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يجمع كل اسباب الوصف تقول (مَنصُرَان) للموضع توجد فيه كل أسباب النصر . وأيضاً يدل على الموضع يستكن فيه ويطمئن اليه تقول (مَقْمُرَان) للمحل الذي يستطاب الجلوس عليه في ضوء القمر . و (مَشْمُسَان) لحمام الشمس . ويدل أيضاً على مضاعفة خصوصية (مَفْعُل) تقول (مَنظُرَان) للمجهر المضاعف .

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يعمل عملاً ذاتياً . وأيضاً على التمكن من الشيء . تمكناً لا يفارقه . ويدل على طريق الشيء وطريقته . تقول (مَحْلِب) لولة

التي يحلب به وله عمل آلي كمل (the surge milker) ...

مُفْعُول : خصوصيته الدلالة على المفعول في الباطن تقول (مُكْتُوب) للمكتوب في الذهن (وَمُقْرُوء) للمقروء بالملاحظة الذهنية ...

فُعَائِل ^(١) : خصوصيته الدلالة على العروض والمألوف تقول (مُرَامِض) للعرض يصيب الشخص ويعلق بحيث لا يفارق و (عُلَايِق) للحيوانات ذات الملوك . وكذلك (فِعْمَال) ^(٢) و (فُعَائِيل) ^(٣) .

زيادة النون :

فِنَعَال : خصوصيته الدلالة على كون كل ناحية من الكل موصوفة بصفة ما منه الاشتقاق تقول (مِنْعَاد) أي حيوان بهضم بكل جزء من أجزاء جسمه أي كل جزء فيه معدة مستقلة كالأخطبوط فيقال (الفصيلة المنْعَادِيَّة) ويستعمل مجازاً في الشره وهو تجاوز مستلح ...

فِنَعَال : خصوصيته الدلالة على امتلاء الوصف على الشيء امتلاء شديداً ثم لا يصح عنه إلا بعد أمد طويل . تقول (خِنَاف) أي يستولي عليه الخوف ولا يزول إلا بعد مدة طويلة .

فَنَاعِل : خصوصيته الدلالة على امتلاء الوصف كالسابق ولكن يزول بسرعة جداً تقول (خُنَاف) . . أو الأول وهو (فِنَعَال) يدل على تركب الشعورات من نوع واحد كالخوف الشديد . فانه في الواقع عدة شعورات خفية اجتمعت . والثاني وهو (فَنَاعِل) يدل على الشعور البسيط أو الشعور الواحد

فَنَعَلَى : خصوصيته الدلالة على الانتقال بالحس إلى المعنى تقول (عنده فَرَضَى) أو (فَرَضَاة) أي تمزق وتقطع روعي أو عقلي ...

فُنَعْلَاء : خصوصيته الدلالة على المانية أي الاتصال بالماء أو الاقلاب إليه أو

(١) و (٢) و (٣) ليس من سيبريه بل من ابن جني في التصريف الملوكي ص ١١ .

الذي فيه مائة تقول (الْفُتُصْلَاءُ) للحاجز يقام في المياه وكذلك خصوصية (فُتُّعِلَ) .
فُتُّعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على الغاز أي الاحتواء عليه أو الانقلاب إليه تقول
(دُتُّنَاءَ) للغاز المدفون . وكذلك خصوصية (فُتُّعِلَ) تقول (دُتُّنَ) ...
فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على الماضي مطلقاً و (فُتُّعِلَ) يدل على الماضي
الغامض ...

فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على الشيء يقابله مثله فقط تقول (غِرْنَسَاسَ)
أي غراس في مقابلها مثلاً . وقد يدل على الذي يعطي كأنه مثل ذي الوصف ...
فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على ما يكون أداة آلية للمعنى تقول (قُتُّوَة)
لآلة الغوص في الأعماق ...

فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على الاتساع والتراكم بحيث يأخذ المسارب تقول
(عُكُنْكَرَ) الذي يكر من كل الجهات على اتساع وتراكم تقول (سِيلَ عُكُنْكَرَ) ...
فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على الضخامة في غير توازن ولا ضبط تقول
(فُلُنْجَجَ) أي عظيم التقسيم في غير ضبط ...

فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على ما له باطن على خلاف الوصف تقول (عُقُنْدُ)
للمشود الذي له باطن متحلل كشجر الاراك ...

فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على التصنيف والتوزيع جماعات ويقال بدون تاء
تقول (حَرْبِيَّة) و (حَرْبَ) لتصنيف الحرب ولنظام التعبئة ...

فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على تضاعف العمل مع اتفعال باطني تقول
(خُنْزَقِيْقَ) لكل ما يعمل خرقاً مضاعفاً وهو مجوف ...

فُتُّعِلَ : خصوصيته الدلالة على الطبقات من الوصف تقول (قُنْزَرَ) للرجل الذي
ينحله في طبقات مجازاً . وعلى الأزمة الحارقة التي تكون كأزمات متداخلة .

فَتَعْلُ : خصوصيته كخصوصية (فَعْل) إلا أنه يفيد مع ذلك وجود فراغ بين الطبقات تقول (قُنْدُر) للقدر الذي في طبقات بينها فراغات مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (diplome) التي تراد في الاصطلاح الكيميائي للوطء على شكل منغرة النجار والغرض نفسه . . .

فَتَعْلُ : خصوصيته الدلالة على ما يكون علامة من الوصف بصورة وييلة أو يكون بسبب الوصف تقول (فَنُور) بمعنى الذي يسبب النور العظيم . . .

فَتَعْلُ : خصوصيته الدلالة على الذي يثبت على وصف واحد . تقول (فَنُور) للدائم النوران وعليه فيوضع للنوع الحارة التي ترتفع إلى بعد .

فَتَعْلُو : خصوصيته الدلالة على ما يفعل الوصف على صورة بعثرة تقول (رَنَجَزَوْ) أي سيطرة تسير في التواء .

الزيادة بالهاء :

هِنَّكَوْلَة : ^(١) خصوصيته الدلالة على اشاعة الوصف بحيث ينسب إلى كل جزء على الانفراد تقول (هِرْمَوْل) للارض التي تشيع الرمال في كل انحائها . وهذا الوزن ليس متفقاً عليه بل أثبتته الخليل اعتماداً على مثل (هِرْكَوْلَة) .

الزيادة بالواو :

فُعْوَال : خصوصيته الدلالة على العلامة للشيء أو في الشيء ويدخل فيه الدلالة على الأصوات التي تحدث عند انتهاء المحروقات أو التي تكون لخلل في الآلات تقول (عُجْوَار) أي فيه دلائل على حدث مستقبل و (رُوَّان) للأصوات المنبعثة عند فراغ المحروقات . . .

فَوْعَال : خصوصيته الدلالة على الالتفاتات على النفس أو الذات . الناشئة عن القوة كما في الأعاصير والتيارات . وعلى كل ما يعطي هذه الالتفاتات ولو شكلاً

(١) ليس من سيوويه بل من ابن جني في التصريف الملوكي ص ١٥ .

والذي يتحرك تحركاً اسطوانياً . ولكن يغلب استعماله في القوى كالكهرباء . قول
(دَهْوَان) للدهان الذي يعطي التفاعلات بلحماته ومجازاً للرجل الذي كأنه في التفاعلات
من فاقه ...

فَوَعَل : خصوصيته الدلالة على التعمل في الشيء . قول (زَوْفَن) لرقص
المتكلف وبدل أيضاً على الشيء . يقوم بوظيفة آلية وان لم يكن آلياً قول (هَوَلَب)
للداء الذي يمسح الشعر مسحاً قاماً ...

فَوَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يحيل من صفات الى صفات أخرى
قول (عَوَظَمَاءَ) للآلة التي تحيل العظم إلى غراء ...

فَعَوَل : خصوصيته الدلالة على المتعلق بالنور وأيضاً على النور نفسه
و (فَعَوَال) للأكثر تعلقاً أو انارة ...

فَوَعَلَان : خصوصيته الدلالة على الذي يفعل بعمل محدثه فيه الغير . قول
(بَوَهَزَان) للمضخة التي تدفع الماء أو الغاز إلى مصب أرفع من المنبع ...

فَوَعَالٌ : خصوصيته الدلالة على الانفراج في تداخل قول (كَوَيْلَل) للريش
المتثني نصف ثثن في الحمام والبط ...

فِعْوَل : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً ويكثر في الآفة المرضية بدون
تخصيص في النبات أو الحيوان قول (عِضْوَل) الداء يصيب العضل ...

فَعْوَل : خصوصيته الدلالة على عِظَم الدقيق قول (كَهَوَّس) للشخص ذي
السَّلامى العظيمة ...

فُعُول : خصوصيته الدلالة على المتكرر تكراراً غير منفصل . أو الموحد من
أشياء كثيرة . ويقال منه لدوائر الاسلاك وفصصة الصناديق وهكذا قول (رُمُول)
للرمل الذي يعياً تعبته على هذا النسق ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على ثبوت الوصف ولكن في الالبونات والمطائف
تقول (خَشَوْتُ شَب) أي خشب النباتات اللينة ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على المواز من كل وصف تقول (خَزَوْتُ) للرجل
الذي يعتريه الحزن على صورة منكزة ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته كالأول ولكن يغلب في الحس تقول (حَسَوْتُ) للذي
يظهر وكان الحسن يمور فيه موراً ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الذي تأتي أفعاله على مقتضى الوصف تقول
(شَتَوْتُ) للمبضع الذي يختص بالأعضاء الدقيقة كالجفون ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي تقول
(شَبَّور) للمقياس المنبني على اعتبار الشهر ...

الزيادة بالياء :

يَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الذي يتصل فيه الوصف اتصالاً يظهر في كل
قوة انه ابتداء .

يَفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على مثل وائدة (de, de, des) في الفرنسية وهي
تفيد انعدام الحالة أو العمل وتدل على الأصل وابتداء العمل وكذلك وزان
(يَفْعَلِي) ...

يَفْعُولُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن في امتداد
واستطالة تقول (يَضُوءُ) لآلة الضوء التي ينبعث منها النور كذلك ...

يَفْعُولُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن في الطبيعي أو
الصناعي يشبه الطبيعي تقول (يَنْقُوفُ) للفرخ الذي ينقف في المصنع ...

يَفْعِيلُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن مع الظهور والغيوبة على التعاقب تقول (يَنْوِّرُ) للنور الذي يفعل هذا الفعل ...

فَيَعَالُ : خصوصيته الدلالة على الشيء تكون فيه وحدة الوصف فيشتق منه المثل الأعلى من كل شيء كالقوة والحركة والحسن تقول رجل (حَيَسَان) فيه وحدة حسن الرجولة ...

فَيَعَالُ : خصوصيته الدلالة على مثل سابقة (bis) في مثل biscuit التي تعيد معنى كون الشيء مفعولاً مرتين أو تفيد معنى (double) كذلك . تقول (ميلال) من مادة (مل) بمعنى وضع في الرماد الحار مرتين ترجمة لكلمة (بسكويت) وبذلك تكون ترجمة تامة للكلمة الأجنبية ...

فَيَمَلِي : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالماء ...

فَمَيِّلُ : خصوصيته الدلالة على الظلمة أو ما يتصل بها وكذلك (فَيَالُ) ...

فَيُعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على اتصاف الشيء بصفة تكون لغيره أو تدر فيه فيقال لشجرة من الفصيلة تمتاز بشيء غريب عنها تقول (يَنْشُفَان) لكل ما ليس من شأنه أن ينبثق .

فَيُعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالروح تقول (وَيَلْبَان) للشخص لا يكاد يفعل الشيء حتى يتركه لتصورات فكرية ...

فَيَمِيلِي : خصوصيته الدلالة على النقل إلى المصدر أو إلى الصفة أي تقوم مقام اللاحقة (ness) في التصريف ...

فُعَيْلِي : خصوصيته الدلالة على بذل الجهد تقول (دُرَيْرِي) ...

فَيُعَلُّ : خصوصيته الدلالة على البالغ مبلغ النضوج تقول (طَبْعَم) فتأنيج العلم

فَيَعْمَلُ : خصوصيته الدلالة على المتخصص بالشئ . تخصصاً بالغاً يقال (طَبِيعُ)
لواقف نفسه على الطبيعيات ...

فَيَعْمَلُ : خصوصيته الدلالة على التنظر المستقبل تقول (خَيْفَ) الذي يخشى
المستقبل ويأخذ أعظم الاهبة له ...

فَيَقُولُ : خصوصيته الدلالة على الاحتكام بالوصف احتكاماً يجعله كسخر له
تقول (نَبُؤُسَ) الذي يتصلب في اتباع القانون وتطبيقه . وقول (آتَ ظِلُّوْمَ)
خصصت للظلام ..

فَيَعْمَلُ : خصوصيته الدلالة على طلب العلم مطلقاً . تقول (ضِيَجْمَ) للموج في
العلم يأخذ في الارتفاع .

فَيَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الثبوت عند حدود الوصف فقط ...

فَيَدْبُلُ : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوة مولدة تقول (خَلِيدُ) أي
خالد بقوة تولد فيه الخلود ...

فَيَسِيلُ : خصوصيته الدلالة على التملؤ من الوصف مطلقاً ولو غير حقيقى ...

فَيَعْمَلُ : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوى مولدة عديدة ...

فُيَسَّلُ : خصوصيته الدلالة على ذى الهجوم والامتدادات القصيرة تقول
(كُبَيْنَ) لقاعدي في امترسال قصير الامد كالمربات الحديدية الصغرى التى توضع
في طريق الحدائق أو في الجمارك أو في المناجم

فَيَقِيلُ : خصوصيته الدلالة على المتصف بالطبع تقول (حَبَّيْنِ) الذي عوجه
طبعي ...

فَيَقِيلُ : خصوصيته الدلالة على المتصف بالتمسك تقول (حَبَّيْنِ) الذي عوجه
عن آفة متمكنة ...

فُعِيل : خصوصيته الدلالة على النباتات الحيوانية أو الحيوانات النباتية . وكل ما هو حلقة اتصال تقوم لتمثيل فترة انقلاية ويدخل فيها أيضاً الدلالة على فترات الانقلاب في العناصر تقول (سُمِيكَ) أي السمك في الحالة الانقلاية . . .

فُعِيل : خصوصيته الدلالة على الذي يمسك الشيء . تقول (مُسِيكَ) للآلة التي تمسك ابرة الخياطة في (الماشين) المسماة (afikeu) . . .

فَعْفَعِيل : خصوصيته الدلالة على الطبع اللازم على اضطراب من الوصف وبعبارة أخرى على الطبع المضطرب من الوصف . . .
وهنا نأتي على أوزان أخذنا فيها بالتحكيم وان كان لها وجه اعتباري على غموض.
خصصناها بالعلوم

أوزان كيميائية

فُعِيلِيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (كومبوزي ينار او كسجين) .
الذي يعرف بكلمة (اوكسيد) قبل الاسم الممتزج ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التاء المتحركة وبصير الوزان (فُعِيلِيَّة) . واما بالتجريد من التاء فيخص للدلالة على القسم من (الاوكسيد) الذي من خاصيته أن يتحد مع الماء . لأجل أن يعطي حامضاً (اسيد) ويسمى في الأجنبية بزيادة (ique) على آخر الاسم الذي يتحد مع (الاوكسجين) تقول بدل قولهم (خليك) . (خِيلِيل) . . .

فُعِيلِيَّت : خصوصيته في الكيمياء . الدلالة على (كومبوزي ينار ايدروجين)
ولما انه قد يصادف في عداد (الكومبوزي ينار ايدروجين) انه يحوي خواص (الاسيد)
الحقيقي ويميز باسم (ادراسيد) ويسمونها في الأجنبية بزيادة (اسيد) على الاسم
المتحد مع الانتهاء (hydrique) مثال ذلك (اسيد كلوريدريك) نصتبح زيادة التاء
لهذه الفارقة فتكون (فُعِيلِيَّة) . . .

فَفَعِّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الكومبوزي بينار في اوكسجين
في ايدروجين) أي التي لا هي ايدروجين ولا هي اوكسجين . وتميز في الاصطلاح
الكيمي بالانتهاء (ure) متبوعاً باسم الجسم الآخر مثل (سلفيد دي كاربون) ...

فَعَّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (اسيد) ...

فُعِّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الباز) الذي يحصل من امتزاج
(اوكسيد) معدني مع الماء ...

فُعِّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الاملاح الاوكسجينية) ...

فَتَعَلَّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الالياج) أي للمعادن المخلوطة ...

فَتَعَلَّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (امليج) أي المعادن المخلوطة
بالزئبق ...

فَتَعَلَّلَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على اللاحقة (eux) التي تضاف على
الاجسام التي لها (فلانس) متغير . وتقدر أن تؤلف مع جسم آخر اثنين من
المتزجات الثنائية ...

فَعَّلَنَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (مونوفلانس) أي ما كانت نسبة
الايدروجين في شبه المعادن واحد ١ .

فَعَّلَنَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (ديفلان) أي ما كانت نسبة
الايدروجين اثنين ٢ .

فَعَّلَنَ : خصوصيته الدلالة على (تيريفلان) أي بنسبة ٣ .

فَعَّلَنَ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (تترافلان) أي بنسبة ٤ .

فَعَّلَّلَ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (بروتو) في الاجنية ...

فَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (سكي) ...

فَعَلِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (تري) ...

فَعِيَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الامتزاج ...

فَعِيَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الاتحاد ...

فُعَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التركيب ...

فُعَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التأليف ...

أوزان عديدة

قُلٌّ : خصوصيته الدلالة على الأحادي قول (عُقْدٌ) لما فيه عقدة واحدة الى عشرة ...

قُلٌّ : خصوصيته الدلالة على العشري قول (عُقْدٌ) لما فيه عشر عقد الى مائة

فُعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على المثوي قول (عُقْدَانٌ) لما فيه مائة عقدة الى الف ...

قُلٌّ : خصوصيته الدلالة على الألني قول (عُقْدٌ) لما فيه الف عقدة الى المائة الف ...

قُلٌّ : خصوصيته الدلالة على ما فوق المائة الف قول (عُقْدٌ) لما فيه مائة الف عقدة الى الف الف ...

فُعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على الف الألف فما فوق قول (عُقْدَانٌ) لما فيه مليون عقدة الى المليار ...

- فَعِلَ : خصوصيته الدلالة على المليار تقول (عَقِدَ) لما فيه مليار عقدة ...
- فَعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على أقصى العدد تقول (عَقِدَانِ) لما فيه أكثر من المليار إلى أقصى العدد ...
- فُعِلَ : خصوصيته الدلالة على الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشِرَ) للواحد من العشرة و (سُبِعَ) للواحد من السبعة .
- فُعِلَ : خصوصيته الدلالة على نصف الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشِرَ) لنصف العُشْر أي الواحد من العشرة و (سُبِعَ) لنصف السُبْع أي الواحد من السبعة .
- مِفْعَالُ : خصوصيته الدلالة على النصف تقول (مِشْهَارُ) أي نصف شهر يقال (مجلة مشهارية) ...
- مِفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الربع تقول (مِشْهَرُ) أي ربع شهر يقال (مجلة مشهريّة) للمجلة الأسبوعية ...

في الحيوان والنبات

- فَعَّالُ : خصوصيته الدلالة على سائس الحيوان أو المتخصص به وكذلك في النبات تقول (أَسَّادُ) و (نَمَّارُ) وهكذا وفي النبات (زَهَّارُ) و (وَرَادُّ) أخذاً من قول العرب فيل وفيَّال وغيره ...
- فَعَلَ : خصوصيته في الحيوان الدلالة على المشي بذات العضو الذي منه الاسم تقول (رَجَلُ) أي مشي على الرجل و (رَكَبَ) أي مشي على الركبة تقول (مشي الرُّكْبِ) أخذاً من قول العرب (مشي الكُوعِ) أي مشي على الكُوع ...
- هذه طائفة من أوزان الثلاثي في العربية . وليست هي كل ما في اللغة . وإنما أثبتُ منها ما رأيتُ . واقتصرتُ عليه نظراً لشيوعه وكثرة التسمية في مواضع

العرب . ولم أعرض إلى شيء من زئات الرباعي الأصلية . لأن كثرة كما ترى يمد بها الثلاثي لا تدع حاجة إلى مزيد .

ونحن أولاً نرى كيف يكون غنى الاشتقاق العربي . وكيف تعود عروية اليوم على مثل قوتها يوم كانت للعرب القدامى . .

ونرى من خلال هذه الكثرة السر الصحيح . لسمة العربية في قديم ما كانت وليس إلى شيء آخر أبداً . كما تحقق من الدقة التامة في وضع كل شيء بحسبه واعتباره وربما كان هذا لا يمتثل نزاعاً وتحت نظرنا . مجموعة كاملة من دورات مختلفة للجزر المادي الواحد . سواء في التقاليد أو في الزيادات التصريفية حتى ينتظم في تطورات ثابتة النسب قوية الحياة . .

وكما ذكرت في غير ما مناسبة أن ما أقرره من خصوصيات هو جهد يحقق إمكان الأخذ وسلامة التطبيق . وإن كان عمق الدرس وتفوذ البصيرة والأناة عليهما يندني الحقيقية أو يندني إليها وهي غاية النشدان . . .

المجمع ضرورة !

أما أن المجمع ضرورة فهذا ما لا شك فيه . وأما أنه حاجة من حاجات اللغة والأدب فكذلك لا تجد من يتنازع عليه . فهو من اللغة بمنزلة السمع والبصر . يرى بدقة بحيث لا يختلط عليه البصر . ويسمع بدقة بحيث لا يذوي عليه السمع . .

ولهذيب العربية المنشود . تكون الحاجة شديدة إلى مؤسسة تعمل على هذا الطراز خصوصاً والعربية في مرحلة تطور خالصة . لا بد أن تستقر في النهاية على شكل من أشكاله . أولى أن يأتي موزوناً لا يدعنا نفرغ إلى ثقافتين علمية ولغوية . نحتاج في كليهما إلى فضلة مجهود ربما كان فيما دون الثانية أقل اعتياضاً وأيسر أخذاً . .

وحيث كان المجمع عند ما نظن من خطره وأهميته . وإن غايته أن يتقدم باللغة على سنة الارتقاء . لا أن يرجع باللغة إلى الوراء على سنة التخلف . وإذا كان الشأن تطور كل شيء على نسق يتزع به إلى الأصلح . كان حتماً أن يعمل المجمع على غير

نظامه الذي أخذ نفسه به . وطبع وضعه على غرارده . فما المجاز ، ولا التضمين ، ولا التجريد ، ولا شيء وراءها من النقل والاصطلاح بمن قبلاً فيما حبل وفيما عهد إليه من أمر اللغة .

وأنا هنا لا أعني مجعاً بعينه . ولا أشخص بنظري إلى مجمع واحد . بل أعني كل الجامع التي انشئت من مثل نادي دار العلوم القديم ، ومجمع القاهرة ، ومجمع دمشق ، ومجمع بيروت ، والمجمع الملكي . أو التي يراد انشاؤها . فانه لن يتأتى لها الاتاج الموفر . وهي قائمة على دراسات سيمر بك ما فيها من نقص كبير وخطأ محض وملاحظ واضحة . . .

وأنا لا أدري أي معقول في محافظة الجامع على (السماع) الذي معناه على المكشوف على ما تذكّره بعض^(١) أفاضل المغاربة (اسمع ولن تسمع غير ما سمعت مما يكون الجواب المنتظر عليه . إني لن أسمع ما قد سمعت وانتهيت) ونحن وإن كنت متعجباً إنا نقر السماع ولكن بمعنى غير معناه . ووجه على خلاف وجهه .

ومن ثم بدت خطة الجامع ملتوية ضعيفة . ووقية أيضاً . لا تداوي الآفة وإن تكن قد نخدر الألم . وهي محافظة في ناحيتين لا يتأتى لها السير معهما إلى النهاية .

(١) القواعد وأخذها على علائها بدون مناقشتها إلا على نحو شكلي صرف ..

(٢) فرض المعنى في مقدار ما ورد من اللفظ . ميزانه وهيئته وبنائه .

هاتان الناحيتان اللتان أفضنا بالكلام عليهما في شتى المناسبات من المقدمة . فلانئذ مرة أخرى لثلاً ينقلب الحديث شططاً ونجاوزاً ممجوجاً .

وفي الحق لن يستقيم سير الجامع بما يضمن حاجة العربية وتقوم بالذي عهد إليها على أحسن الوجوه . إلا بأن توحّد النظر على إعادة درس العربية مرة أخرى وتصحيح القواعد على مقتضى هذه الدراسة . ولست أعني أن تكون النتائج التي انكشفنا عنها

(١) هو الامير الجليل المرحوم خالد الجزائري . نافخ الروح الوطني في الجزائر . وكان ضمني به مجلس فتنالنا اللغة في بعض اطراف الحديث . وبحق كان رحمه الله نادرة نادرة .

هي النتائج المحتومة والمتعينة . فاني انبهت غير ما مرة إلى أن عملي هذا لا يعدو الأداة التي تعرّف بالسبيل والتمدّد الذي يدل على النبع .

على أن الذي يعجب له من أمر المجامع توفرها على معالجة المفردات وحدها وكيف توضع منها وتضع عليها . بينما هناك جهات أخرى من حاج العربية تستدعي معالجة . ووقوفاً طويلاً . وبالأخص حينما نأخذها مع لهجات العرب العصرية التي يقتضى درسمها بدقة . وتفهمها ببيان متعل . والا ان كانت كل غايتها معالجة المفردات وحدها . فما أضالها غاية . وما أغناها عنها نتيجة .

والدراسات التي يجب أن تفرغ إليها المجامع وتجمع هدفها فيها . عدا الاشتقاق الذي هو هدف رئيسي وغاية أولى . تنحصر في أمور :

(١) تأريخ المفردات وتنويعاتها واستعمالاتها على التاريخ . وهذا يفرض الانتشار الواسع على كل شاعر أو أديب . واحصاء كل ما انفرد به من جديد اقتضى تطويراً في الكلمة بإشراكها معني غريباً أو بنقلها بملحظ اعتباري . على معنى أن نفرد كل شاعر أو ناثر بفصل تناول فيه أثره على اللغة من جهة ما انفرد به من تطوير على المفردات أو الاستعمالات .

(٢) تأريخ المؤكّد . والكلام على مولده ومنشئه ومرباه .

(٣) درس العامي والعامية . وكيف تم نشوؤها . والأسباب التي أفضت اليهما . ومقدار اختلاف اللهجات الحية اليوم . وافراد كل واحدة منها بالدرس ودرس الفاظ الاختلاف بينها . وتعيين مصدرها الذي تنتظر اليه . . .

(٤) طريقة المرحوم (حفي فاصف^(١)) في درس اللهجات لوقتنا . والاستدلال منها بالمقايسة على توزع القبائل هنا وهناك . وهذا الدرس يفيدنا من وجه آخر فائدة جلي . لم يرم إليها المرحوم . وهو الوقوف على مقدار الاختلاف القبلي القديم بالنسبة إلى العربية العريقة . ومن ثم يمكننا أن نفهم تماماً المقدار الذي كان عليه الاختلاف مما يضع أعلاماً ومقادير ونسباً محدودة للتفاوت فلا يعود لقائل

(١) راجع رسالة (مميزات لغة العرب) له

أن يقول من وراء التقدير ما شاء في اختلاف اللهجات وأثرها في اختلاف الكلمات .
وطريقة معرفة هذا بسيطة جداً بأخذ المفردات التي تتفق عليها اللهجات العامة
في المناطق العربية . ورقوب مقدار الاختلاف فيها وفي مخارج حروفها . على شرط
أن تعزل اللهجات الشديدة التأثير بالأجنبي . كعمرية المغاربة في المغرب الأقصى
والجزائر لظهور البربرية فيها على نحو بارز وعربية أطراف العراق . لا على معنى إهمالها
من هذه الناحية بل على معنى أفرادها بالدرس العميق لتحديد مقدار تأثير اللغة باللغة
بعد تشخيص مقادير الاتصال . وهذا يوضح لنا مبلغ تأثير لغات القبائل القديمة التي
كانت تجاور في أطراف الجزيرة أجناب من أم شتى .

وبالجملة فهي طريقة أخرى تباين طريقة (ناصف) . إذ الاستدلال عنده طردي
حين يعقد من التشابه الحاصل بين لغة مناطق من العرب الحاضرين وبين لغة قبائل
من قدامى العرب . جامعة واحدة بحيث يقدر معها اتساقاً يبني عليه أن هنا حطت
قيلة كذا الخ .

وأما هذه الطريقة فهي تعقد من التشابه عين تلك الجامعة ولكن لتبني عليها
فهم درجة اختلاف اللهجات الغالبة بالقياس على الحاضرة . بادعاء أن ما قدرها تيمية
هي كذلك تيمية نفهم عنها لهجة تيم القديمة ومقدار ما به تختلف عن غيرها من
لهجات القبائل . وعلى ضوء هذه الطريقة الجديدة يمكننا أن نميز بعض الشيء ما أغفل
الرواة تميزه بالنظر إلى اللهجة فقط دون البناء . وهي طريقة تحقيقية نرسلها هنا . وهي
جديرة بالدرس والتفسير حتى تأخذ صبغة من التحقيق بحيث يقال عليها الأسلوب
العلمي التاريخي . وإنما أدججناها في قرن مع طريقة (ناصف) . لأنها تصدران عن
اعتبار أولي واحد . وإن كانتا مختلفتان في الغاية على مثل التباين . وبالجملة فهما أعمال
لاعتبار واحد على جهة الطرد والعكس .

(٥) العمل على ترقية العامية إلى العربية بشتى الوسائل . فإنه من الضرورة
بمكان . وهنا أورد فكاهة اقتصادية أرسلها المرحوم (حفي ناصف) في محاضرة^(١)

(١) راجع مجموعة الخطب التي القيت بنادي دار العلوم القديم سنة ١٩٠٨ ص (٨٨) .

حول موضوع (تسمية المسميات الحديثة) قال (وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة من عمر المتعلم . فإذا تحققت الآمال وصار التعليم إجبارياً . فكم تخسر الأمة كل سنة من أعمار أفرادها . فإذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو (٤٧٠.٠٠٠) وطرحنا منه معدل وفيات الأطفال الى سن العشرة ونفرض أنه النصف (٢٣٥.٠٠٠) يكون عدد الباقين (٢٣٥.٠٠٠) نضربه في عشرة أعوام وهي ما يخسره كل واحد فتكون النتيجة أن الأمة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في (٢٣٥.٠٠٠) سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعي (١٢٧٥.٠٠٠) فدان على فرض أن الفدان يزرعه اثنان . فبا ضيعة الأعمار تنشي سهلاً) .

وهو يقترح شيئاً لا يقترحه لاحراز هذه الكمية الكبرى من السنين . يقترح نحو العامية واحلال العربية محلها في السوق والبيت والمدرسة . مما هو - حُلُمٌ يصعب الانسان منه على ذكره . ونحن نقترح ترقية العامية على معنى غزوها بالمفردات الفصحى . وفي الواقع ان شيئاً من هذا أتى عَرَضاً بانتشار الصحافة العربية حتى بدن العامية العربية . أفصح من عربية (الجبرتي) الفصحى التي استعملها لغة تأليف . وخذ أية مجلة تكتب بالعامية الصرفة . فلا ترى كبير فرق بينها وبين الفصحى إلا بالاعراب ومفردات أخرى تكاد تكون معدودة . فإذا أخذت المجامع بالحزم واستعملت مشوقات بنشر أطرف الألفاظ وأترفها . فلا تلبث العامية أن تكون عربية زایلها الاعراب فقط . ومن ثم لا يبقى في المحيط العربي . لغة حديث ولغة درس . بل تصبح لغة واحدة تقريباً . أهم الفوارق بينهما كما قلنا أو أكبرها الاعراب . الذي ترى الكثرة المتعلمة تتخفف منه في المحاضرات والخطب أحياناً بله الحديث . وليس معاني بهذا أني أرمي إلى الغاء الاعراب من العربية ولكن أقصد انه فارقة ليست بذات خطر . حتى وجدنا من الأولين^(١) من يحدث أن نكتة قد لا تحسن إلا وهي غير معربة فإذا اعربت بردت وسمجت . وساق لها قول مزيد المدني (وقد أكل طعاماً

فأقبل له قتياب يذهب ما بك فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته قبي .
لأكلته . فلو أعطاه حقه من الاعراب فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته
قبي لأكلته لخرج عن حده وأثلج في برده .

وكان من المتقدمين من لا يكاد يتكلم بالاعراب وهو (ابن خالويه) الممدود
في أئمة الادب واللغة كما حدث عنه ابن الاثير والسيوطي .

وبهذا يتحقق ما طالما صوبنا اليه من توحيد اللغة ووضع حد للخلاف الطائش .
الذي ناريوما غباره دأكلنا بين اللغويين في . هل الأولى إحلال العامية محل العربية
بكل صلاحياتها ؟ فتقلب وهي لغة علم وأدب . أو الأولى القضاء التام على العامية
حتى في طبقتها الدنيا وأماجتها في التعبير ؟ .

(٦) التوفر على دراسة المجموعة الأدبية في أقدم تاريخ الأدب . سواء الشعري
والنثري وتزييف المدخول والمنحول فيها . وإحلال موازين وافية بالغرض من
تميزه إما بالنص أو بالظاهرة النقدية . وكذلك درس المجموعات الشعرية الأخرى
بحسب تسلسل التاريخ الأدبي عند العرب . ويتوسع هذا الدرس بتناول الجديد من
الأوزان والبحور المستحدثها أدباء كل جيل . ليفرغ في النهاية إلى دراسة مجموعتنا
الشعرية التي هي أغناها بالتجديد والافتنان . وإن كانت لم تستقر بعد على وجه عملي .
بما فيها الأزجال والمواويل والمعنى والقرآء . والحق أنها جديرة بالدرس فهي غنية من
الناحية الأدبية . خصبة أشد الخصوبة . ولا بأس من أن أورد (موالاً) على
البغدادي (لقوال)^(١) يروني . يذكر فيه بمضض وحرقة خيانة الجيرة وذوي القربى .

« لَوْ كَبَّ مِنَ الْبَحْرِ لُجًّا وَأَسْرَجَهَا بَعْدَهُ »

« وَلَخَقَّ بِهَآذِ وَتَمُودُ الْمُوحِشَاتِ بَعْدَهُ »

« وَهَجَرَ رُبُوعِي وَهَلِي أَلْفَيْنِ عَامٍ وَبَعْدَهُ »

« عَنْ جَبْرِ قَطْ مَا لَهَا صُرُوفٌ اَعْدِلَ »

الذي هو بحق أبرع ما قيل في معناه المقصود . وهو في تصوير الرجوع إلى الماضي . والعودة إلى ضمير التاريخ السحيق في أبدية الغابر أفتن من (شوقي) في قوله (١) .

« وَطَوَى الْقُرُونُ الْقَهْقَرَى حَتَّى أَنَّى فِرْعَوْنَ يَتَنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ »
على دهشة ما طالع به (شوقي) . ووجهه ان (القوال) يتننى على الدهر لو يركب من البحر لجة مسرجة ويلحق عليها الماضي مع وجهه إلى أعماق المغاور . حيث تقطن قبائل عاد وثمود في موحشات البعد السحيق . ومظلمات الأبدية النائية : هذا التصوير الذي بلغ فيه غاية الافتنان بالتعبير (بالحق وموحشات) . ثم يزيد الصورة خلباً بقوله (وأهجر ربوعي وأهلي الفين عام وبعده) تأمل بدقة المهاجرة بعيداً عن الأهل والربوع في أنفاق الماضي . حيث يكون حازم الزمن صفيقاً بمقدار التي عام . ثم قول (شوقي) على براعته المتمثلة في الاسناد إلى المكتشف بعبارة (طي القرون) لا نجد فيه شيئاً من الزيادات التي يطرّفنا بها (القوال) بوضوح وظهور وقوة . وان كان لا ينكر جُماع القدرة عند (شوقي) في (بين طعامه وشرايه) . وفي الحجاز نوع آخر من هذا الشعر يدعى (المجرور) وهو مليء بأترف الصور الجميلة التي يجيء عرضها في الفاظ تكاد تعدل أحسن الشعر كل الشعر . إلى غير ما هنالك مما دعى إلى إيراد مثل منه . يان ان عملاً من هذا القليل لا يكون عادم الثمرة الأدبية من حيث هو كنز مليء بالطرف البقرية . عدا عن الثمرة الفنية التي تعيننا موضوعياً من حيث هو شكل من الشعر العربي المصري .

(٧) درس الأمثال العربية بما فيها العامة . فانا تقع أحياناً بين تضاعفها على ما هو أسمى من كثير من المثل العربي الفصيح . وكما يخيلني مثل يقال هنا في (مصر) كناية عن طهر الطوية وبراءة الجاناب وهو (باطي والنجم) . وفي الحق انه جميل متين التأدية مما يقل مثله في فصيح العربية جامعاً بين وضوح الكناية . وقوة الأسلوب . وبفضل تأمل يسير في الوصل بين الابط والنجم تقع على براعة البيان .

(٨) تلخيص الدراسات العظيمة والمتفرقة التي قام بها العلماء الأولون على طيلة عصور الدرس . وتصنيفها بحيث تكون وحدة ويكون من مجموعها تاريخ لفكرة اللغوية على وجه مفصل . ومرتبة على طبقات يتجلى معها تمام تطور الفكرة وكيف تكاملت ...

(٩) الوقوف بالمرصاد للاستعمالات والمفردات التي تنقل من معناها الأصلي إلى معان جديدة بحيث تفقد العلاقة اللازمة للاعتبار ...

(١٠) تشجيع الرحلات الأثرية للقيام بحفريات في الجزيرة بحيث يكون للمجامع مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم كما بدأ المصري يتم درس تاريخ المصريين القدماء ...

وبعد فلم يعد من الصعب تناول هذه البحوث بعد أن قام المستشرقون بجزء كبير منها . فنحن نعتد ما انتهوا اليه فيما يرى صحيحاً ونكل العمل كما ان تحقيق اللهجات الحية يبدو متيسراً بأعضاء الشرف الذين ينتخبهم المجمع من كل قبيل . ثم اذا وضعت قواعد الاشتقاق . على التهجج^(١) الذي بسطنا من أمره . وقرر في موازين^(٢) العربية جميعها الشائعة والنادرة . مخصصة بخصوصيات تقوم مقام التركيب في اللغات الأجنبية . وأحكام التعريب^(٣) في قواعد واحدة فلا يعوز الوضع على المسببات الحديثة إلى كبير عناء وعظيم مجهود مما تقوم به لجنة قليلة العدد في فرصة محدودة ...

المجمع والمصطلحات العلمية ! .

هذا قصد له مؤيدون وله خصوم . وله أشباع وله مستنكرون . وليس لي الآن أن أورخ له . لأن تاريخه من هم من تخصص وانصرف بالموضوع إلى تعدد الحركة الأدبية المعاصرة . وهو طبعي أن لا يكون غرض من تخصص هنا للدرس الأصول

(١) راجع القسم الثالث من المقدمة

(٢) راجع فصل (داء العربية ودراؤها) السابق ص (٥٣)

(٣) في فصل (التعريب) من القسم الثالث من المقدمة .

الاشتقاقية والقاعدية . لولا أن الموضوع في صميمه يعني شيئاً آخر له مساس ببلغ ما نأخذ به . وهذا بدون ريب يدعونا إلى إبداء الرأي فيه وخصوصاً حين بدا على غموض شديد في محاوره الطرفين . أي لم يتخذ الطرفان هدفاً معيناً في التنازع . ولذلك جاءت النتيجة على نوع من المفارقات . وأرى ضرورياً من أجل تحديد الموضوع . أن أتكلم عن غرض انبعاث حركة المجامع . وفي غير إقاضة أقول بأن القصد الأسمى منها كان العمل لأعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية . التي تجري مجرى الوسائط في قادية الغرض العلمي . وقد تشكل هذا القصد القومي في محاوره الطرفين بشكل علمي قلها إلى غير سبيلها فكان قياس على المجامع الأوربية . وهذا ما كان يجب أن يتحاشى لأنه خطأ من حيث النظر الموضوعي وسيمر بك وجه خطئه . . .

وبعد فإذا علمنا أن القصد قومي قبل كل شيء . كما هو الشأن في حماية اللغات عامة . كان ضرورياً أن تترك للواضع العربي حريته ليضع كل شيء ما دامت اللغة القومية بمنزلة عن اللغة العلمية لا تأخذ عليها سبيلها . . .

ولأجل أن يكون ما أعنيه شديد الوضوح . أنساق مع الكلام في وجه آخر . فأقرر بأن منطق مناصري المجامع يقرر غايته في غير مساس ولا مزاحمة للغة العلمية (التي يريدونها تسميتها طلية) على معنى أنهم يريدون أن يعدوا من العربية لغة شاملة لكل ما يتطلب منها . غير متخلفة في استعدادها عن أي مضمار من مضامير الحياة . صالحة لأن تبث كل شيء على أن تملكه تمثيلاً يعود بتكاثف الخلايا الحية فيها . مما يحفظ وجودها ويجعلها شاعرة بكل ما في الاجتماع على أدق كونه . لا أن يكتفى منها بتناول توافه الحياة اليومية على وجه لا تتخلف عنه البربرية نفسها . وكذلك يريدونها لغة تحجب اليها أبنائها والناطقين بها بسرف . لغة يقومون منها على كل ما يطلبون في غير إرهاق ولا عناء وفي غير فقر ولا معجزة . ولا مناص لنا عن هذا القصد ما دامت غايتنا أن نعم الثقافات وترتفع بالمستوى العام . بازاء ما يتطلب الاجتماع اليوم . ومن الخطأ جداً أن تبقى المصطلحات العلمية (ما دامت الغاية قومية) مع ذلك في إهابها الأجنبي المرعب يدب حياً جباراً في جسم العربية . الذي هو ضرب من استعباد اللغة

ومن ثم ندرك ضرورة تناول العربية لكل الأشياء ما دمنا نريدها لغة لنا . وغنى العربية على هذا الوجه لا يعني القضاء على اللغة العلمية بين الاختصاصيين ضرورة ان التكيل اللغوي شيء . والاتفاق بين رجال الاختصاص على متواضع ما . شيء آخر . فاللغة للأمة جميعاً . والاصطلاح قدوي اعتباره . فدعوتنا نحن محصورة في أن تستكمل اللغة كل ما يدعوها للبقاء وليس للبقاء . فقط بل للبقاء السري أيضاً . وأن تكون على استطاعة لتناول الأشياء مهما استدقت بصورة عربية بجهة تخدم الأدب والعلم معاً والفن والصناعة سواء .

وأما إذا تنكبنا هذا الطريق إلى منطق الجماعة . فعناء اننا لا نستطيع يوماً من الأيام الوصول إلى أسلوب ثقافي صحيح وخالص من العربية . ضرورة عدم وجود كلمات تؤلف الاسلوب . لذلك كان من التغير العظيم أن ندفع بالعرب في مثل هذا المضيق الذي يضطر كل متقف على أية ثقافة كانت . أن يستخدم لغة أخرى في سبيل تكويته .

وهذا هو السبب الذي أهاب بجماعه اللغة . منذ أن كانوا يعملون بدافع أنفسهم إلى أن انتظموا في مؤسسة رسمية تعمل تحت اشراف دوائر نظامية .

فكان قصدهم الأول إعداد العربية كلغة قومية وافية . وما عليهم بعد ذلك إذا كانت جماعة الاختصاص تنفق عالياً على الفاظ بعينها تكون برسم العلم : وهذا شيء نظيره في كل اللغات الحية . خذ معجماً (كويستر أو لاروس) تقع على ما يجاوز العدد من الكلمات النباتية وسواها . التي يذكر مصطلحها العلمي ثم يردفه بالإنجليزية أو فرنسية المدلول البحتة . مما تنقلب منه بالذي نريد تقريره من أن استيفاء اللغة من حيث هي لكامل التأديبات شيء آخر غير الاصطلاح . وهذا ما ينبغي اعتباره وفاء بحق العلم واللغة . ولا يتل بضخامة البرنامج اللغوي الذي يكلف المتخصص بمخلفه . لأن معنى التخصص الاتساع في الفرع موضوعاً ولغة . على أنه كشيء متزع من صميم الاختصاص فلا يكون مرهقاً كما يتوهم . والخلاصة إنا نشايح الفئة التي ترمي إلى وضع كل شيء على أن يكون وضعاً خالياً من الشوائب . صحيح التحديد والشمول .

اقترح ومناسبة

تسعى حكومات الشرق العربي بمجد كما يظهر . إلى غاية توحيد الثقافة وتقريب الأواصر المعنوية والروحية . حتى يكون منها في خاتم الأمر وحدة تنتظم الأهواء والميول . وتهتضم الفوارق في تجاهل مطلق . وهذا بلا ريب لا يتم إلا بعمل مشترك تغذيه حكومات هذا الشرق العربي الواسع . تغذية حقة لا تقتصر على التمثيل بل تساهم مساهمة فعلية تشمل الصرف والاتفاق أيضاً .

لذلك كان على حكومات الشرق العربي أن يعنوا بفكرة المجامع عناية خاصة . إذا كان من قصدهم حقيقة تبادل الثقافة على شكل تكون منه وحدة ثابتة في الأفكار والميول والأهواء . وإنما رأينا أنه يتم كذلك على وجه محقق . من حيث ترى كل حكومة في تشريعها ومصارف أموالها . شيئاً بارزاً يعود نفعه على كل الاقطار العربية مرفوعة التخوم والحواجز . ويرى كل عربي أن له الحق فيها من حيث كونه يساهم في المشروع .

وأرى وجوب الاشتراك في أمور ثلاثة . اللغة . والقانون . والثقافة العامة . وذلك بأن تنشأ مجامع أو نواد أو مؤسسات سمها بأي اسم أردت . تغذى بأموال الحكومات العربية قاطبة بدون استثناء وتعمل في نواح ثلاث :

(١) اللغة . فينشأ مجمع يختص بها ولا حاجة لأن يكون غير المجمع الملكي المصري . ولكن على وجه أن يغير في قانون ادارته بحيث يتوافق مع المصالح المشتركة . وأما أن تقوم به حكومة وحدها كمصر مثلاً . فعدا عن أن المشروع قد يأتي يوم يلنى فيه . يأخذ على مر الأيام شكلاً إقليمياً يجعل احترامه في منطقته فقط مما يظل معه موضعي الفائدة والاتاج .

(٢) القانون . فإن الظواهر القوية الواضوح في حياة الامم . وصيغة الاجتماع التشريعات الخاصة بالعموميات . ومن ثم كان ضرورياً (ان كنا نقصد تحقيق الاتحاد العربي على وضع عملي محض) العمل على انشاء مجمع قانوني أو فقهي يضم النخبة الممتازة من الاقطار العربية الحائزين على صفة رسمية . للتواضع على القانون العام مرعياً

في القواعد الأساسية . التي تكاد تكون مشتركة بين هذه الاقطار عموماً . ويكون عمله بحيث لا يصح لأية حكومة بعد تصديقه المشترك من أن تنفرد بسن القوانين الأساسية أو بتغييرها . إلا بعد أن يبدأ المجمع فيعطي رأيه . ومن بعده تعرض على المجالس التشريعية لكل حكومة حتى يأخذ صفة القانون النافذ في الموضع . وينفذ أيضاً بأموال الحكومات العربية جميعها .

(٣) الثقافة العامة ونعني بها مؤسسة الترجمة التي تكلمنا عليها فيما سبق من المقدمة (١) فلا نعيد ثانية هنا . . .

وقد راجعت بهذه الفكرة كثيرين من ذوي الشخصيات في المحيط العربي . ولكن كان من أحدهم ما لم أكن أظن . حين فاجأني بمركز هذه المؤسسات الذي يفرض على الاقطار العربية أن تأخذه بنظر جد ممتاز فتدوب في حُنى بوتقته تماماً . ثم انتهى إلى أن هذا لا يتم الاتفاق عليه بسهولة . وأن معنى الوحدة التي نلصق عند المجمع استعداداً لتحقيقها والتي تلاقي دعوة جدية اليها . أن تكون مبنية في عناصرها على قاعدة العرض والتبادل (تأخذ وتعطي) ومع أن منطقاً على هذا الوجه بدا ممجوجاً إليّ . اقترحت عليه لحل هذه المشكلة أن يكون مركز كل مجمع منها عاصمة القطر الذي يقوم بتحمل نصف ميزانية المشروع . فقال ولا كذلك . ولكن على كل أصبح له اعتبار معقول . . .

المعجم كيف نضعه ؟ .

كنت أروم أن أتسع بالكلام على تاريخ المعاجم في العربية . فأتناول منها كيف بدأت والأسباب التي هيأت اليها . وكيف كان تقييد الرواة لمفردات اللغة وشواردها إذ كانت المعاجم على الترتيب الهجائي من عمل النحاة . ولكنني أقصرت لما أن الموضوع تناوله كثرة مستشرق وعرب . بيد آبي أشير هنا إلى ملاحظة بدت

لي في تاريخ المعاجم قد تعبر عن ناحية غامضة وتفسرها بعض الشيء وهي أن فكرة المعاجم كانت نهوية أي من صنيع نحويين . ومنزعة من صميم اختصاصهم . فلم تكن في خاطرة الرواة ومن اليهم ممن اقتصروا بالنحو إلى جانب الرواية أو بعبارة أدق عند طبقة النحاة الذين كانوا قبل أن يكون النحاة علماء بأصول . فكان علينا إذن أن نترك سراعا ما قبل التحليل ونقف عنده . لأنه أقدم من عرف له معجم واسع المادة يتناول من اللغة أشياءها الجملة في شيء من الحصر أو في حصر حقيقي على الحروف .

ولكن ينسأل هنا في نحر وحذر عن فكرة الكتاب . وكيف نبنت ونمت في نفس التحليل . واستقل بعملها . وهو تساوّل جدير بالدرس وجدير بتوفير النظر الخلقين بأن ينكشف من بعدها سر الكتاب . ونحن في غير اطمئنان إلى الشك نجد بما يقوي فكرته وجوها :

- (١) خروج الكتاب عن يد فارسية بجملة . مما لا يكون بعيداً معه الظن بأنه نتيجة جهد غير عربي أو على الأقل لا يفكر بفكر على طراز عربي خالص . . .
- (٢) ترتيب الكتاب الذي هو يبدأ في ترتيبه نهجاً غامض القصد . الذي روج لفكرة أنه ينظر إلى نهج تقليدي عن السنسكريتية وجدوا عليه شواهد (١) ولها قوة . ولقد يكون القصد منه نشوئياً . على معنى أن التحليل كانت عنده أفكار عن نشوء العربية بحسب طبيعة الحروف . فعمل خدمتها على هذا الترتيب . وهو إذا صح كان تفكيراً مستقيماً من التحليل وآية من عبقرية النادرة . والذي لا يجعله بعيداً ما حدث به (حمزة الاصمباني) وقوله (ابن خلدون) و (ملا كاتب جلبي) من أن التحليل رمى بالفعل إلى حصر كلمات العربية المحتملة على نسق عقلي محض . هذه المحاولة التي تعترف بمخلة تفكيره . وفيها حظ من النظر النشوي غير قليل كما يظهر . . .

(١) فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية أن التحليل اتبع في ترتيب معجمه طريقة النحاة السنسكريتيين في ترتيب حروف لغتهم فأول حروف السنسكريتية تبدأ بأحرف الخلق (guttural) وتنتهي بالأحرف الشفوية (labial) وهو قد رتب العين على الحروف مبشداً بحروف الخلق فاللسان فالأسنان فالشفوتين .

(٣) تطلع المحيط العلمي إلى آثار الخليل . حتى في عصره وعنايته الشديدة بها فلم يكن رجلاً مغموراً كما تشاء بعض كتب التاريخ تصويره . بل كان شاغلاً الناس ومالئاً الفراغ كما يظهر من حكاية ذكرها ^(١) (أبو الهلال العسكري) . ومن شغف الشخصيات بالاجتماع اليه ومنادرتة (كابن المقفع) . ومن الحاح الأمراء بتقريبه (كالعباس بن محمد) . مما هو شاهد تقدير عبقريته . وانما يعزى عدم حظوته إلى أفكاره العبقرية أيضاً . التي لم تكن بحكم جديتها تلذ الجمهور لأنها ترتفع عن مدى مداركه . ولا الخاصة الذين همهم التعلق بالجانب اللاهني من الحياة . وإلى أسباب أخرى من العصبية للبلد وفقد الكوفة .

هذا التطلع الذي يقضي بانتشار الأثر . وبالأخص إذا كان يحوي مفاجئة حقيقية فتأخر ظهوره إلى حدود سنة (٢٥٠) تطوي منه على حذر شديد . فنجتمع أسبابه على ظن أن يكون لمدرسة البصرة فرع نشأ في فارس . ينتظم الأمير البيت وجماعة شملهم نفوذهم . قام على تعجيد ذكرى الخليل وشرح تراثه وترتيبه على المقدار الذي وصلهم منه . ولكن تناولوه بعقلية غير عربية . وذهنية دربت على غير نحويتها . كان عندها من التنظيم الفني قسطاً أوفر مما هي لو عربية خالصة . فأخذوا العربية على نسق بدا كما هو غريباً جداً وأجنبياً واضحاً . ومن ثم يظهر كيف تأثر الكتاب بفكرة منسكريفية قد تكون . عن هذا الطريق .

وأما الخليل نفسه فأبعد ما يكون عن ظن التأثير في كل ما انكشف عنه من اتجاه عبقرية . في العروض . في اللغة . في الاشتقاق . وهو عندي مثل أعلى مما يمكن للمبقرية العربية أن تقدمه من مثلها العليا . والذي تنتهي به هو ان الكتاب ليس من تصنيف الخليل على صورته . وان كانت أفكاره الرئيسية من أفكار الخليل . أخذت صوغاً آخر واملأ طريقاً . ومن جهة أخرى يوضح لنا كيف وقعت فيه الأخطاء ^(٢)

(١) راجع ديوان المعاني ص (١٨) ج ١

(٢) بهذه المناسبة أذكر بأن أشد المتكربين إلينا في ان يكون من عمل الخليل هي مدرسة الخليل واعلامها مما يبدو معه مستبعداً جداً ما ظنه الدكتور محمد أبو شنب كاتب المقال عن الخليل ابن احمد في الموسوعة البريطانية من ان الحسد لخليل هو الدافع الوحيد لانكار نسبته إليه . .

التي أخذت عليه وقال فيها (ابن جني) انها لا تقع من أصغر تلامذة الخليل فضلاً عنه .

وأما زعم من زعم أن الكتاب احترق وأملأه تلميذه الليث من حفظه . فأقرب أن يكون خرافة ونادرة . ولقد يكاد ينسق عندي هذا الظن . ولكن يعرض دونه سؤال وهو ألا تعرف آثار أخرى يمكن عزوها إلى هذا الفرع الفارسي من مدرسة (البصرة) الذي يمتاز عنها بأسلوبه في شرح الخليل ؟ . وهو يبدو قوياً ولا يمكن الجواب عليه بسهولة . وإن كان من المستطاع الإجابة عليه بمحاولة غير مقنعة . وذلك حين يظن انه قد كان له آثار عفي عليها ما بدت به مدرسة البصرة الرئيسية من قوة في شرح الخليل . ومن إنتاج خصيب متفوق . مما أضالّه وجعله يقضي في صموت . أو شملته بمنطقها فلم يتميز عنها فيما أنتج . . .

هذا ما يستطاع فهمه من تنف النصوص المحفوظة . وما علينا أن يكون من عمل الخليل . ما دما تقرر انها أفكاره مشروحة على نهج غريب . ومن ثم نتخلص إلى تصنيف المعجم العربي في مناهج ثلاثة :

(١) منهج الخليل : في العين وأعظم ما ظهر عليه المحكم لابن سيده . والجمهرة لابن دريد .

(٢) منهج ابن فارس : في كتابه مقاييس اللغة الذي لا أعلم أحداً سبقه إلى الوضع على مثاله وفيه يبدو نوع من تقدم اللغوية العربية وجنوحها نحو التهذيب والسهولة والتصنيف . وأهم ما ظهر عليه المحيط للمصاحب بن عباد تلميذ ابن فارس والأساس للزنجشري والمصباح المنير للفيومي .

(٣) منهج الجوهري في الصحاح وفيه تمثل العقلية اللغوية على تمام قوتها . وملكة التصريف الفلسفي ويعطي صورة من بلوغ المنطق في اللغة . وأهم ما ظهر عليه العباب للصغاني . واللسان لابن منظور والقاموس للفيروزآبادي . وملخص الأساس للزنجشري . . .

هذه تنفة عجلى حقيقية كما أظن . ولا يعنيها ما قبلها كثيراً لأنه لا تجد به

كلمة المعجم^(١) . وإنما تدخل في موضوع الأسباب التي هيأت إلى المعجم ومهدت إليه . . .
وهذه المناهج وإن يكن بعضها وافياً بالغاية من المعجم المادي . فهو في حاجة إلى
منهات تزيد سهولة . وإنما كان منا هذا التخصيص لأن من رأينا لزوم تنويع العمل
في المعجم العربي على النحو :
(١) المعجم المادي ويبحث على ستة المعاجم القديمة . . .

(٢) المعجم العلمي . ويبحث في الاصطلاحات موزعة على حسب الاختصاص .
بحيث يكون للقانون جزء يختص به وللإجماع كذلك . وهكذا .

(٣) المعجم الاصطلاحي . وهذا يكون على نسق الكليات لابن أبي البقاء
والتعريفات للجرجاني

(٤) المعجم التاريخي أو النشوءي . ويبحث في نشوء المادة وتطوراتها
الاستعمالية وتراوحها بين الحقيقة والمجاز مقيمة بالمعصور . ويكون على أسلوب مادي
وسياقي يانه .

(٥) المعجم المعلمي وهو يضم جميعها باختصار . . .

المعجم المادي

نختار في ترتيبه أن يكون على سنة (المصباح) بيد لا يتقيد بالنظر إلى الأصول .
بل ينزل الزوائد عليها منزلة الاعتبار أيضاً . ولكن كما أبدى بعض الباحثين من أن
هذا قد يفهم عروة المادة العربية . أو هو يفهمها بالفعل بخلافه في الأجنبية . لأن

(١) جاء في ضحى الاسلام (ج ٢) أن المراحل للمعجم العربي ثلاث وإنما كانت متلاحقة
بانتظام وهو وهم والحق أن وضع المعجم على المعاني ليس بمرحلة وإنما فن يعمل في الناحية الأخرى
التي يعمل في مقابلها المعجم على الأصول فهي مرحلة تاريخية لا لحاقية وتأخر المعجم على الأصول
أنما كان نتيجة طبيعية . لأن العمل الصرفي ابتداء على الحقيقة بعد التحليل . والمعاجم على هذه
الملاحظة كانت لخدمة التصريف قبل كل شيء ويظهر هذا من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس إذ
كان يصرح بأصول الكلمة كمثل (خضم) يقول الخاء والضاد والميم أصل الخ و فرق كبير بين أن تكون
مراحل مترتبة بمعنى أن كل واحدة أدت إلى نشوء الأخرى وبين أن تكون مراحل تاريخية أو زمنية

الزوائد تغلب على الأول فيها (prefix) . وفي الأجنبية قلما تكون عنده وتكثر في الآخر (suffix) . وهو ملحوظ يمكن الاحتياط له بأن يبنى الكلام على الزوائد بضرب من الاحالة . على معنى أن يثبت في باب الهزة والراء مثل (أرؤنان) وات مجال الكلام عليه إلى مادة (رون) كما هي سنة الدوائر العلمية في الاعلام بحسب الاشهر لقباً أو كنية أو اسماً .

وهذا وإن يكن يلزمه عملان ويتضخم معه المعجم العربي بمض الشيء . يسهل مهمة الاستقلال بدرس المعاجم وبالرجوع إليها على الناشئة . وبعض الخاصة الذين يمتص عليهم تناول كلمة من معجم كالقاموس^(١) . وينبغي أن تثبت فقط على هذا الوجه . الزوائد غير الواضح شكل زيادتها . وأما القياسية الواضحة فتثبت من أول الأمر بمحلها المادي (كفاعل ومفعول) . ثم يأخذ بعمل شكلي كالتفرقة بين الحقيقة والمجاز . واختلاف المعنى باختلاف الوصفية والاسمية وسائر الأشياء التي أثبتناها في النماذج المنشورة والموضحة في كلمة التصدير . والتحلية بالصور من أجل التوضيح .

المعجم العلمي

وهذا يفرغ فيه لخدمة الاختصاص وحده . فتوضع الفاظه مبنية على شرح تخريجي يتولاه أهل الاختصاص ليأتي على صورة وافية . فيوضع في أجزاء للجغرافيا والجيولوجيا والهندسة والقانون والاجتماع والتاريخ فنكاً واعلاماً الخ . . .

(١) غنى الي أن الاستاذ القسوي (عمود خاطر) مرتب (مختار الصحاح) قد رتب القاموس على نهج (ترتيبه للاختار) توفيراً للجهد الذي يتدارك أي مطالع وهو عمل جسيم بلاريد ومفيد أية فائدة ولكن نرى أن يعتمد على تصحيحه أولاً . فان الشرتوني التي على عاتقه اكاذ ما انتشر من الاغلاط (راجع اقرب الموارد ج ٣ ص ٤) وأخذ عليه الشدياق (في مقدمة الجاسوس) اتهام صبارته بحيث لا ينبغي على التصحيح من غيره والغريب والمهمل والمعرف والمصحف وذكر الاستاذ (lone) في مقدمة كتابه (مد القاموس) أن كثيراً من ملاحظات الفيروزآبادي النقدية خاطئة . ومن قبل هؤلاء . تعقبه الاثمة الاعلام في الكثير الكثير كابن الطيب القاسمي والقرافي كما أن الواجب يقتضي إذا اخذ بترتيب القاموس على هذا الشكل ان ينقي من الاوهام التاريخية وان يحقق فيه البيانات والحيوانات وأما إذا ترك على ما هو من الاوهام اللغوية والعلمية . فما يكون الصنيع الجديد الا ترويحاً للخطأ وإشاعة للاغلاط . . .

المعجم الاصطلاحي

وهذا يتناول المصطلحات في درس لغوي علمي فيبحث عدا عن شرح الاصطلاح . في اشتقاقه ووجه مأخذه وما يتبع . والغرض تعيد الموسوعة العربية على متنى المواتاة . . .

المعجم التاريخي او الفسوي

وهذا يفرغ فيه الى درس المواد وكيف كان نشوؤها . ويتناول المفردات من حيث هي عربية عريقة أم تنظر الى مصدر غير عربي . ودرس كل الملاحظ الاعتبارية عليه بحيث يكون على وضوح تام فيه . ما يدعى باختلاف اللغات واللهجات وتداخلها وما وراها من مشاكل في اللغة .

ولهذا المعجم عندنا ترتيب ينزل من مواده منزلة نشوئها في أقرب التقدير . وذلك بأن يتبدأ (بالمعل) الذي هو في نظرنا^(١) الثاني الصوتي . ثم بالتثاني المضعف الذي هو في نظرنا المعل نفسه طوروا اعلاله على هذا الوجه من التضعيف . ثم بالمهموز الذي هو في ا كبر عدده معل أخذوه بالهمز . ثم بالتثاني المكرر . ثم بالثلاثي ثم بالرباعي وهكذا واليك المثل عليه :

(زَبَى) بمعنى حمل . وزباه بشردهاء . الازبي النشاط وضرب من السير .

(زَبَّ) الزباء الداهية الشديدة . وزب القرية ملاءها .

(زَبَّاء) الزبابة الغضبة .

(زَبَزَبَ) غضب . وانهزم في الحرب .

(زَعَب) الاتاء ملاء . والقربة احتملها ممثلة . وترعب نشط .

(١) راجع القسم الثاني من المقدمة بشعر واناة .

(زَغْبًا) عندها تنتهي المادة فلا نجد لها ذكراً في المعاجم . وإليك مثلاً آخر أنم
من الأول وهو .

(شَرَى) الفرس . بالغ في سيره . وشري الشراستطار . وشري الاقط وضعه
على خصفة ليحف . نشري تفرق .

(شَرَّ) شرة الشباب نشاطه وشرر النار . وشرر اللحم والاقط كشره .

(شرشر) الشيء قطعه . والشراشر الاثقال .

(شمر) الفرس مر جاداً أو مختالاً . وأشمر الابل اعجلها .

(شمردي) الناقة السريعة .

(شمردل) الفتى السريع من الابل .

وهكذا يكون السير فيه بحيث يضع حدوداً واضحة لتطور ورسوماً بينة للارتقاء .
ثم ينتشر كذلك على المفردات في الاستعمال والتمثيل وما يتبعه من أبحاث يرتفع
معا مستوى النظر اللغوي في العربية .

المعجم المعجمي

أو دائرة المعارف الصغرى على مثل معلة (اكسفورد . وبستر . لاروس) .
ونحن قد وضعنا لبعض هذه المعاجم أصولاً لم نبدأ فنشرها . لنرى مقدار ارتياح الرأي
العربي لهذا الاقتراح الذي تقدمه من أساس عملها . والواقع ان اصول الاشتقاق
والنظر الاجتهادي على العربية أصبحا في حاجة مطلقة الى التمهيد . لنخدم عربيتنا
الحاضرة وتاريخ العربية العريقة خدمة مزدوجة . تفيد العربية الحاضرة بما تنفع في
بقاياها من الروح . وبما تمسها به من تيار الحياة . وتفيد العربية القديمة بكشف أسرارها
الغامضة . وسيأتي في بعض بحوث المقدمة ما تقف منه على مقدار ما تزخر به الالفاظ
من حضارة عربية طواها التراب في غفلة التاريخ . واهتمتها الرمال في شرة وشرة .

دراسة التخصص في اللغة والادب

(مصر) كلمة ولكن كما كان المسيح (كلمة) تنشر الحياة وتبعث بالروح . فلم يكن معناها على مقدار حروفها بل لما من خيال ما يتزايد به معناها قدر لا تكون الألفاظ قيمة بالوفاء به .

فمن شاء أن يعرف (مصر) فهي مصر وكفى . وفي الحق ان (مصر) كذلك مكانها من الشرق العربي لا تنقص عنه وربما زادت عليه .

ولست من هذا الحديث بقيل . إلا لأفضي إلى ما من قصدي أن أفيض فيه . يشاء العربي منا أن يتخصص للعربية وما إليها فلا يجده وجهاً إلا (مصر) ولا متى إلا دورها التي تنتظم في مؤسسات ثلاث :

(١) كلية اللغة العربية للأزهر .

(٢) كلية الآداب للجامعة المصرية .

(٣) مدرسة دار العلوم .

والذي يظهر من أمثالها أنها متنوعة الدراسات بحيث لا تغني واحدة عن الأخرى أبداً . وبحيث تكون من كل واحدة في حاجة إليها . فكلية الأزهر تعد لغة وحدها . وكلية الجامعة تعد للأدب وحده . ومدرسة دار العلوم تعد لثقافة عامة عليهما . . .

وكذلك يتبادى الظن مع العناوين إلى أبعد معانيها . فيتمثل في كلية الأزهر . كيف يعاد درس العربية على نحو ما كان في عهود البصرة والكوفة الزاهرة . من عناية بتن اللغة . ووقوف عند النوادر . ورواية للغيرب . وتخريج للحوشي . ودرس للأدب لا من ناحيته الفنية . وإنما من الجانب المعاني أو المعنى . وكان الأولون يسمونه (معاني الشعر)^(١) الذي ألف عليه أبو عثمان الأشنانداني . وأبو العيشل

(١) ومن أمثلته ما حدث به تقطويه عن أبي العباس ثعلب أنه قال : سألتني بعض أصحابنا من قول الشاعر :
(جاءت به مرمداً ما ملا) ماني آل خم حين ألا)

فلم أدر ما يقول فسرت إلى ابن الأعرابي فسألته عنه فقصره لي فقال هذا يصف قرصاً خبزته امرأة فلم تنضجها فجاءت به مرمداً أي ملوناً بالرماد الحار ثم قال (ماني آل) ما زائدة كأنه قال في آل والآل وجهه يعني وجه القرص وقوله خم أي تغير حين آل أي حين ابطأ به للنضج . يضرب مثلاً إذا كان وناء في العمل أو ابطأ .

وكثيرون . ثم الانتزاع الشديد الى استعراض المفردات وكيف دارت دورتها المستوية في أطوار من العمر والحياة مختلفة الالوان والأشكال . على نحو ما نرى في الجهرة لابن دريد . واحاطة بتأدرك الكلمات التي يسوق لنا كثيراً من أمثالها ابن الأنباري في نزهة الألباء والجرجاني في الكنايات . وتحقيق لفصيح كالذي فرغ اليه أبو العباس ثعلب وأبو سهل الهروي وعبد اللطيف البغدادي . وارتياض على الأماشي كما نجد عند القالي والسيد المرتضى وابن الشجري ومن قبلهم عند ثعلب في مجموعة مجالسه وعند المبرد . وهكذا حتي يتقن علوم اللغة البحتة التي كان لها (مزهر السيوطي) كفهرس واضح العناوين بعض الشيء .

وهذا وحده الذي يضمن لنا أعداد لغويين قد يعيدون العهد بمثل الشيخ نصر الهوريني وسيد علي المرصفي . ولكن شيئاً من هذا لم يكن فإن جهد ما تستطيع كلية اللغة أن تقدمه الى المجتمع من مخرجها على نسق ما تدرس . أشخاصاً أعداديين لا يؤمنون بسمة الاختصاص أبداً . وبمحسبك أن تعرف أن متن اللغة مهجور هجراناً تاماً . وهذا ما لا يعذره فإن اختصاصاً يمتطي في ست سنين . ضروري أن يقدم لغويين لهم أكبر الحظ من الاحاطة .

وأما أن تأخذ الكلية طلبتها بنصف من هنا وهناك على غير تمحيص ولا تحقيق . وانما بسمة كلها التقليد غير المحكم من نوع الفلسفة وتاريخها وعلم النفس . وملقطات من الحديث ليس فيها شيء من طرائف الغريب فليس مما ينبغي بالغاية ولا بالحاجة . والطالب من هؤلاء . يرى له حقاً لأنه يقدم نفسه وهو مطمئن على أمل أن يخرج كما يسموه الهدف . ولكن لا تكون له الا هذه النتيجة المتلوية . وأما إن كان القصد من كلية اللغة في الأزهر أعداد معلمين لقسمي الابتدائي والثانوي فهي تعطي أكثر مما ينتظر منها بحق . . .

ويتمثل في (دار العلوم) كيف يستعاد تلقين الأدب الغض . الى جانب المشرق من الفاظ اللغة على نحو ما غير به الزمن من تخريج الكتاب المنشئين . وكان أخذ آياتاً صرفاً على ما يحكي (الجاحظ) انه وجده عند (سهل بن هارون) وعليه الكتاب . وعند الأدباء الى خدمته وافراده كفرع من الادب وحده . فألف فيه ابن درستوبه

وابن قتيبة وابن السيد البطلوسي وموهوب الجواليقي وغيرهم . وهؤلاء كانت عنايتهم الوقوف على أسرار البيان العربي لا من جهة النحو فيتزيدون منه بأكثر من الواجب . حتى كان من طابع هؤلاء ضعف الجانب النحوي عندهم . حيث هو من العناية والتوفر عليه اذ كانت عنايتهم منصرفة الى البيان خالية من الشواثب . وهذا ما يحكيه ابن الانباري في نزهة الالبا من ان أبا منصور الجواليقي كان في اللغة أمثل منه في النحو .

ولقد كان لهذا الفرع من علوم اللغة حلقات لا تدرس الا الجانب المذكور على معنى الفراغ اليه . والا فقد كانت لم حظوظ واسعة من النحو والصرف وما اليهما . على المقدار الذي يلزمهم منه فقط . واليك ما يحكيه وهب بن ابراهيم قال : كنا بنيسابور في مجلس ابي سعيد احمد بن خالد الضريبر وكان مجلساً يؤخذ فيه بروائع الأدب اذ دخل علينا رجل من أهل (قم) وكان بعضنا يقرأ قصيدة من شعر نهشل بن جرير النخعي حتى بلغ قوله

(غُلَامَانِ خَاضَا الْمَوْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَبَا وَلَمْ تُعْقَدْ وَرَاءَهُمَا يَدُ)
(مَيِّ يَتَيَّاهَا قَرْنًا فَلَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَاهُ مَكْرُوهٌ مِنَ الْمَوْتِ أَسْوَدُ)

فقال الشيخ ابو سعيد بشرح (ولم تعقد وراءها يد) أي لم يؤسرا بل رجعا موفورين ولو أسرا لعقدت أيديهما كتفا . فقال الرجل ليس هذا الوجه فقال ابو سعيد هذا الذي عندنا فما الذي عندك . فقال : آبا ولم تعقد يد بجمل فعلهما لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد كما الشاعر .

« قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ تَمِيمٌ مَعَا سَادَاتُهَا عَدُوهُ بِالْمُخْتَصِرِ »

« أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثِيَابَ النَّدَى فَلَمْ تَطُلْ عَنْهُ وَلَمْ تَقْصُرِ »

أي خلقت له وقول الشاعر . . .

« قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ مِنْ خَيْرِ الْأُمَمِ لَا يَضُمُونَ قَدَمًا عَلَى قَدَمٍ »

يعني انهم يتقدمون الناس في عملهم ولا يقلدون أحداً في فعل بل يقلدون . وعندنا ان وجه المعنى غير هذا . فان الشاعر يقول (آبا ولم يأسرا أحداً اذ قلنا

الاقران جميعاً) ويشهد لهذا . البيت الثاني الذي يقول فيه (متى بلقيا الخ) وكيفما كان الأمر . فقد كان لهذا الفرع من اللغة عند الجماعة عناية خاصة تحقق طلبه رواد الأدب الانشائي . وربما كان أقرب مثل اليهم في معارفه ودراسته المرحوم (حفي ناصف) . وأما أخذ الطلاب على هضم الاشتموني والكشاف . فما لا يحقق الغاية أبداً ولا يكفل ما يطلب منه كعهد أن يتحف به . وليس معني بهذا أن لا ندرس علم الاشتموني وعلم الكشاف . وإنما المعنى أن ندرسهما في غير عبارة الاشتموني وفي غير عبارة الكشاف التي تقتضي وحدها ارتياضاً بالغاً يؤخر الغاية المقصودة بالدرس . والحق ان عدداً كبيراً من طلبتها على جانب من الانتاج الحصب لو تهدوم بمنهج اكثر ضماناً للادب واكثر تذوقاً له .

وتمثل في كلية الآداب . الميل الى التعميم في الدراسة . فهي تدرس الأدب العربي . والى جانبه الادب عند الأمم الأخرى ومن ثم تأخذ في أدب مقارن وما الى مما يكون الدرس رغم ما قد يؤخذ به أقربها الى تحقيق هدف الاسم .

وهذه المعاهد الثلاثة على ما بينها من جهات اختلاف حقيقية في اسلوب التعليم ومنهاج الدرس . تحقق غاية واحدة لا تختلف عليها كثيراً . فهي إذن تمتاز امتيازاً اسمياً وشكلياً فقط دون ما وراء الاسم والشكل . وتتلاقى أهدافها في الواقع على نقطة بينها دون اختلاف وإذا اختلف شيء بينها فالتما هو روح الدرس . فهذه تدرس عن مصدر اوروبي محض وتلك تدرس عن مصدر شئيت . وهاتيك لا تزال محافظة أشد المحافظة . مما يثير احتداماً واستعاراً مستمراً دائماً بين المخرجين . لأن الاصول بينهم غير موحدة . وهكذا يندلع لهيبه وينقد ولكن في غير فائدة تفيد الأدب .

وذلك لأنهم يعدمون التفاهم على الأصول الواحدة للدرس والاتساج . وليس هذا فقط . بل يكيدون في النقد كيداً يراد منه الهدم المجرد . ولا يفتأون يذكونها حامية ليكون ضرامها ما اتحبوا جميعاً . وفي غير مكبير جهد تقع على هذا الأثر في كتاباتهم حتى تلمس حرازة لا تمحي وحنيفة لا تفتأ تكيد . وهذا شيء لا يخدم الادب بل يقضي عليه لأنه ينطوي على ازورار مفروض واعراض ويل . وزادت بهم مدة

المخيلة إن كان الحفظ مدة . فاعرضوا مطلقاً عن قراءة بعضهم . وناهيك هذا أن يكون من تأليفه . . .

وبعد فإن دراسة التخصص في اللغة والأدب لا تتوفر أبداً في منهج كلية اللغة العربية ولا في منهج كلية الآداب ولا في منهج دارالعلوم . وإنما يتحقق الغرض المنشود في منهج يجمع كافتها . فمنهج الأزهر لا يزيد عن أنه أغراض في النحوية والصرفية واعتراضاتها كما وأنه لا يعنى بناحية ضبط المفردات أبداً . ونراه يعنى بنواح جديدة من التاريخ والنفس ويدرسها دراسة خاطئة على وجه العموم شأن كل من يستجد في ثقافة ما . وإنما يتم منهاجها بمنهاج دارالعلوم وهذه ينقصها كثير مما يجب على المتخرج أن يكون ملماً به كأديب بكل المعنى . والعجب في مخرج دارالعلوم أن يكون بعيداً كل البعد عن تطريبات الأدب العالمي التي لا يلم منها إلا بشذرات مقطعة من هنا وهناك لا تعرفه به إلا معرفة ناقصة . مما لا يكفل إلا بمنهج كلية الآداب ولكن يؤخذ عليه ضعف اللغة فيه من ناحية والتزبد من المواد الأجنبية من ناحية أخرى .. ولكن أتى يتأتى ضم هذه البرامج ثم تكليف الطالب بتحصيلها . الذي يشاهد نعبه من برنامجها الواحد فكيف بها بمجتمعة . وهذا مسلم شكلاً كما يقولون وأما هو من حيث الموضوع فسهل الاحتياط له . بعد ما رأينا من تداخل بين الدراسات وزوائد يمكن الاستغناء عنها . ومن بينها يتأتى اعداد المنهج على أكل الوجوه أو على الوجه المنشود . . .

ومن ثم يصار ضم المعاهد^(١) الثلاثة في كلية واحدة يجعل لها فرعان :

(١) كنا ابدينا اقتراحاً لاصلاح الأزهر جاءت مناسبة الآن بحيث يحقق كل اهدافه . فان الأزهر رقم صبغته التجديدية . ورقم ما يبدى من استعداد للتطور واخذ به . لا يزال بعيداً عنه . لان اخذه فيه لا يتعدى كونه صورياً . فان العالم الاسلامي يطلب من الأزهر وهو جامعته الدينية الوحيدة . ان يعد له لا هوتين (متكلمين) . وفقهاء بكل المعنى يدرسون بدقة البيانات ومقدار مشاركتها . وما الاسلام بين هذه البيانات القائمة ومقدار ثبات تعاليه بين ما يصدق العلم من نظريات في الاخلاق والنفس والشؤون والمعادلة والاجتماع والاقتصاد والقانون وامول النواميس وما الى ذلك . هذه المشاركات التي اذا حدثوا بها او قرأوها يطالعونها مندهلين فيرون في فجر الاسلام مسجراً احمد . واذا وقفوا على بعض بحوث البستاني في الدائرة هؤلاء —

(١) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب اللغة تقوية مبالغاً فيها ليعد لغويين قعدين يمكننا أن نستفيد منهم .

(٢) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب الأدب تقوية مبالغاً فيها بحيث يعد أدباء بالمعنى الصحيح وتقدم يفهمون دقه ودقيقه .
ومن وراء هذه الخطوة المباركة يمكننا أن نطمئن الى فئتنا الأدبية . ونطمئن الى

— لكل كلمة . وهي بمعلومات شائعة عند غيرهم . وعدا هذه المشاركات اللازمة . ضروري أن يخرج فقهاء يتزلون منزلة مجتهدى المذهب على الأقل يستطيعون تخرج المسائل على اصول الخلاف بنحو مما نرى في تأسيس النظر للدبوسي وعند البزدوي ومن اليهم ممن كتب في الخلاف كلام الحرمين والكنيا الهراسي وكتب الاشياء ككتاب ابن رجب وابن دقيق العيد والزرکشي والسيوطي وابن نجيم . والعجب كيف لم يقرر واحد من هذه الكتب في الازهر ويفضلون عليها مذكرات متوفرة كنتف الشارب وإيم الله . وبذلك وحده يستطيعون الاحتياط للنوازل ومعرفة الخارج . ولقد سمعت من يقول من مسلمي الروس بحجرات زائدة (لن نتوجه بالفتوى بعد هذا ونحن نسأل المتصددين في مصر فلا يكون رجع الجواب الا ما الاستفتاء عن سواء اذ يجيبون بأجوبة المسائل المعروفة على اقتضاها ومخالفتها لظروف السوآل ومناسباته . كان الشيخ بجيت مورداً فانقطع المورد بعده) هذه عبارة لم ازد فيها علم الله . غشاة العالم الاسلامي . ان يكون الازهر كما يجب ان يكون مرجعاً عاماً للفتوى وجامعة كبرى لتخرج العلماء . واذا اقتضت الحال (وهي مقتضية) ان تساهم الدول الاسلامية بتوفير خزائنه وجب ذلك . ووجبت الدعوة الى المساهمة . وواجب ان يرتبط الازهر بروابط أكيدة من حيث كونه مرجعاً رئيسياً بمعهد التجف والزيتونة والقرويين بحيث تتقارب وجهة الدراسة . وتكاد تتوحد ادارة معاهدها . وان في هذه المعاهد علماء حقيقيين يجدر الاستفادة بهم في اعداد المشروع . والعالم الاسلامي يطلب من الازهر واطفاً اعنى مبشرين ودرس الازهر لا يحقق هذه الغاية بكاملها . وجاع العلة في بقاء سير الازهر هو احتفاظه بكل (اقسامه الاولى . الثانوي . العالي . التخصص) وحقيقة ان الازهر لن يبلغ رسالته على الوجه المطلوب الا بعد ان يبالغ في الدراسة العالية . ويضيف دراسات على القرآن والسنة والمعارف الاسلامية العامة على النسق الذي تدرس عليه في الجامعات الاوربية ليتشكل الدرس بشكل اقرب الى الاسلوب العلمى في غير ضجر ولا تأفف . وعليه فنقترح الغناء القسم الاول من الازهر عموداً والاستعانة بميزانيته لتقوية التعليم العالي مع تغيير كلي في سير الدراسة في القسم الثانوى بحيث لا يدرس الرياضي وما اليه الا الى الثاني الثانوي . ما عدا اتمام درس اللغات التي اخذوا بنصيب منها في المدارس الاميرية . وبعد يتوفر على دراسة اعدادية للقسم العالي (الكليات) تتناول النحو والصرف وعلوم البلاغة واللغة والاشتقاق والادب في كتبه الاولى (كتصحيح كتاب ومبادئ اللغة للاسكافي) والمنطق والتوحيد والاصول وفرع مقدمات العلوم (يجب ان يجعل فرعاً في الازهر ليعتق الملكة في الطالب) كالذي ألف فيه المرحوم —

متجاتها بحيث نستطيع أن نزاحم بأدبنا الأدب العالي من كل وجوهه . لا أن يبقى قابلاً في موضعه لا يعرف من شأنه إلا أنه لا قيمة له .

ومن وجه آخر تتلاقى المخرجة في مذهب التفكير وروح الدرس ومذهب الانتاج . بما لا ترى بعده الفئة اللغوية محافظة الى حد منكر . ولا الفئة الأدبية محددة الى حد التجاوز والخروج على مذهب العربية وروحها الخالصة . وطابعها المتميز

— الشيخ . راشد أبو عليان . وفرع الاصطلاحات كالتعريفات فخرجاني (يجب ان يجعل فرعاً في الازهر ايضاً) وفرع الكنى والالقب على معنى ضبطها كما في لب الالباب للسيوطي واللباب لابن الاثير . واما ان يتناول الطالب علوم الكليات وهي غريبة عنه اشد ما تكون . فأتنا في مذهب التربية العقلية . لتقل به بطفرة تترك فراغاً في تفكيره فلمس اثره ونشكرو منه . ومن ثم تفرغ لتنظيم الكليات بحيث يضاف اليها علوم وتلقى علوم ويستقدم لبعض الفروع بمستشرقين لهم ضلع بالغ فيها على مسحة يقتضيها التسامي العلمي المشهود ويجعل للازهر الاشراف الاكبر على الفرع الآخر من كلية الاداب الذي يختص لغة . وتخصص المهنة يجعل سنة واحدة . وبهذا وحده يمكن للازهر ان يقدم متقنين دينيين مطمئنين الى ثقافتهم محققين لها . يصفى اليهم في الاوساط العالية فلا يتهافت منهم اذا خاضوا في ابحاث علمية لاسهم يؤدونها تأدية خاطئة اذا صحت لهم النتائج . فقد حدثني بعض اساتذة بيروت انه ضمنه مجلس بازهرى ذهب يبدى انجابه بالطريقة السقراطية وانها ضرورية في تربية العقليات وكما كان يجب منه اذ يدعوها الطريقة الارستقراطية مختلطاً عليه مما جعل الجماعة يصغون اليه بذهول ساخر . وكذلك يكونون متحزمين لكل ما يبعث به على القرآن . ينفذون المجتمع الاسلامي بتناجهم الخالص لا ان يكونوا حالة كما نشهدهم على عمل غيرهم . ممن لا يمت الى اختصاصهم بوجه . فهم يتناولون (حياة محمد) للدكتور هيكل كتحنة ثمينة وفادرة وكتب الاستاذ فريد وجدي كشيء يجدون مادة ثقافتهم فيه وهكذا مما كان عليهم مثل هذا العمل وعليهم وحدهم مثل هذا الانتاج . ولقد قال لي يوماً بعض المسيحيين مداعباً يا هذا اما عندكم من الشيوخ من يكتب ويفكر حتى تولى هذا الواجب مخرجو اوروا فقلت له بمراوغة . فيما تقول من هذا شاهد كثرتهم وعظيم اثرهم حتى تركوا كل مسلم شيعياً . وبالجملة اذا حققنا المشروع على وجهه فلا بد ان يكون لهم مثل هذا الانتاج لكون دراستهم ولعرفتهم باللفات وبه تواجه الغرب فاخرين ويصبح بيننا من مثل المرحوم قاضي الغضاة سيد امير على الهندي كثيرون . هذا ما خطر لي صالحاً وكنت اعددت رسالة تتناول هذا الاقتراح من كل وجوهه بعنوان (ماذا في الازهر) ربما نشرناها بعد ان شاء الله . . .

القسم الثاني

عرض ومقابلة

لست أعرض هنا إلى شيء من الخلاف في أن اللغات توقيف . أو خلق في محل النطق ، أو مواضعة . لاعتقادي بأن هذا الاختلاف في أساسه وجوهره ، لا يراد منه اللفظ . وإنما غاية كلامية بحتة . ولذا لا تكاد تسقط على مبحث من هذا الطراز عند اللغويين القدماء . وإنما سري أو عدى بصر يانه إلى اللغويين ، الذين نشأوا بعد استعراة الخلاف الكلامي الذي كانت هذه إحدى مسائله . كقدمة للخلاف الذي صبح اللاهوت الاسلامي ، حتى آخر العهد بمباحث خلق القرآن وصفة الكلام ، ولذا كان يجعله من علم الكلام أمثله . ومن ثم نذهب من أول الأمر إلى اعتماد وتقرير مذهب وضحي صرف .

(قسم علماء^(١) المقابلة اللغوية في هذا العصر . اللغات باعتبار تدرجها التهديبي إلى مرتبة وغير مرتبة . وهذه الأخيرة تتضمن أدنى اللغات ياناً وأبسطها الفاظاً كالزنجية وهندية اميركا . والشمالية الشرقية الآسيوية والحامية والصينية . ومن أم صفاتها أن الفاظها أحادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف . واللفظة الواحدة تكون اسماً أو فعلاً أو نعتاً . بإضافة الفاظ أخرى ذات معان مستقلة .

وأما المرتبة . فتمتاز بسعة نطاقها ومنها لغات العالم المتمدن . وتنقسم باعتبار قابليتها لتصريف والاشتقاق إلى (متصرفة) و (غير متصرفة) وهذه الأخيرة تشمل اللغات الطورانية على فروعها والمنغولية والتفاسية والاوغرافية . ومن أم صفاتها أنها مؤلفة من اصول جامدة لا تقبل التعبير في بنائها مطلقاً . وإن الاشتقاق يقوم فيها بالحق أدوات لا معنى لها في نفسها على آخر تلك الاصول . مثال ذلك في التركيبة

(١) من كتاب الفلسفة اللغوية لزبدان ص (٢)

(ياز) الاصل الدال على الكتابة فيضمون منه فعلا ماضيا بالحقاق (دي) في آخره
يقولون (يازدي) وفي الماضي السابق يقولون (يازديدي) أي كان قد كتب . وفي
الجمع الاستنادي يقولون (يازديديلر) أي كانوا قد كتبوا وهكذا بحيث تبلغ هذه
الواحد عشرة عدداً مع بقاء الأصل على بنائه) ...

(وقرروا ^(١)) أن كل اللغات القديمة تعاقبت عليها ادوار ثلاثة . ففي الدور الاول
كان كل من كلماتها ذا هجاء واحد فتوضع الكلم احداها بعد الاخرى بحسب نظامها
النطقي لتأدية المعنى المقصود . وما برحت لغة الصين من هذا النوع .

وفي الدور الثاني أخذ بالحقاق كلمة إلى أخرى فيؤدي اللفظان المعنى الأول مضافاً
إليه معنى جديد . أو يحصل من تركيب هجائين أو أكثر معنى آخر . وفي هذا الدور
أيضاً أخذ بزيادة أحرف على الاصول في أولها أو آخرها أو بين حروفها للدلالة على
معان ترافق المعنى الأصلي مثال ذلك في العربية (قاعِل) و (استفعل) ومنه زيادة
بعض الحروف في اللغات الاوربية للدلالة على تجديد عمل الفعل مثل (commencer)
أبتدأ (recommencer) أبتدأ ثانية ومثل (honorer) كرم (deshonorer) احتقر ...

وفي الدور الثالث اكتسبت كلم اللغات التصريف وهو تغيير الأصل إلى هيئات
متعددة للدلالة على معان . منها تصريف الافعال في الازمنة . ومع الضمائر وبنائها
للمجهول والحقاق الضمائر بالاسماء والافعال . ومثل النسب والتصغير وما أشبه ملخصاً
عن لانرمان في تاريخ الشرق القديم)

هذا التقسيم كما نرى يبتدأ أساساً اللغات الحية آخذاً بأدناها كالصينية . وهو بهذا
النظر والملاحظة غير دقيق . وذلك لأنه يفترض مبدأ . ما يتخلله طفرات حقيقية .
والتقسيم الذي نظنه أدق وصحیحاً . هو ان اللغات جميعها المرقية وغيرها مرت
في ادوار ثلاثة ...

(١) ذو المقطع البسيط . أي أدنى المقاطع مثل (ba) وهذا الدور في غايته وله
المقاطع الواحدية . المجموعة في حروف الهجاء أو بعبارة اخصر وله الجدول الهجائي

بأصواته المختلفة (الحركات فيما بعد في العربية) . وهكذا كانت في كل صوت . يدل دلالة بعينها فشلا (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . وعنه نشأ (وو) في العبرية بمعنى وصل . .

(ب) ذو المقطعين . ونعني به الحرفين بصوتين . والحرفين بصوت واحد . . وهذا الدور انتشأ مصادفة وبمحاكاة الطبيعة في مختلف أصواتها . وفي آخره لما ابتدأ الانسان الرق المطرد وسمى بطلبه . قصد إلى التأليف من منطقته . فشلا السامي في هذا الدور لما أراد أن يدل على أن الحيوان يسوي . عمد إلى حرف المين ذي الصوت المضموم أي (عو) الذي يدل على الحيوان المقترس وإلى حرف الواو ذي الصوت أي (وا) الذي يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . فدغمهما وتوصل إلى (عووا) بمعنى حيوان يصوت أو يواصل التصويت .

ومن رأينا ان المعلات في العربية . تنظر إلى هذا الدور . فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدتين فقط . وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها وتستحصل مثل (عوى) بمعنى صوت الحيوان . .

وفي هذا الدور والذي بعده . تواضعا اللغة الصينية ومثيلاتها وبذلك تعتبر وكأنها قطعت الادوار الأولية واستقرت فيها .

(ج) ذو المقاطع . وهذا الدور بلا ريب كان يقصد الانسان اليه قصداً للحاجة فكان يجمع من المقاطع البسيطة الواحدية . والمقاطع الثنائية ويؤلف منهما دلالة مركبة وهكذا . وفي هذا الدور اتخذت العربية وحدتها . واستقرت في الثلاثي . .

وفي ختام هذه الادوار التي تؤلف العهد الأول . وقفت لغات واميت لغات ونشطت لغات آخذة بالحياة الجبارة . وهذه وحدها هي التي ألفت العهد الثاني الذي يسمى عهد اللغات المرتقية . وباعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق . تقسم إلى متصرفة وغير متصرفة . ونحن انما يعنينا هنا القسم المتصرف فقط وهو في نظر ناقد تطور في دورين تصريفيين . .

(١) التصريف باللاحاق . .

(٢) التصريف بالاستناد . .

وسياتى الكلام على هذا التقسيم الذي كان الغرض من ذكره هنا العرض والمقابلة فقط . وكيفما كان فنحن لم نقصد الا بسط رأي جديد بين يدي موضوع لم يتوضح بعد . وما احرى أن تثار من حوله طائفة من الابحاث أن لم تكشف عنه . فلا أقل من أن تقيط من غموضه ..

الدور الأول

الإنسان الفطري

لم يعد من الصعب أبداً ولا في حال من الاحوال . تصور كيف كان الانسان الأول إنسان الفطرة أو بعبارة أكثر جدة وأكثر طرافة . إنسان التجربة الاولى التي بدأت مستضعفه . وبرزت فيه على غموض . حتى لم يكن على شيء مما يستدعي النظر ... وأما الانسان الذي نمجد فيه الله . فهو ذو الملكات والاستعدادات المتكاثرة على شبه الاقسام او التوالد الذاتي في الحيوانات الدنيا . هذه الاستعدادات التي لم تزل سرّاً مغفلاً . وعقدة لا تحل . ولا يمكنني أن أقول بأنها ستبقى كذلك فلعلها تكشف عن نفسها يوماً من اليوم ..

وهذا الانسان لم يزل يشير العجب الخاشع . ويبحث بالتقدير والاحترام العميقين حتى استقر في منطق الدينين منذ ابد اليهود اللاهوتية . ان الله خلق (١) الانسان على صورته . ولهؤلاء عذرم فان انسان العواطف العاقلة ، والمشاعر المفكرة ، والاحاسيس المنطقية التي انتظمت الشرائع والتعاليم وتواضعت النظم . لا يزال يشعر بين الشعور الذي استولى على اجيال التاريخ . بل ربما لم يكن في عصر بأكثر وضوحاً من العصر الحديث . الذي دعى فيه (اوغست كنت) إلى إحكام هذا الشعور واحاله كعبادة لعل لها أيضاً طقوسها ولها هياكلها ...

يد كان الانسان الفطري غير هذا الانسان الذي نعرفه وندهش له تلك الدهشة التي كانت مصدر نزعات مختلفة . كان انساناً خاملاً (كما يقولون) لا يكاد يرتفع عن

(١) جاء هذا الاثر في التوراء سفر التكوين . واخرجه الشيخان بلفظ ان الله خلق آدم على صورته واخرجه احمد في مسند ابي هريرة . راجع كشف الحقائق والالتباس للعلامة في حرف الحاء .

مستوي النوع . الذي هو فصيلة من فصائله المشاكلة . والذي تكون بعد ذلك مثلاً اسمي . . وكما قلت في طالعة المقال لم يعد من الصعب أبداً تصور كيف كان الانسان الاول . وذلك لأننا أصبحنا اليوم وتحت نظرنا أشكال عن الانسان المتطور نحتفظ بالخصائص الأولى في بساطة نسبية وسذاجة غير مطلقة . .

ولذلك لن أعتني هنا وفي هذا المكان بنقل صور عن الانسان الفطري . لأن هذا لا يعني كثيراً . ولا قليلاً أيضاً فاستطرد اليه . كوضوح له فروع من العلم تخصصت لدرسه . ولست آخذ الآن في واحد منها . وإنما أعتني من كل الانسان الفطري بالبحث عن لهجته (ولا أرى هذا التعبير دقيقاً وأدق منه) البحث عن شتي الأصوات السليقية عنده . التي استقرت في غايته على صورة وكانت لهجة . ومن ثم نلاحظ أن اللهجة داخل في مفهومها الاستقرار ولن تكون لهجة الأصوات التي تتخذ عدة أشكال تردقبد الحاطر . .

لغة الانسان الفطري

نستقبل الانسان الأول وهو يلهج بأصوات غير متشكلة . وليس يهنا ما قبل هذا لأنه من فروع النشوء العام وللتشويين أن يقدروا هنالك ما شاؤا . ولكن الذي يهمني وبصورة خاصة . هذا الدور لأن عنه انبرعت اللهجة قالفة . .

واقصد من غير متشكلة أنها لم تنطبع بطابع خاص يميزها . بل كانت جارية مجرى الأصوات التي يقال الاضطرابية في قسمها القسي . وهي الأصوات التي تولد عند الانفعالات . ولا تتميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيج . وهي أصوات المتوجمين والمغمومين . والههمة . وهو الصوت الحاصل من تردد الزفيرها أو حزنًا . والزحير وهو خروج النفس بشدة عند عمل شاق والنحيم والتهميم وهو الانين المركب الذي يخرج المكدود . . .

وكذلك بقيت الأصوات آخذة سنة مطردة على نسبة الترقى العام . حتى انتظمت في أغراض ثابتة وإن كانت عمومية . تولد عنها أصوات لا تزال دارجة في كل اللغات

ويظهر أن هذا الدور امتد كثيراً وعاصر الإنسان أطول العمر . وكان في حلقات لا ميل إلى تمييزها على وجه الدقة والتحديد . ولكن يمكن إرسال القول على كثير من الغروض . وفي شيء من الوضوح أيضاً .

تأثرت لهجة الإنسان الفطري في هذا الدور على امتداده بصوت الطبيعة في نفسه ، وفي المواليد الحية ، والنامية ، والجامدة .

وكان من نتيجة هذا التأثير أن تولدت اصوات كلية . كانت فيما بعد هي الجدول الهجائي بلهجاته التي صارت في سموقها اللغوي حركات الحروف . .

وهنا نكون قد وقفنا بك على لغة الإنسان الفطري المترامية في القدم البعيد وراء مصارف التاريخ . ونكون أيضاً قد عثرنا على الطرف الأقدم من لغة الإنسان الأول التي هي أم اللغات . والتي لم تزل مرآة مقلداً في مباحث (علم اللغة المقارن) .

وعليه فاللغات وحدتها الحقيقية هذه الحروف بأصواتها (أي الحركات الثلاث في الحرية وسواها في سواها) وهي بعينها لغة الإنسان الذي ارتقت البشريات عنه . وليس معنى هذا أنهم توصلوا إلى الجدول الهجائي على ترتيبه . بل المقصود أن مجموعة كلمات اللغة الفطرية (أن صح هذا التعبير) هي مجموعة هذه الحروف بأصواتها التي توصل اليها بالمصادفة . والمحاكاة . والتقليد (أي ارادة المحاكاة)

والاسباب التي حدثت بي إلى هذا الظن كثيرة . أهمها اختلاف حروف الجدول فلة وكثرة . وتقصاناً وزيادة وعلى نسبة كثرة وقلة الجدول نسبة اتساع وضيق اللغة نفسها . فهذا الاختلاف شاهد على أنه وحدة لغوية أي اليه تنحل اللغة . . .

وإذا كان الشأن تألف المركبات من البسائط . والبسائط قامت مقام المركبات في ظروفها . فلا شك إذن في أن الجدول الذي هو بسيط أية لغة قد كان لغة في ظرف بينه . واليك^(١) مثال هذا الاختلاف .

(من القبائل القاطنة أواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية (ف ب م و) في لغتهم . وبعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع (ب ف ج د ب

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص (١) .

(و) . وأكثر أهالي أستراليا لا يستعملون المقاطع الصغيرة (س ز ش ث ص ظ)
والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف (ب م ن د ف ح ج ل ق ص و
ي) واللغة المصرية القديمة خالية من هذه المقاطع (ب ج د ز ظ ض) الخ .
هذا الاختلاف الذي نعرض شاكلته . يدعونا إلى عدم التردد في استنتاجنا
السابق . كما أنه إذا صح يدلنا على أن لغات العالم لم تنشعب عن مصدر واحد . وإنما
اللغات وليدة أسباب مكانية اجتماعية وانفرادية . كالعادات وليدة الطبائع والظروف .
وان دعوى نشوء اللغة عن الأصوات بالمحاكاة وما إليها يقضي بهذا أيضاً . . .

وبلى هذا أهمية . الاستدلال بمقاطع اللغة الصينية التي لا تزال حية إلى اليوم
بقانون (الاستصحاب المقلوب) فان المقطع الواحد فيها يلفظ بخمسة ^(١) أصوات أو
أكثر ليدل في كل صوت على معنى خاص . .

ولقد تقدمنا بأن ما يسمونه مقطعاً في الصينية هو مقاطع عندنا . وعليه فلا ريب
في أن هذه المقاطع تنحل إلى أبسط جداً كانت تنطق كذلك بأصوات مختلفة . لتدل
في كل صوت على معنى بعينه كما هي في حال التركيب . ومن ثم ندرك أن هذه
الأصوات هي أصل الحروف الصوتية في غير العربية . والحركات في العربية . أو بمنزلة
على أقل تقدير . ولهذا نجد في العربية مثلاً اختلافاً باختلاف حركة الحرف . لأن
هذه الحركة لها معنى خاص في الحرف . وهي منه في عهود اللغة الأولى . بمنزلة الصيغة
من الكلمة في عهود اللغة الأخيرة فكما تقضي الصيغة بتغيير معنى الأصل الواحد .
كذلك حركة الحرف . والكلمة المؤلفة من حروف مختلفة الحركات مثل (فعل) تكون
بمثابة الجملة التي تتضام فيها كلمات مختلفة الصيغ فهي اذن جملة بسيطة . . .

ولسنا نمنى هنا بأن جميع حروف الهجاء تولدت إذ ذاك كأصوات ذات معان .
وإلا كان يجب أن يتعد الجدول في السامية على فروعها . والحال الواقع يكشف
عن أن العربية انفردت بحروف كما أن غيرها كذلك . ونرى في هذه الحروف الزائدة
إنها (ان لم يكن ولادها نحت تأثيرات أجنبية) وليدة المقاربة والحاجة كالضاد
من الدال . .

(١) راجع مقدمة الحضارات الأولى لفوستاف لوبون ص ٤٣ .

وجلة القول أن الدور الفطري في غايته أدى إلى هذه الحروف بأصواتها لتدل دلالات ثابتة تختلف باختلاف الصوت مع الحرف . وربما صاغ لنا الاحتجاج باللغة (التركية) التي تمثل بالنظر اللغائي ^(١) مخفولة لم تسوها مراحل العمر . قال ^(٢) أبو حيان الاتدلسي في كتابه (الادراك لسان الاتراك) ..

(الاسم أحادي وثلاثي وثلاثي ورباعي وخماسي . فالأول متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة مثال ذلك (صو) و (يا) و (جي) والحروف التي بعدها أشباع وليست أصلاً . وكذلك حروف المد واللين الثلاثة لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة) . ونحن لا على شك في أن اللغات كانت على حالة من ذلك . وأن هذا الأحادي هو أساس اللغات وهو يتمثل في حروف الهجاء بأصواته المختلفة ذات الدلالة المختلفة . وبالجملة فانا نجد في التركية التي يحكى عنها (أبو حيان) تحقيقاً لما نظن في النشوء اللغوي . وأنه خضع لمبدأ التركيب حتى بلغ مبلغه من الثلاثية والرابعة وهكذا .

ومن الممكن جداً تعيين دلالات هذه الحروف بأصواتها حين كانت لغة على شيء من الافتراض المقارب . وسبيل هذا التعيين المعلات مطلقاً . وبالأخص منها (الفيف) في العربية . وليس اعتمادها بأخذ معانيها المعجمية على وجه التحديد . وإنما بأن تنتقل منها بالمقاربة إلى ما هو الإدخل في تفكير الساذجين واعتباراتهم . على أن العربية بنوع الاجمال لا يمكننا أن نفهم منها شيئاً على وجه الضبط . لما أن نسبة تطورها كبيرة جداً . وبالأخص إذا نظرنا إلى هيئة اللفظ فان العربية لم تعد على شيء يقرب من الأصل . لما كان للاتباع من أثر خطير في تغييرها . وربما كان أخرى بهذا القصد أن نتمد البابلية والآشورية والارامية وما إليها .

وعليه إذا أردنا أن نعين معاني الحروف على اختلاف الأصوات لزمننا أن نفهمها على ضوء هذه اللغات . ونحن لا على شك في أنه يمكن حلها وتحديد معانيها . ومن ثم نفهم العربية فهمها تماماً لاشية عليه ولا شبهة فيه . وليس في تأليف الثلاثي فقط بل في الموازين أيضاً ..

(١) كلمة من وضعنا الجديد لتحل محل علم اللغات المتعارن وهي مصدر من لاغى قارن بين لغتين .

(٢) راجع كتاب توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري ص ١٨ .

ويتفرع عن هذا فهم سر الحركات . ولماذا كان هذا الاختلاف في المعنى باختلاف الحركة الواحدة في الميزان . وإن لم يعد هذا نظراً في الأدوار المتأخرة من حياة اللغة . ولقد يتأتى اعتماد معاني أسماء الحروف الفينيقية في فهم الكلمات . ولكن لحلوها عن معاني أصوات كل حرف يبقى سر الحركات غير مفهوم كما يجب . وذلك لأن الجدول الأبجدي منفصل عن أشكال صورية كان يقال عليها هذا الحرف اسماً كقطع الألف . رسموه بما يشبه رأس الثور . ومعنى هذا المقطع (الثور) أيضاً . وعليه فيمكننا أن نعتبر بأن الأولين أي قبل عهد وضع الجدول الأبجدي كانوا يفهمون من (أ) الهوائي معنى الثور وما يشبهه فيكون له مصدوق الجنس . ثم في عهد بلوغ اللغة زادوا اللام والقاء تخصيصاً للنوع . ومن ثم نفهم أن هذه الحروف كانت تدل على أجناس معانيها الفينيقية في العهود الساذجة الأولى .

وإذا أخذنا في تحليل كلمات العرية على معاني الجدول خرجنا بمقاربات يمكن عليها فرض التطور . واليك كلمة (شجر) التي تحمل إلى (ش) ومعناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات و (ج) ومعناه جبل وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع و (ر) ومعناه رأس . والمعنى المؤلف (نبات مرتفع له رأس) وهو تماماً معنى الشجر وانظر إلى تخصيص القوي الشجر بماله ساق . وكلمة (جبل) التي تحمل إلى (ج) ومعناه ينظر إلى الارتفاع و (ب) ومعناه بيت و (ل) ومعناه الملاصقة والمساس والمعنى المؤلف (بيت مرتفع ملاصق وكأنه للسحاب أو للارض) وهو تصور صحيح عن الجبل .

وكلمة (جبل) التي تحمل إلى (ج) ومعناه الارتفاع و (م) ومعناه المياه وهو ينظر إلى السحاب و (ل) ومعناه الملاصقة أو المساس والمعنى المؤلف (مرتفع يلامس السحاب) وهو تصوير لوضع الجبل تماماً . وكلمة (سمك) التي تحمل إلى (س) ومعناه (الدعامة) وهو ينظر إلى مطلق القوي المتحامل و (م) ومعناه المياه و (ك) ومعناه (كف) الذي ينظر إلى مطلق التبسط في صخر والمعنى المؤلف (كف الماء القوي) وهو تصور قريب عن السمك .

إذن فهذه الحروف ذات معانٍ جنسية وقد بقيت ملاحظتها في وضع الكلمات إلى آخر العهد القوي . وعليه فلا يبقى ما يستبعد معه تقديرنا الآتي من أن الثلاثي

والرابعي وما إليه لم تنشأ بالنعث أو بشيء من هذا أبداً وإنما نشأت بزيادة الحرف فقط. وبعد فانا لا نقول بأن الجدول يضمن لنا دراسة كل كلمات اللغة وفهمها على وجه التحقيق . وإنما يمكننا أن نستروح إليه . وأهم شيء يفيدنا منه أنه يبرهن على أن اللغة انفصلت عنه ثنائية فتلالية بحيث لا ينظر إليها كنظرية إفتعارية (١) .

كما أنه يبطل المبالغة في تقدير عمل النعث في السامية على الإطلاق . وخصوصاً في الأدوات . فإن ما لا ريب فيه أن هذه الأدوات كان لها معان أولية تمجرت وبقيت كذلك لتدل هذه الدلالة المتحجرة (٢) .

وبالجملة قرر بأنه يمكن اعتماد الجدول الأبيجدي بمعانيه في تحليل الكلمات وردها إلى معانيها الأولية إلى أن يتم لنا استخراج جدول واسع يتناول معاني الحروف والأصوات.

الدور الثاني

نرامي النظر في تخطف وتكن . وراء حقب من التاريخ المظلم . إلى هذا العهد الذي بدأ الانسان يتوكل فيه . أو ابتداء متوقلاً في مآنى التطور . ولكن على كل حال حقق خطوة لها غايتها ومن نفسه طريقه في غير ما يتحدد ولا التواء . وكان من نتائج هذه الخطى الأولى والسادجة . ان انتظمت مقاصده في أغراض جد يسمى وراءها . وكثيراً ما كانت تأتي خطاه متخلفة . وكان طامع ذلك أثر ليس بقليل في الرقي العام . وركى اللغة وتطور المنطق الذي تقع منه في هذا الدور على تقدم محسوس . ونصادف الانسان بما انطوى عليه من الغريزة المكتسبة . يحاكي ويقلد على غير قصد منه .

(١) كلمة من وضعنا الجديد بمعنى (utopian) أي خيالي مفرق وهي نسبة الى كلمة (utopia) وقد جاء في المعاجم الانجليزية ان الكلمة لا وجود لها أصلاً وليست كما توهم ترجع إلى كلمة (topos) فلا يبعد اذن أن تكون مأخوذة من كلمة (طوبى) السامية بمعنى الجنة ومنه (طوبى لهم وحسن مآب) والكلمة الجديدة من قول العرب افتخر القول والرأي أي به غريباً جداً ولم يتابعه عليه أحد .

(٢) وهذا يظهر مقدار المبالغة في تخريج الأدوات والضمائر على سنة من النعث وسبيل من الاختزال . وهو وإن يكن فيه شيء من الحق لا ينكر . فقد أخذ على وجه مزيد وأكثر من بالغ في هذا التخريج صاحب كتاب الفلسفة اللغوية فراجعته من ٣٢ . والحق أن طائفة منها وطائفة من الزيادات في الموازين حرفية من أول الامر كالتاء في (تفعل) والتاء في (تفعل) على ما اتهمنا إليه فراجعته في القسم الثالث من المقدمة . . .

ويقين أن الانسان بعد اضطراره إلى هذه المحاكاة بحكم كونها المصدر اللغوي له
فحسب . ترك ثروة ليست بقليلة في هذا المضمار وإن كانت محدودة معدودة . . .

وهذه الثروة هي أكثر المقاطع الثنائية التي يمكن فرضها . وانما أحلنا على الفرض
لأن من المعقول أن اللغة في حالتها الراهنة ، ووجودها الشاهد لم تعد تحتفظ من تلك
الثروة بأكثر من أنها تمثلها في وجودها الارقي . وما بقي اليوم منها في المعاجم
(كأب ونب) فليس جميعها من الثنائي رأساً عند التحقيق كما سيأتي في محله . . .

ونحن وإن ذهبنا نقرر بأن الثنائيات من وضع هذا الدور أو وليدة عوامله فلسنا
نعني أن ذلك كان يقصد الانسان إلى التأليف والتركيب . وانما انتزعها تارة من مصدر
بسيط غير ملاحظ فيها تركيباً . وتارة نشأت بنفسها من ضم المقاطع التي يحتملها التعبير
وخصوصاً إذا كانت مجموعة المقاطع المضمومة تدل على معنى شخصي واحد . فبضرورة
استمرار هذا التعبير لهذه الدلالة يتوحد في غايته . وهذا لا يعجزنا المثل عليه بل هو
قريب وعلى طرف الثام كما يقولون . وليس فرضاً بل حقيقة غالبية . مادامنا نستطيع
تعيين دلالة الحرف وصوته على أن في الأمثال التي منوردها كثيراً من الطرافة .
وطرافة اللغة . وبالأخص حين يكون عملنا محاولة لأول مرة تعرف في (علم تحليل
اللغة) . ولا نستطيع هنا إلا التصريح بأن معرفة دلالة الأصوات تماماً . ودلالة الحروف
البسيطة كذلك . تحتاج إلى مجهود كبير ، وإلى معرفة لغوية شاملة ، وإلى استقراء
دقيق ، يقعد بالباحث المنفرد . وذلك لأن اللغات المرتقية في وضعها الحالي . أصبحت
على بعد يقرب من الخلاف بالنسبة إلى أوليتها القديمة . . .

ولذا سنقتصر الآن من التطبيق على بعض الحروف فقط ليكون كدليل على
صحة النظرية من وجه . ومدعاة لبذل الجهود وتوفيرها على تحقيق أصوات وحروف
كل لغة ونسبتها إلى الكلمات المؤلفة من وجه آخر .

والآن نستطيع أن نتخيل كيف كان يعبر انسان الدور الثاني . وكيف كان
يبين باعتماد معاني الجدول الفينيقي . ولو ذهبنا هكذا في التحليل لكلمات اللغة . وعلى
سنة منظمة تقف على مستوى الأخيلة الواضحة . وعلى مقدار مذاجتها . ونستعين بذلك
أيضاً على تحقيق التطور الوضحي وتاريخ الاشتقاق . وإليك مثلاً على هذا (عبي) فإن

(البین) تدل على الحيوان الزئيري . (والباء) تدل على البيت . وكأن المعنى الأولي (حيوان البيت القوي) الذي هو كناية عن الرجل ثم اشتق منه بعد أطوار من الترفي اللغوي والشعبي . اسم لباس الرجل الخاص به (العباية) ثم غلب الأصل في معنى الفرع المشتق . واميت معنى الأصل بالنسيان أو بعدم الاحتياج . حتى صار في معنى الفرع حقيقة وضعية .

وكما قلت اقتصر على هذا المقدار من الامثلة للغاية عينا . وبودي لو استرسل في هذا المذهب من التحليل الطريف، الذي يكسو البحث اللغوي جدة لاذقة، ولكن نحول دونه عقبات أقامها المقابلة بين فروع السامية . بيد أنا مهما تنصلنا هنا من التوسع في بحث الموضوع فلا نهمله من كل أطرافه . ونرى من الضروري أن نتكلم على رأينا في المسلات . التي لا تتردد في الحكم عليها بأنها ثنائية ألحقت بالثلاثيات بتصحيح حركة الحرف حرفاً . وإذا صح هذا التقدير فلا ريب في أنها تكون أقدم ما حفظت الامة من كلمات اليهود السالفة والعريقة في القدماء . ومن ثم فهم في الواوي واليائي معنى جديداً وهو انه الحركة الأثرية للحرف . وهذا عدا عما اختلف وطورته العربية متجاهلة الأصل الذي انشعب منه والهيئة التي ولد عليها . لأن هذا الأصل وهذه الهيئة بقية من الطفولة اللغوية كان لها في مدارك العافولة معناها ومكانها . واما هي من العربية الراقية فليست بأكثر من مفرد ذي مدلول قد يقارب المعنى التركيبي القديم وقد يباعده .

ويظهر أن العرب في أدوارهم الأخيرة قصدوا إلى تقليل المعلات مطلقاً وامانتها ونوسلوا إلى ذلك بأمرين :

(١) إبدال الهمز به . وغلب هذا في المثال . وهي ظاهرة قلما تنبئ اليها باحثو الاشتقاق العربي . مع ان لها خطرهما في بناء الكلم وتحرير معانيها فمثلاً (اور) أصلها (بور) و (ابخ) أصلها (وبخ) و (أخى) أصلها (وخی) ولما بقيت على قلة في المفاعلة فقالوا في (آخى . وأخى) و (أشاح) أصلها (وشاح) كما سيأتي في القسم الثالث بتحقيق . وأهمية هذه الملاحظة (عدا ما ذكرنا) في تصحيح التاريخ اللغوي وتمييز الأصول الموضوعية من الملحقه الخاف .

(٢) الحذف والتضعيف . وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمه الأهمية . من حيث وجوه المعرفة في الأولى فشلاً (نبى) يصار بها إلى (نب) . وربما دل لهذا تقدير بعض المستشرقين في لفظ (مكة) وانها مشتقة من (مكا) بمعنى البيت العظيم في البابلية . وإذا صح هذا ولا مانع من صحته . فأصلها مكل . وفي دور التصحيح قلوها إلى التضعيف . وكذا ما تحتفظ به بعض لغات القبائل من (أبا) في (أب) أي الوالد . وأيضاً بناء (تَقَلَّ) من الثنائي المضعف يرده إلى الأصل المكل كما في (تظنى) و (تظلى) فان النحويين ^(١) يقدرون بأن حرف الهين منقلب من النون في الأول . ومن العلاء في الثاني . وهو مجازة محضة اذا لم تقدر بأن أصل المضعف الثنائي . ثنائي مكل . فرد إلى الأصل عند الزيادة هرباً من الاستئصال الذي يجبر اليه .

والذي يقطع بأن المعلات هي صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها تحمل كل معاني الثنائي القديم . الكلمات ^(٢) التي كل حروفها من جنس (كاللاد) بمعنى الهو و (البية) كلمة تقال للطفل تلعباً وهكذا . فانها لا تعال إلا على هذا الوجه . وكذلك سبب قلتها . وهي ترجع إلى المكل المعتمد على حرف واحد . فالبيبة ترجع إلى (البو) بمعنى ولد الناقة وجلد الحوار يحشى ثاماً أو تبناً . والدد يرجع إلى (ددا) بمعنى الهو واللعب .

وتفسره ان العرب لما أخذوا ببعض هذا الصنف من المكل ، على وجه التصحيح ومحو الصوتية منه قام على حرف واحد . بينما أقل ما تعتمد عليه الكلمة في العربية ثلاثة أحرف . فضعفوه هذا التضعيف ولثقله نذر وجوده في العربية .

على ان في العربية أيضاً ما يقطع عرق النزاع . في أن المعلات صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها أصل لثنائي المضعف . وهو الثنائي المخفف كدم ويد وأب وذلك لأنها ان كانت ثنائية ^(٣) ساكنة فلا معنى لتحريك الآخر وهي تعتمد على

(١) راجع ملحقات شرح الاعلم الشنتمرى لديوان طرفة طبع روسيا . . .
(٢) هذا النوع الذي نص اللغويون على ندرته راجع كتاب ليس في كلام العرب لابن خلوويه ص ٣ .
(٣) ذهب الامام الاصمعياني والشيخ ابراهيم اليازجي إلى أن الأصل النشوي القديم لغة هي

أقل ما به تم الكلمة . وعليه فلم يبق إلا أن تكون منفصلة عن محل مما تحكون به متخلفة بالنسبة إلى موضع اللغة .

ويدل لهذا الاعتبار فيها (أب) المحفوظ بالاعلال والتضعيف والتخفيف . وهو ينظم في تطورات ثلاثة أبا فأب فأب . وبهذا يعال الاعراب بالحروف في الأسماء الخمسة . وذلك لأنها تعتمد على حرفين فإذا اضيفت أسهلوا الحركة وأشبعوها . والتي جماعي أعتمد انفصال أب من أبا دون العكس . ان القبائل التي تنطق به معلاً متخلفة من حيث الاجتماع مما يتبعه تخالف اللغة . وبقي أسباب أخرى قد تقوي وجهة النظر المذكور وهي :

(أ) ان اللهجات الدنيا تميل إلى الاطلاق والتصويت وهذه ظاهرة عامة تقريباً .

(ب) ان اللغات القبلية التي تحفظ في الكلمة الواحدة تفاوت صوتية بتفاوت ارقاء القبيلة .

(ح) ان العربية قد جازت^(١) دوراً صوتياً كانت الحركة فيه تنطق حرفاً كما سيجي .

ومن ثم نفهم سر التضعيف الذي كان القصد منه طرد كالم العربية على ثلاثة أحرف والتحلل من الصوتية . وهذا التقدير وحده هو الذي يعال السرف في جريدة المعاني المختلفة ا كبر اختلاف . لكل كلمات الثنائي المضعف تقريباً . وذلك لأنها تنظر إلى أصول عديدة فنلاً (شح) بمعنى ينظر إلى (شبح) و (شح) بمعنى وسع ينظر إلى (شحي) وهكذا . وأيضاً به يمكن تحليل كيف كان من العرب من يقول في (مَرَّ مَيروفي زِرَّ زِيروفي ذَمَّ ذام وفي كَعَّ كاع) إلى آخره مما هو كثير كثرة مطلقة .

التناثبات الساكنة كدق وان فالاول وضع في معجته (مَدَّ) قبل (مدح) والثاني نشر في مجلة الطبيب (السنة ١٨٨٤ ص ١٩٤) ان الثنائي موضوع في الاصل على حرفين . وينتصر الاب انتاس الكرملي لهذا المذهب وقد توسع بشرحه في كتاب نشوء اللغة العربية ص ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ .

(١) راجع بحث تطور اللهجة من القدم الثاني في المقدمة .

على ان الثنائي المضعف أقرب الى اللفظية واقعد . مما يظهر انه عولج بالصقل اللغوي . ويؤيده انتشار المضعف في مثل هذه الكلمات وقلة المل مما يشعر بأنه أخذ بالامانة . وفائدة هذا النظر من عدة وجوه .

(١) عقد وحدة دائمة بين مساوي المل والمضاعف والرباعي غير الأصم

والمهموز كعبي وعب وععب وعبا

(٢) رقوب مقدار التطور المعنوي بينها .

(٣) تحقيق ما هو الحقيقة والمجاز فيها .

وهذه انما تنأت لنا بهذا الملحظ الاعتباري في اللغة . وينبغي أن ينسب^(١) الى أن الكلمات التي فيها حرف حلقى تنظر الى المل رأساً على وجه الاطراد . لأن واحداً من هذه الحروف ليس أصلاً .

وعليه فالمعلمات من بقايا هذا العهد السحيق . وانما رأينا هذا الرأسي في وضع المعلمات على أنواعها لتخالف الجامع المعنوي بين صورها المسادية الست . مما يدل على انها لم تخضع للوضع النظامي . وانما كانت وليدة فوضى الوضع القديم . وهذه الظاهرة اعتبرها صحيحة جداً في الدلالة على القدماء . وكذلك يجدها من تفرغ لدرسها بصورة استقرائية على كالم اللغة . وهذا تقف على أن المعلمات بأنواعها المختلفة أثرية وجدت قبل الوضع اللغوي الدوري . وقبل أن صارت العربية كلغة ذات فقه خاص واشتقاق ثابت على اطراد .

وهذا الدور تفرده كحالة لا بد منها في نشوء اللغات . ونمضي عليه بدون تردد . ولربما يحتمل مناقشة في غير اللغات السامية . وليس لأنها لم تخضع لهذه الظاهرة . ولكن لأنها في السامية اكثر وضوحاً . وقدامى لغويي العرب أدركوا شيئاً من هذا في كثرة في المفردات ولكن وجهوه لخدمة الاشتقاق العربي . ولم يحاولوه درساً كقانون في انشاء اللغة . وكذلك أدركها صاحب كتاب الفلسفة اللغوية غير انه تنبه الى أن الثلاثي متفرع من ثنائي سابق لا في الاشتقاق فقط كما فهمه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه في الابدال وتماقب الحروف . بل في النشوء اللغوي أيضاً . يد انه كان

(١) راجع هذا البحث في الحلقة الثالثة من الدور الثالث من المقدمة .

كثير الغموض إلى حد كبير . وهو في محاولته اثبات هذا التقدير لم يجاوز ما قرره الأقدمون من الابدال والنحت في الثلاثي . مع ان العربي لا يعرف هذا النحت للتخصص كما سيأتي لك تحقيقه .

ولا ريب أيضاً في انه حين يقول بأن اللغة العربية مؤلفة في الأصل من أصول قليلة ثنائية . لا يعين انه يعني ان اللغة عاشت في دور كذلك ثنائية فقط . ولكن مع ذلك لا يسعنا إلا أن نقول بأن الفكرة انتقدت في ذهنه . وان كانت متضائلة غامضة . وإذا حاولناه انصافاً فلم تكن أفكاره في فحواها . بأكثر من افكار كتاب العين التي فيها^(١) الخليل بن أحمد وأرسلها ارسالاً .

الدور الثالث

لم يعد الانسان في هذا الدور ساذجاً على المقدار الذي كان عليه في الدورين الأولين . سواء في اللغة أو في أي منحي آخر من مناحي التأهل الارتقائي بمعناه العام . ولم يكن أقل من ذلك في السمو الفكري والعلمي والحياة المدنية . . .

ولقد يمكن للباحث التاريخي أن يعين مبدأ الدور الثالث على مقياس ما عرف في تاريخ الاجتماع ونرجح أن يكون مبتدأ هذا الدور . هو بينه عصر الحجر المذهب . الذي تم للانسان فيه كثير من الرقي . فعرف استخدام الآواني الخزفية ، وابتناء المساكن ، وتدجين الحيوانات ونسج الملابس ، وتعييد الأرض للارتفاع بها واستدراها بالزراعة . .

وكان بحكم هذه العوامل التي توفر الحاجة إلى الخطاب المبسوط على نسبة ما . ان وجه عنايته إلى اصطلاح المنطق . وجمع جهده في انتزاع الكلم وتخصيها من أي وجه . ولذا غلب عليه الخلق والايجاد والضم والجمع . وما عليه أن يأتي موزوناً . مادام يجده كافياً لحاجته وهو مع ذلك غاية ما سمحت به الفواعل المنتشرة في الطبيعة والوسط والاجتماع . . .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨ .

ونحن إذا ذهبنا تقدر مبدأ هذا الدور بالعصر الحجري المهذب . فلا نكون على شطط من التقدير أو على مجازفة من النظر . بل نكون قد سائرنا الواقع الذي يمكن للباحث التاريخي أن يتمحله بشتى القرائن والدلائل . وبهذا التقدير يتمكن الباحث الأقوي في سهولة من استعراض أدوار النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير آخذة سبيلا من الطفرة . أو قائمة على أسس المفاجآت المحضة التي كانت تحمل محل الرضى من أذهان كتبة التاريخ العلمي قبل سلطة النقد وهيمنة قوانين التطور العام . وضروري أن تقدر أيضاً ونحن نشهد من تقدم الانسان كثيراً . وقع منه على رغبة غير محدودة في التقدم الواسع . ان الثلاثيات كانت تتزايد وتنمو وتتكاثر . ولكن نكاثرها لم يكن بالقصد اليها وإنما كان على سنة التركيب الكلبي الذي يتخذ بحكم التعبير به عن الشيء الواحد صبغة الأفراد . ومعنى هذا أن عصر الحجر المهذب شهد ثلاثيات كانت تستعمل للدلالة بها على مفردات من الأشياء . . .

وهذا الدور الذي قدره يقع في حلقات متباعدة المدى . ولكنها بقيت خاضعة حتى في عصور كونية اللغة لطلاب الثلاثي وحده . في شعب كالعربية بحيث كان فيها وحدة المادة . وربما يكون هذا نتيجة هيمنة اعتقادية . فان عقيدة الثلاثية ظهر أنها كانت تسيطر على شتى ما آتى الانسان القديم . وكانت في أدوار مصدراً عاماً للعادات . ولكل ما هو من عمل القليل . .

ولا يستبعد احتمال هذا في جانب العرب القديمي . وهم من ذوي العراقة في معتقد الوثنية . وإذا صح هذا الظن فلا ريب في أنه يفتح أمام الباحث أفقاً جديداً من الدرس للعربية القديمة . .

ونحن إنما عمدنا إلى تقسيم الدور الثالث في حلقات خمس . لما أنها تعاقبت على اعتبار الثلاثي فهي بهذا لم تغير في أساسها . وإنما اختلفت في نسب جماعات بينها تفاوتاً إرتقائياً فقط . وسنأخذ فيما بعد بالكلام على كل منها مع حصر النظر في التطبيق على العربية طلباً للاختصار ونقياً لدعاية الخلاف والمناقضة . وذلك لآتي على ثقة كبيرة من سلامة النتائج على العربية ولست أعني أنها ليست كذلك فيما سواها . ولكن أقصد أن تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج إلى فضلة بجهود وزيادة درس

الحلقة الأولى

في هذه المرحلة نشهد الانسان عاملاً جاداً مقتنعاً بقوة محكمات إرادته . ليخضع ماحوله من أجل معاشه غير متغير ما تاتي به المصادفات . التي ينتهب العيش منها إنهاباً . بل عاملاً بكلتا يديه ليحيا ولينتفع مزوداً بمعارف من الطبيعة . وحيل مما اكسبه ضرورة التناحر . وانا إذا أطلقت لفظ الانتفاع فلا أريد الانتفاع الشخصي المؤقت . بل قد بدأت فكرة الادخار الاستغلالي أيضاً تثاب عنده على نسبة . كنواة للادخار التي صارت في غايها أثرة ويلة . فراح يؤنس الحيوانات ويدجنها . كل ذلك من أجل ضمانة المستقبل . . .

ولقد أعمل ضروب الحيلة لتكوين منطقته بين هذه المطالب الجديدة . والآفاق الارتفاعية ، التي انفسحت أمامه . وكان أنت أدرك طلبته بنجاح أطرده مع الترقى الانساني . وكذلك لن يقف الا حين تقف الانسانية عند حدودها الفاصلة . فكانت له لغة يستطيع بسهولة أن يعبر بها عن خواجله ، وعواطفه ، وأشياءه اللاتي تلامس حياته ، ويقع عليها بمحوايه . وان كان ضيق نطاقها الطبيعي يجعل تعبيراته عامة . واصطلاحاته على اشتراك . .

ولكن مهما يكن فلقد كانت لغة على مقياس من تفكيره وحواسه . ولا يبعد أن تكون هذه الحلقة امتدت إلى آخر العصر (البرونزي) الذي تم للانسان فيه وضع الحجر الأسامي في بناء الحضارة . ومن ثم كان لنا أن نقرر أيضاً أنها بقيت طيلة الحلقة الأولى على غير تناسب ولا نظام . وذلك لأنه لم يعمل فيها يد التنقيح بعد . وانما كما سبق يجتهد في اصطناع الكلمات لابرار تصوراته وأفكاره ومكنونات نفسه . ولنقل مايريد إلى من يشاركه الحياة ويمجاوره المسكن . .

وعماد هذه الثروة اللغوية التي تقدرها في الحلقة الأولى من الدور الثالث .

(أ) المفردات ذات المقطع الواحد (وهي الجدول الهجائي فيما بعد) . .

(ب) المفردات ذات المقطعين وهي المملات في دور النضوج اللغوي .

(ح) المفردات ذات المقاطع . وهي التي انتهت كوحدة في العربية تتحل إليها

كلمات اللغة وتصدر عنها . وهذه المفردات الأخيرة كثرت جداً . وكان من وجوه كثرتها كون المفرد الواحد ينطق على أشكال مختلفة لتأديات مختلفة أيضاً . . .

الحلقة الثانية

قارنت هذه الحلقة من حياة اللغة . العصر الذي اصطلح عليه في الدوائر العلمية والاجتماعية باسم العصر الحديدي . وفيه عرف الانسان كيفية استخراج الحديد ، واخترع الكتابة ، وشاد المدن ، وقطع أشواطاً بعيدة من الحضارة ، وبدأ عهد المدينيات العظمى .

ولا ريب في أن اختراع الكتابة يكشف عن مقدار التقدم اللغوي لذلك العصر . فان من المعقول جداً تأخر الزمن الذي يصبح الانسان في حاجة إلى تقييد أفكاره ، ومبادلة عواطفه ، مع البعيد عنه .

وكانت الكتابة أبداً وليدة الرقي اللغوي والاسلوبي ، والبسطة في مدارج البيان . فحاجة الانسان إلى الكتابة في العصر الحديدي يوضح لنا المبلغ الراقي الذي وصلت اليه اللغة . وليس كذلك فقط بل تدل على العقلية اللغوية أيضاً .

وفي رأيي أن الكتابة من وسائل التقدم اللغوي ، أو هي الوسيلة الفعالة بالمعنى الصحيح . ولا يكن ما أقرره من هذا غريباً أو مدعاة للتساؤل . وان كان يعزو كثير من المستشرقين رقي اللغة عند العرب إلى عدم الكتابة . مما كان سبباً قريباً لمرونة السنتهم . ما دام واضحاً جداً أن لغة التعبير المطلقة على حرية كبيرة في المذهب البياني . حين لا تقضي بأكثر من أن يرسل الكلام رسالاً معبراً عن المقصود كيفما تأتي . ما فتى . قيناً بمحصول الغاية من الخطاب .

بينما الكتابة ليست على هذا الوجه . ولا على مثل هذا اللون . فهي تأخذ في مذهب بعينه ، وتفيض في طوابع خاصة ، وتعمل دائبة على التقليل والتهديب . ما دامت تقدم نماذج للمقارنة بين المنتجات للانسان المترقي . فتدعو للأمانة والايجاد ، والاختزال والاطناب ، على حسب الدواعي . وبالأخص حينما تقع من الانسان على غريزة طلب الأصلح . ولست أنكر أيضاً ما يجيء به المستشرقون تعليلاً لرقى العربية . لأنني أنهم

على خلاف ما يظهر منه . أفهمه على معنى الرقي الكيفي في اللفظ فقط . والا فالرقي
الغوي في صميمه ومادته ليس كذلك أبداً . ولا أتردد في عزوه الى الكتابة فقط .
ولولا الكتابة لما كانت لغات اليوم . إلا شواهد كما يخرج باطن الأرض من نصب
وتأثيل . اللهم إلا إذا كانت على تقدم نسبي .

ومن ثم صرنا نشهد أقواماً على حضارة ما ولغة متخلفة . لأنها لم تكتب بعد .
والكتابة وحدها هي التي تجعل اللغة كأنها حياً يدب ويسعى . لأنها منه بمنزلة الوجه
لثابت ، والوجود المستمر .

هذا شيء لا أرتاب به ولا أظن أحداً من الناس يرتاب فيه أيضاً . ولذلك لن
أكلف نفسي عناء الإكثار في التحدث عنه ، وتكلف أسباب الاقناع به . وحيث كان
هذا العصر مولد الكتابة . وكانت فيه الحاجة اليها . فلا نكر في أن تقدر سمو هذه
الحلقة من الوجهة اللغوية . وهي في ظننا الخطوة الأولى لتنظيم اللغة . ومن ثم تنهيات
بامتلاكه للاطراد في الترقى على سنة آلية مستقيمة .

وكانت المفردات الاحادية ، لا تزال تسد مسداً في اللغة ، وتزاحم في الوجود
الياني . ولكن بنمو العقلية في هذه الشعبة ، بدأ يطرح المفردات الاحادية كذات
دلالة معنوية على الافراد . وعينت فيها دلالتها الخاصة ، حتى لم يبق لها أثر إلا في
تكثير مفردات اللغة بالزيادة بها ، ولكن على وجه لم يستقم بعد تمام الاستقامة . فلم
يكن للزيادة بها كفية وقانون ، بل كل ما في الأمر ان الانسان لم يعد يتكل في
تكثير اللغة ، وتسمية الأشياء ، على المصادقات الطبيعية ، أو الملابس الظرفية . بل
أصبح يلجأ إلى التأليف تارة ، والتركيب تارة أخرى ، عند الحاجة وبحسب
المقتضيات .

وروح هذه الكثرة ، والعامل الأوحد فيها هي المفردات الاحادية (جدول
الهجاء فيما بعد) رغم انه لم يكن رتب على وجهه .

وكما قلت لم يكن للزيادة بها قانون يصطنع عند التفرع . فكانت يزيد على
الثاني هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة . ومن ثم يتضح الفرق بين ثلاثيات الحلقة
الأولى والثانية . فان الثلاثي في الأولى . كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث

كلمات . فلم يكن مفرداً في مفهومه وان تعين بحكم دلالة وموضوعه . بخلافه في الثانية فقد كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الآتية . وان كانت ذات دلالات أثرية عن عهد من الوجود اللغوي أدنى . كما قصد فيه من أول الأمر الوضع الشخصي . ولا شك في أنك تلاحظ فرقاً بين ما دخله القصد في أن يكون ثلاثياً . وبين ما كان ثلاثياً بضرورة تشخص الموضوع له .

وبتحرير هذين الفرقين ، يمكن أن نقف بوضاحة ، على مميزات كل من الحلقتين ، وعلى درجة التفاوت بينهما

وبناء على هذه الافتراضات المظنون صحتها ، لم تعد اللغة انكالية أبداً . بل أصبحت على نسق مثلي من الكائن الحي ، فيما بعد دور الطفولية يهيئ لنفسه أسباب البقاء في غير معونة لأنه متمتع بكل مقومات الحيوية . لا ينقصه شيء مما يلزم لبقائه الأولي ، إلا كما ينقص الحلقات المقنودة في تقدير النشويين . على ما في هذه المقومات من استمداد للتطور المستمر ، وقابلية للوجود الأرقى . وسير بنا أمثلة عن هذا الاستمداد ، وهذه القابلية في وضوح ، وفي غير ما ايهام .

الحلقة الثالثة

في ظننا أن هذه الحلقة ، ترتبت من الحلقة الثانية ، فقد أدت إليها بما هيأت فيها من أسباب ، وبطنت من قوى .

وطبيعي أن تؤدي هذه القوى التي لها طبيعة النواة وخصائصها . إلى الحلقة الثالثة في تقديرنا بكل ما اشتملت عليه ، وجميع ما امتازت به . من طابع لغوي ، إلى عمل وضعي ، إلى نشوء نظامي ، لا يختلف في شتى اعتباراته .

ولا يمنع دون هذا أي شيء من إحالة . فإن الحلقة الثانية التي انفصلت بما شهدنا من ارتقاقات لغوية ، في البناء والوضع . حتى تم للانسان أن يجمع هدفه في الكتابة بعد اللغة . وتم له معرفة الاسم ، والفعل (بمنزلة الوصف) والحرف المهمل ، دون الحرف الذي جاء لمعنى .

وإنما رأينا هذا الرأي . لأن من البعيد جداً التقدير الذي يقرر عرفان الاسم

الوصفي حينئذ . لأن الوصف في الحقيقة . علم على معان تقوم بالأشياء ، أو على وحدات عرضية تقال على الدوات . فتقرر الاسم كعلم ، ثم إبرازه كوصف محض ، عمل مركب فوق منزلة اللغوي الراحنة . كما أنت تقدير إدراك عقلية الوسط لهذه الوحدات والمعاني ، يكاد لا يتماثل أو هو غير متماسك بالفعل . لأن انتزاع وحدات الأشياء . يحتاج إلى عقلية علمية ناضجة ، وإلى دقة في المقايسة والموازنة مما هو بعيد بلاريب عن هذه المنزلة التي قدرها .

وأذكر أني رأيت بحثاً مستشرق كبير . ذهب فيه إلى أن الساميين لزم من متأخر ، كانوا لا يعرفون من الألوان سوى الواضحة كالسواد والبياض . وهذه علامة اتخذها كظاهرة من طفولية الأمة . وإخال أن هذا صحيح . وربما أيده عدم معرفة العرب للون اللازودي ، إلى ما بعد خروجهم من الجزيرة ، مما اضطرمهم إلى استعارته بلفظه وإهابه الأجنبي . وإنما كان يستعوض بالفعل عن الوصف . ولا يؤخذ من إطلاق لفظ الفعل ، أنا ضني الفعل المذهب ذا القواعد المقررة . بل ما يقارب المصدر في المفهوم اللغوي . كما سيأتي في بحث (الأفعال) من المقدمة وكذلك تؤكد عدم معرفة العربي حروف المعاني في كل الحلقة الثانية . التي هي في مقياسنا الوجه اللغوي للعصر الحديدي . وذلك لظهور التحولات الطويلة فيها التي صيرتها أدوات في نظم الخطاب

والبك مثلاً (واو الجمع) فهي في ظننا واو العطف ، المختزلة من كلمة (وؤ) التي نحفظ بها العبرية بمعنى (وصل) . وتقلت إلى الجمع للاشتراك في الدلالة . ولذا عرفت قدامى النحويين الجمع ، بأنه ما أغنى عن التكرار بالواو . وهذا الظن قديما مرض بالقلب ، ولكن البحث اللغوي معارضاً بالعقلية الساذجة ، فحين بتصحيح ظننا على وجهه . وكذلك (أو) العاطفة فهي عندنا متأخرة عن واو العطف وكأنها مركبة من واو العطف وهمزة الاستفهام . ومن ثم يظهر كيف قالوا هي موضوعة في الأصل للشك . ومثلها (أم) الموضوعة للتقسيم بملاحظة أن الميم علامة الجمع الخ^(١) . .

هذه الحيوية الخصبة في كيان الحلقة الثانية . أدت إلى التنبؤ اللغوي ، وإلى

(١) بسطنا الكلام عن الأدوات في كتاب (دراسات على فنون العربية) . ولا ر على هذا التخريج نظير في الإنجليزية وهو (almost) المؤلف من كلمة كل والاكثر لنعطي معنى تقريباً . وهو في الأجنبية يكثر كثرة مطلقة .

نوع من بلوغ الحلي . وكان من نتائج هذا البلوغ ، ان اجتهد في ضبط موضع الزيادة ، بدون ان يتركها على فوضوية من تعيين الموضع المذكور . فهو لم يكن يعرف قبل هذه الحلقة موضعاً بعينه يخص الزيادة به ، ولا قانوناً لها ، ومرة زمن ليس بقليل حتى اصطلح الموضع الخاص بها .

ومضى قدامى رجال اللغة ومحدثوهم ، في غير تردد ولا تنكر ، على تعيين ^(١) الآخر موضعاً للزيادة في الأكثر . فانك لو أخذتهم من أقدم العهد الدراسي أي من عهد الخليل إلى العهد العصري ، لوجدت الجماعة على وفاق من تعيين الموضع المذكور . .

وينبغي أن لا يفهم من عبارتنا ، أن اللغويين ^(٢) قدروا الدور الثنائي وأثبتوه كعمر مرت به اللغة ، في تطورها الطبيعي للتكامل .

وإنما كانت كل أبحاثهم في هذا الباب ، عبارة عن أن الواضع لاحظ عند وضع بعض الثلاثي معنى الثنائي ملاحظة مشتركة . كقط في قطع وقطف وقلم وهكذا .

وكما قلت لم يترددوا في هذا الظن أبداً حتى اصلوا عليه أصولاً ، ووضعوا ضوابط أتى عليها علماء ^(٣) الاشتقاق كأبن جني في سر الصناعة ، والزجاج في الاشتقاق ، وابن الاثير في المثل السائر إلى سوامهم . ونحن وان كنا لا نشكر أن في كثرة من كلم اللغة ما يسند هذا الظن ، أو يحمل عليه ، نقول بخطئه وتري رأياً أخريين رأيهم ويخالفه . ورأينا وان كان يبدو غريباً فلا يباين الصدق ، ولا يجانب الواقع ، وهو جدير بالدرس والتوسع .

ويجب أن لا تغفل ونحن نؤرخ لتطور اللغوي ، أو بعبارة أخرى لتطور الوضعي عند العرب ، أن الأمر قبل كل شيء وصفي . وأقصد بهذا أن على الباحث استقراء

(١) ويندر بعض باحثي اللغة اليوم كزبدان والاب أنستاس الكرملي إلى جانب هذا وجهاً احتمالياً يأخذ الثلاثي على انه محتمل ان يرد إلى ثنائي باعتبار زيادة الفاء أو السين أو اللام راجع كتاب الفلسفة اللغوية للاول وكتاب نشوء العربية لثاني وسيربك مناقشة هذا الرأي الاحتمالي في القسم الثالث من المقدمة .

(٢) أي القدامى منهم وان كان بعض متأخري اللغويين يراه طوراً نشوئياً ثابتاً .

(٣) لحص هذه الضوابط تلخيصاً حسناً صديق حسن خان في رسالته (العلم الخفاق)

مفردات اللغة وأخذ صفة عامة لها ، قبل أن يلتمس وجه التعليل المنبني على تقديرات مجردة . وما أيسر التقدير في جانب المدرس . ولكن قلما يأتي بنتائج عملية صادقة أو لا يأتي بها أبداً .

وهم في تقديرهم درجوا على أن الآخر موضع الزيادة . ونحن نقرر أنه الوسط دائماً في غير ما يكون حقيقاً من المواد . فإن حروف^(١) الخلق عندي متقلبة عن أصوات هوائية تصعب الحرف . ولم تستقر على الوجه الحرفي بالمعنى الدقيق إلا بعد بلوغات لغوية عديدة . ومن ثم لا يصح أن يعد الخلق حرقاً في مباحث التأصيل . فقطع نرجع إلى (قط) ، وحلب ترجع إلى (لب) ، وعصفور ترجع إلى (صفر) التي ترجع إلى (صر) ومنه الصر طائر كالمصفور ، والصرصور الخ . وأيضاً ما كان فيه حرف تون فالأكثر زيادته . لأن التون تتوين بالغ فقط . (قهر) يرجع إلى المل (روى) الذي منه الروي . ويشهد لهذا كلمة (دد) بمعنى اللهو ، الذي حفظ على وجوه ثلاثة تنظم التطورات التي فرضها . قالوا (ددا) و (دد) و (ددن) وقالوا في جمع دينار دنانير . وكذلك التاء يكثر كونها متقلبة عن واو وهكذا .

وبالبحث المستفيض ، والدراسة الدقيقة ، والمقابلة الصادقة بين المفردات بوجه عام . وقف على صدق النظر المذكور . ولا تظن أني سأتكلف أمثلة صدقت فيها وجهة النظر مصادقة أو اتفاقاً . بل سأخذ في عرض أعرق أمثلتهم ، وهو (قطف) فإنه يرجع إلى (قف) وكما تشهد المعاجم يدل على الضم والجمع و (الطاء) تدل على الالتواء والانكسار . وهذه الدلالة تنسحب على كل الجامع الحرفي كقذف وقرق وهكذا مما سيأتي تحقيقه ببيان ومقابلة في (بحث الثلاثي من القسم الثالث) . ولا بأس من أن تنوه هنا ، بأن صنيع الجوهري في بناء معجمه (الصحاح) على ملاحظة لام وفاء الكلمة . هو الذي الفتني إلى هذا الرأي ، وانبهني إلى هذا الظن . وإن كان ليس مبنى ملاحظة الجوهري أصلاً ، وإنما ملاحظته معجمية فقط . وأرى أن الحامل له على هذا الوضع ، هو ما رآه في كتاب (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس ، من تنصيب

(١) ويشهد لهذا عدم وجودها في اللغة البابلية التي هي بلاريب أدنى مستوى من العربية بالنظر لغائي راجع كتاب تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسول ص ٢٠ و ٢١

على الاصالة . فنثلاً (جند) يقول فيها الجيم والنون والدال أصل . فالجوهري طلباً للاختصار بنى معجمه على الآخر والأول ، الذي هو في قوة النص على الحروف الاصول . هذا ظن نرسله في كثير من الثقة والاطمئنان . ولقد يزيد في خطورة الحلقة الثالثة ، أن تكون اتهمته في التفريع والتأصيل الوجيهين . وإذا تقرر هذا وهو ليس بعيداً ، فتكون هذه الحلقة من التقدم اللغوي بمكان .

ولكن قد يقال بعد تقرير هذا القانون . كيف كان طبعه في الأفراد حتى يصدروا عنه ؟ وأي تقدير يحتمل في هذا الصدد مستبعد ، من مثل المجامع اللغوية وما إليها .

أقول من المظنون ان هذا عمل فردي ، ثم تنطبع به الجماعة بعد الانتشار والشروع ، ويتقرر على الأيام كظاهرة لغوية . ولهذا شاهد من المكتشفات الحفرية قد ورد في قاعة أثريات الحفر ، الجاري عند اللاذقية في (رأس شمرا) ذكر لوح كتابي ، عليه حروف مسماية . وحروف يصطنعها صاحب اللوح بين المسماية وبين الفينيقية الشهيرة ، مما حدا بالمكتشفين إلى الظن بأن الكاتب فينقي ، اجتهد في اختراع الأبجدية الفينيقية ، وكانت هذه إحدى محاولاته .

قد تكون هذه القوانين اللغوية ، عملاً من هذا القبيل . وقد تكون عملاً جماعياً ، تقوم به الجماعة ، ويتقرر من غير قصد إليه ، كما هي سنة التطور في الأشياء ، وفي عامتنا الشائعة ما يوضحه . وان كنت اميل إلى أنه من عمل الأفراد الجليلين ، ثم يأخذ سبيل الشروع والعمومية . ومن هنا توقف على ان عمل العربي في هذه الحلقة ، كان في الاهتداء فقط إلى محل الزيادة . ومن بعد اطراد التكاثر على سنة بينها لا يعدوها ، ولا يأخذ مأخذاً مبانياً ، بل يحاكي ويقلد ، ويلحف في المحاكاة على قانونها .

الحلقة الرابعة

ربما كان الحديث في كل هذه الحلقة مفاجأة مطلقة . وربما كان من العسير التسليم به والاستدلال عليه . ولكن هذا لا يمنع من المضي في تقرير ما نرى . وأيضاً

لا يمنع أن يكون هو الواقع فكثيراً ما كان الحاطر موقفاً ثم يهجي على تأكيده العلم .
على أن ما نحن منه الآن بصدد ، لا يعد كذلك برمتة ، بل لبعضه مؤيدات
وشواهد وقرائن ، أن لم يكن كل الواقع فليس بعيداً عنه : وإن لم يكن نفس الحقيقة
فليس يباينها .

ومع أني أعتقد بأن ما أقدمه في هذه الحلقة هو أعظم أبحاث المقدمة وأخطرها ،
فلا أغفل الدارسين بل أتصف للدرس ، وأتصر للتاريخ ، وأقول ومل ، قولي صراحة ،
بأنه رأي يعتمد الاستنتاج ، وإن أتجده الصدق على مفردات اللغة .

انني أنتظر أن أفاجيء بكل هذا ، في حديثي عن الحلقة الرابعة التي فيها تم
النضوج اللغوي عند العرب . فلم تعد اللغة في حاجة إلى شيء مما كانت تحتاجه أولاً ،
بل خضعت خضوعاً تاماً لأصول في الوضع ، أعتبرها اللغائيون (الفيلولوجيون) أسماً
وأرفع ما عرفت أمة من الأمم .

تركنا العربي في الحلقة الثالثة ، يزيد زيادة تعتمد طريقاً واحداً ، ولا تتنكب
أبداً الرسوم والاعلام الممينة . والآن نراه (لما انفسح امامه من الآفاق الارتقائية على
اختلاف شعبها وهذه كثيراً ما تتداخل في مشابهاة تقضي بتوحيد الوضع) يلجأ إلى
القلب . ويحاول أن يجعل منه منفذاً إلى غرضه ، أو فيه تحقيق كل ما ينبغي من جملة
مراميه . فمضى عليه ووضع متخذاً أسبابه ، ولكن بقي كشيء لم يثقفه بعد تمام الثقافة ،
ضرورة انه ابتداء ابتداء . يد أن قد وجد فيه توفيراً للعناء وتخفيفاً للثؤونة . فاجتهد
باتقائه رغبة منه في أن يجعله السبب الوحيد إلى الوضع غير المتخالف . ولم يترك الوضع
عليه حراً ، بل محكوماً بهوائين تحفظ الفكرة الواضحة ، وترجم عنها في وضوح . ومن
ثم نرى العربي بعد ما اعتمد في التزيد اللغوي على المفردات الأحادية (الجدول
المعاني) يذهب إلى ترتيب هذه المفردات كمحاولة انتهت به إلى الترتيب المعاني
دون الأبجدي . لأنني أشك أشد الشك في أن تكون الأبجدية ترتيباً صحيحاً ، ويخيل
إلي أنها عبارة عن ضوابط للحروف ، متخذة شكلاً كلياً لتسهيل الحفظ . هذه العادة
التي انتقلت إلى أصحاب الفنون . وكأن الأولين تنبهوا إلى هذا ، فزعموا أن هذه

الضوابط منقولة عن أسماء^(١) ملوك أقدمين اجتهدوا في اجراء حروف اللغة عليها .
بينما البساطة كلها تتجلى في الجدول المذكور ، ولا يفهم عني اني اقرره كما هو
اليوم أي على شكله وحروفه ، لوضوح التخالف في بعض مواضعه ، والزيادة في
البعض الآخر . ولكن مع ذلك هو أقرب ما يكون إلى الأصل ، ولا يمكننا إلا أن
قبله كما هو لتصحیح الوضع في المستقبل بقطع النظر .

ومن المحقق أن اختيارنا قد يكون مدعاة للتساؤل ، ولا أنكر أن هذا التساؤل
صحيح ، ولكن اطمئن جداً الى اختيار الجدول لسببين :

(١) شهادة المقاليل بحسب قاعدة الدوائر التي ستمر بك .

(٢) تشكك الحفريين في قدماء الحروف الفينيقية ، بعد ما اكتشفوا من
آثار عرب الجنوب التي ترجع بتاريخها إلى ما قبل أقدم أثر فينيقي . مما لا يبعد
الظن بأن عرب الجنوب كانت لهم حروف على ترتيب خاص يكتبون بها .

ومع اعترافي بأن كل هذا لا يكفي لاثبات أقدمية الجدول على ترتيبه ، لا أستطيع
إلا أن أثبت له هذه القدماء ، ما دامت مقاليل مواد العريضة تنتظم عليه ، ومن ثم
أراني متحلاً من أية تبعة في اعتماده وتقريره .

وكما قلت جعل العربي القلب محور الوضع ، ثم اجتهد في تنظيم قاعدة المقاليل
والوضع على اعتبارها ولقد تآلى له استخلاص قاعدة موزونة جداً ، بعد أن رتب
الجدول الهجائي (وقد يصح اعتماد الابهجدية ولكن أجديني أميل الى الجدول) .

وهذه القاعدة قيمة بتوليد ستة مواد لكل ثلاثي ، متخذة تولداً على مثال
تولد الكائن الحي ، وأيضاً تعيش في أدوار محدودة لا تتعدها ، وتخضع ككل شيء
للناموس العام ، كما انها تعين المادة الاصل ، ثم المقاليل على التوالي التاريخي ، بحيث
نقف من بعد على مقدار قدماء كل مادة ، ومعرفة العمر الطويل الذي عاشت فيه .
وسأتي الكلام عليها مفصلاً في القسم الثالث ولكن لا بأس من أن نلم بطرف منها .
هذه القاعدة تعتبر أقدم المواد من الثلاثي ما كانت مساوقة لترتيب الهجائي .

(١) راجع تفاصيل هذا الزعم في كتاب ادب الكتاب للصولي ص ٢٩ .

فأقدم مادة من ثلاثي (م ل ك) هي (كلم) وطريقة توليدها بجعل العين واللام .
فء وعيناً . وعليه فالمادة الثانية (ملك) والثالثة (مكل) . ولو ذهبنا نستولدها على
الطريقة عينها فلا تله إلا مادة الأصل (كلم) . وهذا يشبه من كل وجوه قانون
(Atavism) الرجوع إلى الجذ - ومن ثم يقف الثلاثي عن الانتاج ، إلا بنوع من
التغيرات يجري عليه بعد تمثيله دائرة بكاملها .

والتغير الذي تقضي به القاعدة ، يكون بجعل اللام من مادة الأصل (كلم)
عيناً ، وحينئذ تتولد المادة التي هي رأس الدائرة الثانية (كل) التي ينشأ عنها (ملك
ولكم) . ويقف الثلاثي عن الانتاج أبداً بعد استيفائها . ومثال القاعدة على الترتيب
المذكور .

الدائرة الأولى « كلم . ملك . مكل »

الدائرة الثانية « كل . ملك . لكم »

والقاعدة تقضي بوجود جامع معنوي بين المقاليب الستة ، لا يمكن أن يتخلف
وان كان على بعد ، وانما التحالف في الخصوصية فقط . ومن هذا نعلم أن الواضع القديم
كان يحرر التشابه بين المسميات ليضع لها من مادة تشوافق في مفاهيمها التي هي
(ملاحظة الوضع) وان تخالفت في الماصدقات . وليس هذا دعوى مجردة ، أو
اجتهاداً مفتعلاً ، وانما هو شيء راهن في التطبيق على مواد اللغة . وما أبالي إذا
صدقت باستبعاد مستبعد ، أو بنقص في مقدمات الاستدلال التي تتوقف على هدم
صور مجاهل التاريخ .

وأعتقد بأن مقدار الثروة العظيمة التي حازتها العربية ، انما كانت من عمل القلب
فقط ، بينما كان عمل الابدال وما اليه في جانبه نذراً يسيراً . ولنوضح هذا على المثال
المضروب بالمقابلة بين أوضاع المقاليب الستة ودلالاتها ، التي تخرج منها بمعنى يصح أن
يكون جامعاً وهو (القوة تترك أثراً) والقوة في كل شيء بحسب . ومن ثم تقف على
ان اصالة نقل (كلم) الى الكلام بمعنى اللفظ بملاحظة الكلام الناقد ، أو للملابسة
الكلام للقوة وما إلى ذلك من علاقات النقل . ولا ريب في أن وضع الكلام بمعنى
اللفظ ، متأخر جداً لغرض العلاقة ولضعف الجامع المعنوي فيه . وسيأتي درس القاعدة

بتوسعة وعمق في القسم الثالث ، بما لا يترك شبهة في أن العربي صدر عنها في وضعها ، وما تنكب أسبابها . ولقد يبدو مهماً أن يكون العربي استعمالها بدقة تفوق أرقى لغة عصرية . وما ضرب هنا مثلاً على سبيل الإيضاح ، ليست له صفة مشتركة ولا جامع معنوي ظاهر ، إذا ما برزت نهج القواميس . وإنما تبين لك الحقيقة حينما تأخذ بتطبيق قاعدة المقاليد . ولهذا المثل قصة أوردها هنا ، بياناً لمدى الخطأ الذي تقع فيه إذا تجردنا إلى المعاجم فقط ، دون أن نترك للقاعدة عملها فيما نسوق المعاجم من نصوص . لما كنت آخذاً بوضع مواد المعجم ، عرضت لي مصادفة كلمة لم يكن عندي خاطر عنها ، وإنما كان مفاجأة وجدانها والخطر اليها . وقفت على بحث أثري عن (حضرموت) وكان أن جاء فيه ذكر قلعة تبلغ سبعة طوابق ، تسمى (حورة) قدح في خاطري هذا الاسم ، تأصيل مادتها في الاشتقاق لناطحات السحاب ، وكان أن اشتقت لما زاد عن سبعة طوابق لفظ (مُحارة) بالضم كقائمة ، وهنا تسألت عن (المحارة) بالفتح - صدقة الأولو - فشككت في أن تكون من مادة (حور) . وقدرت أن تكون من (محر) ، وكما كانت دهشتي باللغة حينما رأيت صاحب اللسان ، يرد المحارة إلى (محر) على رأي الليث ، وإن كان الفعل مماثلاً ، بينما الجمهور يردونها إلى (حور) ذهاباً مع عدم وجود الفعل في اللغة . وذلك لأن القاعدة تقطع بهذا ، فإن من مقاليدها (رحم) وعلى ضوء قاعدة المقاليد ، نقف مبهورتين للملاحظة الدقيقة التي بنى العربي الوضع عليها ، وهي التخصيص في كيس الحمل الجنيني على فصائل النوع تخصيصاً ملاحظاً فيه أدق الميزات . فإن من المحقق أن (الأولو) حيوان في الدرجة الانتقالية ، ومن المحقق أيضاً أن هذا كان شيئاً معروفاً لعصر الوضع العربي ، فلم يبق ما يستبعد معه ، ظن أن العربي وضع للكيس الجنيني في الحي التام الحياة (رحم) ، وللكيس الجنيني في الحيوان الانقلابي (محارة) وعليه فالمحارة كيس جنيني لأولو .

يعجب الباحث العلمي أشد العجب حين يقف على هذا الوضع المكتمل للملاحظة ، والذي لا يقع على مثله في أية لغة عصرية على سموها العلمي واقتعادها اللغوي . وبالجملة فهذه القاعدة ليست على تردد من أمرها ، ولا على شك من صلاحيتها

تكثر اللغة عند الحاجة ، ويكفي أنها تضمن أحداث مواد لا تعرفها عربية المعاجم ، وإن كانت تدل عليها ، لما تقرر من وجود جامع معنوي بين المقاليب . فلم يعد من الصعب أبداً ولا في حال من الأحوال ، تعيين الدلالات بحيث لو وضعها العربي ، لما تجاوزها هذا المعنى . عدا عن أنها تعين المئات من المواد كما سيأتي لك في مادة (زفن) فأنها عينت وجود (قنز) في دور من العربية ، وإن كانت لا تحفظها المعاجم اليوم ، ولم يدركها عهد الرواية . ويؤكد ما أوصلت إليه القاعدة ، النص الأثري الذي احتفظ به صاحب القاموس وبسطه صاحب التاج ، من أن الفنزج رقصة .

وعدا فأندتها نظمنا جداً إلى عرفان العربي لها في هذه الحلقة ، وإنها خطته الوحيدة في الوضع سواء بنى الاصلة على الترتيب الهجائي أو الأبجدي . وكيفما كان الأمر فلا مناص من اعتماد هذه القاعدة في تصحيح نصوص المعاجم التي لا نكاد نطمئن إلى كثرة منها ، وفي تلاقي تخلف العربية حبال ما يندق العلم من اتساعات موضوعية تستتبع تزييداً في اللغة .

وقد يتساءل عن وجه هذا الترتيب الدائري ، وعن كيفية اتساق اللغة عليه ، مع العلم بأن العربي اهتدى إلى قاعدته ، بعد أن كانت لغته موفورة المواد التي ليست على اعتباره .

ولكن قول إيجاباً بأنه اهتدى إليها ، واقته غنية بالمواد الثلاثية ، وهذا لا يتنافى مع الترتيب الدائري المفروض ، لأن الوضع الأول الذي ترك الثروة المذكورة ، كانت الملاحظة فيه ساذجة وعمومية ، وبعد الاهتداء إلى قاعدة المقاليب ، اجتهد العربي في طرد المواد جميعها الموضوعية وسواها على اعتبار القاعدة في المعنى والخصوصية . فلقد تكون مادة ما ، أقدم مما تقضي القاعدة بتقديمها ، ولكن بهذا المعنى والخصوصية تكون كقضي القاعدة . على معنى أن العربي أمات فيها معانيها المتخالفة ، ليضمها على خطة ذات وحدة متفاهمة .

هذا هو الثلاثي في نشوئه وتزيده ، ولا تركز إلى شيء مما يخيّلون به في أصله ، لأن مبناه على الخاطر المرسل في غير توازن . ولعل مذهبهم^(١) في التركيب والاختزال

لتحصيل الثلاثي ، أقرب إلى الفكاهة منه إلى التحقيق . ولنضرب أمثلة منه لنرى مقدار ما فيه من اعتماد على التخيل المحض ، والتقدير الوهم . قالوا في (قطف) انهم (قَطَّ . لَفَّ) وفي (قمش) انه من (قَمَّ . قَشَّ) وفي (بيعج) انه من (بَعَّ . بَجَّ) وهكذا مما لا يحتاج إلى تعليق ، ولكن ضرورة التنبية دعيتي إلى الاستطراد به في بحث كيف نشأ الثلاثي وكثر .

الحلقة الخامسة

مر العربي بالحلقة الرابعة ، ولم تعد لغته في حاجة إلى شيء مما يضمن بقاءها ، لأنه وفر فيها كل عناصر البقاء ، ولم تعد في حاجة إلى ما يحفظ تزايدها ، لأن فيها من الحيوية الفائضة ما يكفل تكاثر النوع . وهي ان تكن في حاجة إلى شيء ما ، فاحتاجها إلا إلى مكملات تحكم اللغة ، وتنقي عنها التريث البطيء ، وتدفع بها إلى المد غير المنذجر . رأينا كل هذا في جعل الجدول الهجائي بمعانيه العمومية نواة اللغة ، التي لا بد أن تنمو إذا وضعت موضعها من التربة الصالحة ، ولا بد أن تزيد لا على نسبة رياضية فحسب ، بل على نسبة مضاعفة آلية . ورأينا دقة العربي في جعل الثلاثي وحدة الكلمة ، لأنه أعون على التزايد ، في غير تخرج ولا تأزم من فصاحة وبيان . ورأينا كذلك مثلاً لاقصاف الحياة من الكائن على نواميس ثابتة لا تتخلف ولا تضطرب .

أحكم كل هذا بقوانين ، وأخضع لغته لها ، وكذلك عادت معينا لا ينضب في قوة وتدفق . يد انه كان من المعاني التركيبية ما لا تأديه كل هذه الثلاثيات ، لأنه ينبني عليها وفيه زيادة من المعنى تفتقر الى ما يؤديها ، ولا تتم الدلالة إلا بها ، فاحتاج إلى الزيادة ولكن احتفظ بالثلاثي كوحدة للمعنى ، واستعان بحروف الجدول على صيغ هذه الوحدة بصيغة تجعل منها معنى مؤلفاً . ولا ريب في أن العربي قد توصل في هذه الحلقة والتي قبلها إلى زيادات تعريضية ، جعل موضعها في أول الثلاثي ،

وأما الزيادة من أجل تحصيل كلم المعاني المؤلفة ، فجعل موضعها الآخر . ومن ثم تولد
الرابعي والخامسي ولكن في تعاقب ولحاجة ماسة . وعليه فالزيادة على أقسام .
(١) زيادة البناء . وتكون على الثاني لتحصيل الثلاثي وموضعها الوسط .
(٢) زيادة الاشتقاق . وتكون على الثلاثي لتحصيل الرابعي وما إليه وموضعها الآخر
(٣) زيادة التصريف . كتنفعل واستفعل وموضعها الأول غالباً لعدم الالتباس .
وأما زيادة الاستناد كقربت فليست من أقسام الزيادة على معنى التأليف ، الذي
هو المراد هنا ، بل بها تصير الكلمة مركبة ، لأنها سواء كانت علامة أو ضميراً فهي
شيء غريب عن الكلمة ، وإنما تضاف لحاجة أسلوبية فقط .

هذه هي الطريقة التي كان يجنح إليها العربي ، لاستحصال الرابعي والخامسي .
وهذا شيء لا نرسله في تردد بل نقوله وملوثنا إيمان به واطمئنان إليه ، فلقد كان
لحروف الهجاء في مفهوم العربي معانٍ عمومية يزيد بها على الثلاثي عند الحاجة للوضع
في معنى جديد . وليتنبه إلى أننا لا نعني بالرابعي إلا الأصلي كدخرج ، دون
الملحقات كحوقل وما إليه ، فإنها ثلاثية زيدت زيادة تصريفية . وإذا صح هذا يظهر
لك مقدار الوهم والدخل الذي سقط فيه الأقدمون حين ظنوا الرابعي وما إليه ، تولد^(١)
بالتركيب والاختزال ، كمثل (بعثر) ظنوا إنها من (بعث . أثير) و (شقحطب)
إنها من (شق . حطب) إلى آخر ما هنالك مما هو أولى بفلسفة المزام . والحق أن
العربية ثبتت عن (النحت) بما فيها من القواطين العملية . وكان النحت^(٢) أبداً ظاهرة
من طفولية اللغة . وليس معنى هذا أننا ننفيه وننكره على اعتبار أنه لم يقع في العربية .
وإنما نتفي بدون هوادة أن تكون كلمات المزيد كلها على هذا الوجه أو كثرتها . ونحزن
إنما نعتبره في النحت المثلثي^(٣) على المفاجآت فقط كما في حوقل وبسل مما لو حررت
فيه الاعتبارات والملايسات وقفت عنده .

(١) راجع الصاحبي لابن فارس ومقاييس اللغة له .
(٢) ولا نعارض بشيء من اللغات الأجنبية التي تستنبح النحت حتى كان قانون تقديمها المستند
لأن اللغات الأجنبية في غير استثناء على طفولية لغوية ظاهرة ويظهر هذا في الأدوات والضمائر
وأصول الاستناد وإنما قوتها في الحقيقة تعود إلى خصبها الفكري فقط .
(٣) راجع الكلام مفصلاً عليه في القسم الثالث من المقدمة .

وهذه النظرية لا مجال للشك فيها أو التردد أبداً ، ولا بأس من إيراد أمثلة على سبيل توثيق ما نذهب إليه منها .

ذكرت دائرة المعارف الإسلامية معتمدة بتحقيقات (كلان هوار) ان القرطاس هو ورق البردي وانتهى إلى أنها دخيلة ولو أخذنا بتحليل لفظ قرطاس على ضوء القاعدة المذكورة ، لوصلت بنا إلى عريتها بهذا المعنى بدون فتد أو ريب . فان قرطاس ترجع إلى (قِرْط) ومعناه في العربية ، ورق الكراث ، ولما كان الورق من البردي على نسق أبسط اضافوا إليه (السين) ليدل دلالة تشتمل على أهم مميزات الورق النباتي المذكور . وكأن المعنى التحليلي ، ورق نباتي أبسط من ورق الكراث .

وهذا قد يكشف أمام نظر الباحث عن أفق جديد ، ينبغي تأريخ الكتابة والأوراق ، وهو أن قدامى العرب كانوا يستعملون أوراق الكراث في كتاباتهم . ولما سقطوا على ورق أو وصل إليهم ، ووجدوه أبسط منه وأصلح ، وضعوا له من اسم ما يستعملونه لفرض نفسه ، ولكن مع إضافة ما يدل على الذي به الامتياز وكذلك نجد المادة تشهد لنفسها بالعلاقة في العربية ، وتنفي عنها كل اتهام من دخل ولا شك في أن هذه القاعدة ستضع حداً للدعوى التعريب في كل ما يشبهه الدارس . ولا عجب إذا قلنا بأنها تضع للأبحاث اللغوية قاعدة صحيحة ، وتكشف عن اعتبارات دقيقة متماسكة ، وتغير كثيراً من زيف التاريخ اللغوي . وإليك مثلاً آخر (عنقاش) الموضوع في العربية للمتجول في القرى ، وهو كذلك بحسب القاعدة ، فانها تدره إلى ثلاثي (عنق) وهو شدة السير و (الشين) تدل على التنشي وعدم النظام . وعليه فاللدلالة التامة له (السير على غير نظام) . وهو يعينه المقصود من المتجول في القرى . وإليك كلمة (خنم) الموضوع لاأخذ الشيء خفية وواضح إنها تنظر إلى (خنل)

إذن من المحقق إن العربي كان يضع على هذه الصورة ، ولا يتكلف النحت والاختزال ، ولا شيئاً من هذا مما هو أقرب إلى الخرص الواهم والتلفيق المنظم . وعلى فليس يوجد مزيادات نشأت من اختزال وما أشبه . وإنما بصورة مطردة ، السداسي يرجع إلى الخامس ، وهذا إلى الرابع ، وهذا إلى الثلاثي ، وهذا إلى الثنائي ، وهذا إلى

الأحادي . وهو مجموعة حروف الهجاء ، التي هي في غلتنا لغة الانسان الأول ، المتباعد في القدم والمعرق في النوحش .

وانما وقفت الزيادة في العربية عند حد السداسي فقط ، لأن الزيادة بلغت ضعف الأصل ، وأكمل الزيادة العددية التكرار ، وبعبارة أحصر تقف الزيادة في العربية عند ما يبلغ المزيّد أصليّن ثلاثيّن . ولقد وقع للصرفيين ملاحظة جديرة بالتقدير ، وإن جاءت لهم عنفواً ، وهي جعل الزيادة في الميزان دائماً بشكرار اللام عند التمثيل ، مما كأنه ينظر إلى الملحظ المذكور .

ولو تخففاً من كل فوائد هذا التقدير التاريخية ، وفوائده في تصحيح نقول المعاجم ، فلا ريب في أنه يفيد فائدة غير محدودة في الوضع المستقبل ، وسد حاجة العربية وسط هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات . بعد تعيين دلالة كل حرف من الهجاء .

ولقد تأتي أيضاً للعربي في أخريات هذه الحلقة أن يوسع من نطاق الوضع باستخدامه قوانين لم تكن الحاجة إليها ماسة كثيراً ولا تكون أيضاً . وانما قوانين قد تدعو إليها حاجة وقد يوضع عليها . وهي في حالي الاستعمال والاهمال عنوان على خصب اللغة . ومثلها من اللغة كمثل الاستعدادات فيها الحياة وهي معيها أيضاً .

ونحن اذا قلنا في أخريات الحلقة قلنا نغنيه على النسبة فقط ، والا فالحلقة الخامسة كان أولها عند انتهاء الحلقة الرابعة التي ترتبت ، وما انتهت بفاصل لغوي من نوع تلك الفواصل ، وانما وقفت دون أن تنتهي وقبل أن تبلغ الغاية من تطورها ، فقيمت على شيء من فوضى الموازيين والجوع والمصادر والافعال ، لأنها وقفت فجأة بداعي الخروج من الجزيرة ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

ومن هذه القوانين التي نظمها ، الرباعي بالتكرار ، وهو الرباعي غير الاصم ، كذبذب . وأرى أن استحداث هذا الوزن من التثنائي رأساً ، وهو متأخر جداً ، والذي دعى إلى استحداثه الدلالة على المعاني التركيبية ، في صورها البسيطة ، كالحركات العكسية السريعة على المكان الواحد . وسبائي تحقيقه في القسم الثالث .

وكذلك خطت الحلقة الخامسة دون أن تنتهي ، ولكن مع ذلك أخذت الاستقرار شيئاً فشيئاً . واستحدثت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازيين ،

دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل واستفعل وما اليه . ولقد يكون هذا الأخذ الجديد الذي تدل العربية عليه . من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجرع انهاء حقيقياً للحلقة الخامسة . ووصولاً بالعربية الى المستوى الذي كانت تصل اليه لو ظلت في محيطها بدون براح .

التطور في اللهجة

هذه فصول من المقدمة ، تعرض لناحية تزل منزلة الشكل من اللغة وهي اللهجة . وليست اللهجة في نظري بأقل شأنًا من الناحية الأخرى التي هي الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقاً على خطر .

ولا تنتظر من تصريحي هذا ، أن أحدثك عن اختلاف اللهجات على اختلاف القبائل ، فإن هذا له شأنه ، ولكن ما أحدثك عنه ليس شيئاً من ذلك ، وإن كنت سأتمس شواهد منه ، وإنما أريد أن أستعرض تطور اللهجة على وجه عام ، دون ما نظر لقيمة بعينها ، أو لناحية من الانحاء . وأظنني في حديثي عن اللهجة أستعرض شيئاً طريفاً ، وشيئاً له قدرته الخاصة ، كما أن له الى جانب ذلك مكانته في تتبع الدرس العلمي بدقة وتحقيق . ولا أجِدُنِي مبالغاً إذا قلت بأنه سينقض كثيراً مما قد تقرر بين الناس كحقيقة لا ريب فيها ، وسأخذ ببحث ما ذكرت وملئي ثقة بالتسامح التي أصل إليها ، ولا أعلن بأنها تعال (١) أبداً إلا على هذا النهج .

وسأتحاشي الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه الباحثون عن اللهجات ، إذ أخذوا بقايا التطور المستمر في قبيلة ما ، علماً عليها وحدها ، ولم يرعوا أي اعتبار من اعتبارات اللهجة الواحدة . وهو وإن يكن حقاً من بعض وجوهه ، فليس حقاً على الإطلاق ،

(١) من اعضل الباحث الاقوية تحليل اختلاف العربية على القبائل واتخاذ هذا الاختلاف مبادئ حقيقية . ومن ثم كان تحليل ونظم نشوء العربية بمكان من الصعوبة . ونحن قد فرغنا الى هذا البحث الذي ترى نتفاً منه في هذا الفصل والذي قبله من كتاب (دراسات على فنون العربية) وهنا اكتفينا بما ترى لان هذه المقدمة نشرها تعريفاً بأفكار شتى وتصحيحاً لاسلوب الدرس بحيث محتبك من مجموعها افتراح الاصلاح الجديد

لأنك ستري ان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، وإنما هي بقايا خلفها التطور الذي لم يتكامل . وسنرى ان هذا تفسير صحيح لكل هذه المتخلفات التي حار في شرحها علماء اللغة . على ان مما لا ينكر أن هناك اختلافات لغوية ، ترجع الى مخرج الحرف واتساقه أو تكسره . وأما الاختلافات المحفوظة في البنية أو الاعراب أو التهج الياني فهي تطورات فقط . وأهم شيء يقتضي به هذا البحث ، هو ربط ما بين هذه الاختلافات بحيث تتنظم في سلم ارتقائي واضح . وتسلسل تصاعدي صحيح . عدا عن ان الأبحاث حتى اليوم لم توف على الغرض المنشود ، بل جاءت قاصرة عنه ، وضعيفة أيضاً ولم توفق إلى نتائج موثوق بها .

ولكن سيُرى بحثنا أكثر ضبطاً ، وأكثر إنتاجاً على منهج الصدق ، وان كان يعد أحياناً عن المؤلف ، ولا يشا كل المعروف المشتهر . وقد اقطع بأن نتائجه سنظل وحدها الكفيلة بتوضيح ما يختلف عليه الباحثون ، وما يرون فيه تفاوتاً مع ما هو أشبه بالسائد في المنطق العربي . ولا بدع فعلى ضوء هذه التقديرات ، وصلت إلى ما خفي على اللغويين عموماً بدون استثناء ولا تمييز . ولست أقول هذا من باب الاطراء لمتوج قد يكون ضئيلاً وقد يكون ثرياً . ولكن تشويقاً للباحث على الدرس النصف والتحليل غير المفروض .

ويمجدري أن الفت النظر إلى هذا الذي أرعم انه خفي على اللغويين ، خذ (المصباح) في كلمة (يَيزِين) فانه ذكر (يَعْزِيد) وهو - العسل يعقد على النار - و (يَعْزِيد) وهو - بقلة مرة لها لين لزج - والمزهر^(١) في بناء يعزول فانه يذكر (ينبوع و يسروع الخ) وكذلك نجد لها لا يترددان في انها أبنية اسمية ، اشتق عليها نوسعة ، كما أن اللغويين عموماً لا يترددون ، وإنما اختلافهم في حروف التثنية هل تكون أصولاً كلها ، أم فيها مزيد فيقابل بلفظه .

ونحن بكل صراحة نقول ان ما ذهبوا اليه خطأ ، وقرر في غير تردد أن العربي ما عرف هذه جميعها أبنية ، وإنما مربها في عهد من عهود اللغة أفعالاً فقط ، وقد كان يصف كما قدمنا^(٢) بالفعل ، وكان ينطق بالحركة حرفاً ، فلا عجب ان وصف بهذه

(١) المزهر ج ٢ ص ١٠١ (٢) راجع ص ١٤٣ من المقدمة .

الأفعال وما على شاكلتها ولزمت كأسماء ، وتطورت اللغة من حولها وبقيت في اللغة لتدل على مسمياتها ، مع الاحتفاظ بلونها الأثري الذي ينظر الى وجود سابق ، كانت له هذه الظاهرة . والتي حلنا على هذا أمران :

(١) بقاء هذه اللهجة المقدرة على لسان قبائل عربية من مثل ما أنشد^(١) الفراء .

« الله يعلم أنا في تكفينا يوم الفراق إلى جيراننا صورا »
« وأنتي حيث ما يئني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فانظور »

ولا تصنع إلى ما قررره في غير تحقيق ، ان هذا متولد من اشباع الحركة في ضرورة الشعر ، لوقوعه في غير الضرورة كثيراً ، وفي أبنية عدها السيوطي في الزهر . ويحقق ما نذهب اليه من التعليل والظن ، (ينبع) فقد نصت المعاجم على أنها من بابي طرب وقعداوها قد احتفظت العربية بأثرين يدلان على هذا التحلل والانفصال . أما الأول فقول عنزة في المعلقة .

(ينباع من ذفرى غضوب جصرة زبافة مثل القنيق المكدم)

وأما الثاني (فينبوع) اسم للسيل الناز . ومن شواهد بقاء اللهجة أيضاً قول

الراجز :

(أعوذ بالله من العقرب الشائلات عقد الأذنان)

ومع اني لا أعلم من إلى التصديق بصحة هذا الرجز ، وأرجح أنه أثر من افعال لغوي ، لا أمتع من قبول (العقرب) ككلمة من اللغة . وقال ابن الأنباري في مبحث (نعم) من كتاب اصول اللغة ، (وقد ورد (نيعم) بالياء وقد ورد (نعام) في (نعم) ثم قال وهذا أكثر من أن يحصى ، وقد ذكرناه مستقصى في المسائل الخلافية) وبقاء هذه اللهجة على لسان بعض القبائل ، يدل على أن تحلل العربية من هذا الطابع كان لعهد قريب من القرآن .

(٢) كون كل ما جاء على الواو أو الياء ، ورد كذلك على الضم أو الكسر

(١) راجع الصحاحي لابن فارس ص ٢٦ . والضرائر للالوسي ص ٢٨٣ . والزوزني في

المعلقات ص ١٨٤ وهذا الأخير نسب اليه ابن هرمة بن الحرث .

في أبواب الأفعال ، مما يدل على ما نذهب إليه من التحلل . فمثلاً (يعقيد) نصت
المعجم على أن الفعل من باب ضرب وكذلك يعضيد . وفي ينبوع تنص أيضاً على
أنه من باب قعد وطرب ، وهكذا مما لا يدع مجالاً للشك في أنها أفعال مضارع أثرية
بقيت في اللغة كأعلام على أشياء ، وهذه العملية هي التي أدت إلى الاشتباه والخطأ .
ولقد وفق الخليل جداً في تسميته الضمة واواً صغيرة ، والفتحة ألفاً صغيرة ، والكسرة
ياء صغيرة . وناهيك بالخليل ودقة نظره ، وسمو ملحظه العبقري ، الذي كأنه خلق
من طيبة اللغة ، فكان على طبع منها ، وكانت اللغة في نفسه كما تكون في قانون
اشتقاقها .

وعليه فالعربية قبل أن تصبح لغة لفظية تماماً (أي تقوم على الحركات) كانت
صوتية (أي تقوم على الحروف) ومرت أيضاً في أدوار معرقة في الصوتية ، حتى
تحررت أخيراً ، ولكن تحرراً غير مطلق ، وبقيت صوتية في نواح غير قليلة . والذي
يجعل هذا الظن صحيحاً ، وفي غير شيء من شك ، احتفاظ العربية لعهد القرآن بهذه
الألفاظ المتفاوتة حركة وحرفاً ، مع الترادف المعنوي ، والوقوع على موقع واحد ، كما
سبربك في شمال وشمال وطومار وطمار وهكذا مما يعدو الحصر . ويجدر بكتابة
القواميس في العهد الجديد أن يرعوا هذه الناحية ، ويعطوها حقها من التنبه .

وهذه الصوتية دور طبيعي ، لا بد لكل لغة أن تجوزه ، ويظهر أكثر ما يكون
على اللغات الدنيا في سلم الارتقاء . قال أبو حيان في الكلام على التركيبة التي هي من
اللغات المتخلفة (جميع حروف المد واللين الثلاثة . لا يكون شيء منها أصلاً في هذه
اللغة ، بل هي نواشيء عن أشباع الحركات) .

والعربية وإن لم تصبح لفظية بكل المعنى ، فقد تركت قوانين أعدت اللغة
لتحرر على الإطلاق ، كما سيأتي في الكلام على (زيدلان) . وفي ظني أن العهد
الصوتي طال أمده ، حتى كان طابع اللغة خلال أدوار ثلاثة . ولكن لم يكن على صفة
واحدة ، بل اختلف قوة وضعفاً ، ومن ثم يجيء العهد اللفظي الذي عنده وقف
تقدم اللغة .

العهد الصوتي

الدور الأول

يبدأ هذا الدور بالمرحلة الأولى من الدور الثالث ، التي تقدم الكلام عليها ،
وكان من أهم مميزاته أمور :

(١) نطق كل حركة حرفاً .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانتهاؤ بمتحرك . ونظن بأن الحركة الملازمة للآخر
كانت الواو كما في الاشورية والبابلية .

(٣) النطق بالساكنين المتعاقبين ، الذي صار محذوراً في الادوار الأرقى من
حياة اللغة . والذي حدا بي الى هذا الظن ، ظاهرات تقوم في طائفة من الموازين ،
وظاهرات أخرى تقوم في مفردات أيضاً ، وضروري أن أتكلم هنا في شيء من
إيضاح ، لما للموضوع من الخطورة ، ولما ينبغي عليه من شق الاعتبار في التاريخ
اللفوي .

قلت أهم مميزات هذا الدور ثلاثة أمور :

(١) نطق كل حركة في الكلمة حرفاً ، والذي حملني عليه وجود كلمات في
العربية تشهد بأنها وليدة جهود صوتية كما في شبال بمعنى شمال (بالكسر) ولا شك
في أنها سبقت جهود كانت أكثر صوتية ، ضرورة انها مركبة من حروف ذات
أصوات لدلالات بينها .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانتهاؤ بالمتحرك ، والحركة ضمة ممدودة . أما الشق
الأول فقد دعاني اليه ، هذه الموازين التي تعطي بصورتها أنها قد عاشت في دور
كانت تنطق فيه ساكنة الأول ، كاجفيل واخريط واعشوشب وما اليه ، ثم في
تطورات أضافوا الهزة توصلاً إلى النطق بالساكن . وكذلك الأسماء الاثنا عشر التي
حفظت بهزة الوصل ، كأسم وامر الخ وهي كما نظن أثرية عن مكون الأول .

ولقد أصاب الأستاذ (جبر ضومط ^(١)) في تقديره سكون الأول من الأفعال، ولكن ان يكن يؤخذ عليه شيء في التخصيص بالأفعال، على أننا لا نستطيع أن نسب إليه كراي، لأننا لم نقف على فكرته مفصلة، وإنما أورد ^(٢) هذا تنق من استطراد في الكلام على الأفعال.

ودعاني إلى تقدير الانتهاء بالمتحرك المذكور، احتفاظ لفظ (عمرو) بالواو في ليلته. الأمر الذي جعل علماء العربية يتساءلون على الدوام عن سر هذه الواو. ولما عي عليهم الأمر، قلوا الكلام إلى هو الحديث، وانصرفوا إلى فكاهة الموضوع، فاتهمه بض بالاختلاس من (داود) ولم يرق لبعض آخر هذا الاتهام فشكى ظلامته. وفاتهم ان الأمر أخطر من هذا، وكأني ألمح فيه الدور الذي تمخض عنه. وليس في هذا ما نهم به لأن عهد العرب بالكتابة قديم جداً، ويرجع إلى عصور متطاولة أي إلى العصر الذي كانت العربية ينطق بها بحركة الآخر. وخصوصاً إذا سائرنا اللغة التي تقدر ان المحورايين عرب.

ولقد كشفت ^(٣) الحفريات عن مدرسة حمورية تعلم الكتابة والهجاء والحساب ومما يكن من قيمة هذا الرأي، فلا ينفي علينا الاتصالات العريضة في عهد المحورايين.

ومما لا ريب فيه ان تطور الكتابة بطيء جداً، بل قد يكون معدوماً في الأزمان التي كانت بها وقفاً على أفراد، ومحتكرة بين أيدي أشخاص، وهي دائماً بالنسبة إلى تطور المنطق تكون على تراث. ولا يفوتنا أيضاً ملاحظة الاعتقاد السائد عند القدماء، في أن الكتابة مقدسة، وان هي إلا وحى يوحى، مما يضع أكاد العثرات في سير تطورها.

(١) من أفذاذ لبنان كان لغوياً قعيداً يميل في درس اللغة إلى الأسلوب العلمي ويتقن جداً في دراساته اللغوية والبيانة وله عدة كتب ومحاضرات ومن آرائه التحقيقية. ذهبه إلى أن سفر التكوين ربما كان من وضع يوسف (عليه السلام) ليظهر نسبة الرفيع في وسط مضيق فيه ونس هذا الرأي رسالة شائعة

(٢) راجع مجلة الكشف التي كانت تصدر من بيروت ج ٣ عدد ١ و ٢

(٣) راجع ادبيات اللغة العربية لزيدان ج ١.

ولا ريب أيضاً في أن هذا الاسم أي (عمرو) تسمى به عدد عديد من قدامى ملوك العرب ، وذوي الخطر فيهم : مما دعى إلى كتابته من أول العهد بالكتابة . ولكن تطور الشكل اللفظي ، وثبتت الكتابة ، وبقي عضواً أثرياً في الاملاء ، لا قائدة منه ولا غناء .

وإلا فأي معنى لهذه الزيادة ، وبناء (فَعْل) قد سمي منه ، ولم تكن فيه ظاهرة من هذا . وظن أبي حيان الأندلسي وغيره ، بأنه للفرق بين (عُمَر) وبينه غير محتمل ، لكثرة هذا الاشتباه في العربية . وأيضاً لأن التسمية (بَعْمَر) أحدث جداً من التسمية (بَعْمَر) وقد نص غير واحد ، على أن المعدول من أصله ، حديث الوجود في العربية ، مما يقضي بأن تكون الزائدة في عمر لا في عمرو .

على أن الأولين بدؤوا ينهون شيئاً من هذا النظر . قال أبو اسحق إبراهيم بن السري (أن ذلك - أي الزيادة للفرق - كان قبل الكتاب العربي ثم ترك استعمال ذلك بعد ، وبقيت منه أشياء لم تغير عما كانت عليه في الرسم قديماً) وشاهدنا في عبارته ، أن العلماء القدامى اتضح لهم شيء من غامض الموضوع ، وفهموا بعضاً من سر الرسم القديم ، وإن كان ما فهموه لا يعبر عن الحقيقة في شيء .

ولماذا أتكلف هذا ، والشواهد كثيرة في النصوص الحميرية (كأخت أمهو) أي أخت أمه ، وفي تحريك ضمائر الجمع للغائب المضافة أو المقرونة إلى حروف الجر ، بالصفة المدودة مطلقاً في لسان قبائل ، وفي بعض الأحيان وعند الضرورة في لسان قريش .

وظاهرة أخرى احتفظت بها العربية في بعض المواضع من الوقف ، وهي ظاهرة الوقف (بالروم)^(١) التي نلاحظ فيها التحلل عن الصفة العمومية . وقد ذكر^(٢) الألوسي أن من القبائل من كان يقف بالروم مطلقاً .

وبالجملة فاني أرى في نتائج هذا الظن ، تحليل ما غمض فيما سقطنا عليه ، وتحليل ما قد نسقط عليه أيضاً .

(١) الروم حركة مختلطة تميل إلى الضم .

(٢) راجع الضرائر ص ١٦٩ .

وهذا بناء (فَعْلُون) نعتقد بأن أصله (فَعَلُو) ، وفي دور الانتقال باللغة، وكدوا النطق بالتون ، وثبت هذا كقانون في طبع العرب اللغوي . يدل لهذا ، الأثر الذي ذكره في المحيط البربري ، ظاهرة واضحة في الأسماء . كخلدون وحمدون وزيدون ونزهون . فإن هذه التون زادها العرب من أجل تمكين المنطق وتخلصاً من الصوتية البادية ، وذلك لأن البربر سميت بأسماء العرب ، ولكن طبعوها بطابعهم اللغوي العام ، قالوا حمدو وزيدوا الخ . والعرب وكدوها بالتون ، واحتمال أن يكون تسمية بالجمع ، ينفي الزيادة في (كسكسون) الذي لفظه البربري الخالص (كسكسوا) ^(١) ، ولم يكتف العرب بالزيادة على الأسماء المستحدثة فقط ، بل عمدوا إلى الأسماء البربرية القديمة ، وأضافوا إليها التون لغرض المذكور . كما فعلوا في (زُرْهُون) اسم الجبل الذي دفن فيه مؤسس دولة الإدارة في المغرب . وأظن بأن أصله ^(٢) (زُرْهُو) والعرب زادت التون عليه .

وأيضاً وزان (فَعْلَيْن) ليس أصلياً كذلك ، بل هو يرجع إلى بناء (فَعْلُون) ولكن بما أن الاتباع في العربية ، قانون شائع وواضح الأثر في كل مناحي اللغة ، دخلوا بالياء على الواو . وأمثله ^(٣) في العربية تجاوز الحصر والعدد ، قالوا شِكَايَة في شِكَاوَة ، وقِنْيَان في قِنْوَان ، وكذلك نشأ وزان (فَعْلَيْن) . هذا ظن في جملة الظنون نرسله ونحن لسنا على خلافه في قليل أو كثير ، ما دام درس اللغة يعتمد التقدير الذي تسق عليه الابنية والكلمات ، ويتخذ أداة للتفسير والشرح .

(٣) التقاء الساكنين على معنى عدم حظه في العربية الأولى ، وربما كان شاهداً صحيحاً عليه ، جواز التقاء الساكنين على حدة في العربية المرتقية في مثل (مَادَّة) و (خَوَيْصَة)

وقصارى القول ان صوتية اللغة أمر لا ريب فيه ، ومرور العربية في عهد الابتداء

(١) على ما نص عليه العلامة المغربي اليوسفي في رحلته .
(٢) ومن الهنات . زعمهم بأنه مركب من (زُرْهُونَا) ثم تصحف الى (زُرْهُون) .
والقديم عبثات من هذا الباب تفوت العدد كتحريمهم لكلمة مصفور من (عصى وفر) على ما نص عليه صاحب التاج الزبيدي .

(٣) راجع المحقق لابن سيده ج ١٤ ص ١٩

بالساكن والوقوف على متحرك ظن نظنه ، وعليه شواهد قد تثبت ، ووجود بقايا أثرية في اللغة تمثل وجوداً سبق وكان ذا صبغة عمومية من المحقق جداً .

(الدور الثاني)

يقارن هذا الدور ، الحلقة الثانية والثالثة من الدور الثالث السابق الذكر . ونرى إن اللغة لم تتحلل فيه من كل مميزات الدور السابق ، بل بقيت على شيء منها ، ونظن ظناً مؤكداً أنها بقيت بحركة الآخر ، ولم تتحرر تماماً من التقاء الساكنين . ومعنى هذا إن أسباباً من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تنهياً لتحلل ، وإن لم يكن على الوجه الأكمل ، وعليه فقد بقيت الحركة تنطق حرفاً في كثير من مواضع الكلمة أي لم تعد تنطق كذلك على أطوار .

ومن ثم كانت وجه التحلل ، وأيضاً بقيت بحركة الآخر ولكن على نسق لا اختلاف فيه ، وربما كان هذا مسلماً لنا ، بيد لا نظن أن في مماجنا ما يسعف بالشاهد عليه ، ومن هنا قد نؤخذ في تقدير لا يستند إلا على حدس محض ، ومغرق أيضاً ، غير أننا قد نتمكن من التصريح باعتماده ثانية ، رغم أنه لا يوجد شواهد عليه ، بناء على عدم استقامة التقديرات التي بعضها حقيقة لا ريب فيها إلا كذلك ، وهذا له اعتباره في نظر المؤرخ الذي يجتهد في الاستطلاع إلى ما قبل التاريخ ، متخطياً الحوائل وإن تكن صفيقة ، والحواجز وإن كانت لا تبين .

وضروري أن لا يبقى شواهد تنظر إلى هذا الدور ، واللغة قد قطعت أطواراً تبعد بها جداً عن الدور المذكور ، ومهما كانت الأسباب المقتضية بقاء المفرد على لونه من القوة والقابلية للدوام المتطرف ، لا بد أن تموت بحكم الاستغناء ، خلال انقلابات لغوية خطيرة ، وقلما تبقى النفايات والبقايا أجيالاً من عهدها الولادي . وعسى أن تكشف الأيام شواهد هذه التقديرات ، حيث تخفى السافيات ما أتت عليه في غفلة الانسان ، ويقظة الجوافء الجاثمة ، وإنه لدهش حقاً أن تسبث هذه بعد أن أن أقبرت نائمة بما كان كأنه لم يكن .

وفي تقديرنا أن اللغة دارت دورتها وكانت طويلة جداً ، ومثمرة كثيراً ،

وانتهت إلى الدور الثالث وقد خلصت من حركة الآخر ، ولكن بقيت في فترة من
الامتداد إلى الاعراب ، كانت بمثابة تجارب تفشل أحياناً ، وتنجح حيناً ، ومن بين
هذه التجارب المتخبطة خرجت العربية نهائياً بتجربة الاعراب المدهشة ، التي بلغت (١)
إليها في آخريات الدور الثالث .

(الدور الثالث)

شهدنا كيف بدأت اللغة تتحلل من طوابعها الرسخة بفعل التقادم ، ورأينا كيف
لم تعد على شكل ينزل من الطبيعة منزلة العناصر في القوة والوجود ، وإنما بقيت عرضة
لتغيرات التي يقتضيها التطور ، ويفرضها النشوء ، وكان التغير الدائم وحده هو السر
الحقيقي لدوام البقاء وتعاقب الوجودات المستمر .
وأظن في شيء من الحيلة ، إن العربية في هذا السور كانت كالعبرية من حيث
اللهجة التي أفيض في الكلام عليها ، واجتهد بتمثيلها على صورة واضحة مما كانت
عليه ، رغم ما يحول دون ذلك من غمضات التاريخ .

(١) عني المستشرقون بدرس الاعراب من ناحيته النشوئية . وهذه ناحية لم يمن بها قدامى
للنحاة الا على وجه تحوي . وقد حاول الاستاذ ابراهيم مصطفى في كتاب (أحياء النحو) درس
ظاهرة الاعراب على وجه تحليلي نشوئي . وقد وفق في بحثه إلى حد ما ولكنه كبير على أي حال
ومع أنه لم ينته بالموضوع فقد وفق كثيراً وأدرك من غامض البحث كثيراً . والحق الذي لا مرية
فيه أن درس النحو على الوجه الذي دل عليه الاستاذ سواء كان عندياً أو اعتمد فيه رأياً سابقاً .
هو أحياء للنحو على محور جديد . وليس معنى هذا إنني اوافق الاستاذ على كل النتائج التي وصل
إليها أو قررها في الكتاب كلاً فاني لا أرى كثيراً من التعاليل أو الالتباسات التي خرج عليها
مشاكل النحو . كرايه في التنوين وفي الفتحة إنها الحركة المستعجة واعتقد بأن الاستاذ لو درس
العربية على النهج التطوري الذي تأخذ العربية به لوصل إلى حلول حقيقية جداً وغير رأيه في أشياء
كثيرة . وهو في أسلوب الدرس إنما يؤخذ على وجه عام باعتماده العربية كخلاق لا قبل لوجوده
الراهن . على أنه وإن انتهى إلى تعيين قائمة الاعراب ومعنى الحركات الاعرابية . فلم يبين شيئاً من
السري أن الرفع لماذا كان علم الاسناد وهكذا وإنهى ولم ينته إلى الجواب عن كيف لشأ الاعراب ؟
والاعراب من هذه الناحية اجتهدنا بفهمه على الوجه التطوري الذي أثبتنا عموم أثره على العربية
وحل معناه في كتاب (دراسات على فنون العربية) . وعلى أي الاعتبار فالككتاب من افضل
الكتب التي درست النحو في العهد الاخير . ويمتاز بشيء خطير أيضاً وهو الاسلوب العلمي الهادي
وبكاد يكون من هذه الناحية فداً بين أساليب الدراسات التي كتبها شوقيون في العهد الحديث

وأنا إذا قلت هنا بأنها كالعبرية ، فليست أعني شيئاً سوى اللهجة وإنما أحرص على التنبيه حذراً من الظنة المتهمة التي قد ترمي بالخطأ .

وبقايا هذا الدور كثيرة في العرية ، وليس على معنى التصحيح فقط كما في يبروع ، وإنما على معنى بقاء اللهجة أيضاً في بعض من القبائل ، مما يدل على أن انتقال العرية إلى الفظية لم يكن زمن بعيد . ولما تركت هذه البواقي ، ضرورة أن التطور لم يمثل دورته التامة . وهذا شبيه بما يحدث في البناء العضوي للكائن الحي ، فلقد بقي بقايا وزوائد ، لا عمل لها في الهيكل الجسدي سوى أنها دليل على وجود سبق ، كان لها فيه خصائص اندحرت ، ومن ثم أصبحت طفيلية في الوجود المائل . وكذلك الناموس في فصائل الأنواع ، يقضي بالانقراض عند وجود الأرقى والأكمل ، ولقد بقي مع ذلك بقايا من الفصيلة المنقرضة ، ولكن لا تستقر ، بل لتكون في عيني القضاء مشهداً من الوجود المقهور . والأسباب التي حفظت الأثرية في اللغة أربعة .

(١) التشخص العلمي . كما في يبروع .

(٢) القصد الكنائي . كما في ياجوج وماجوج .

(٣) حداثة الارتقاء . كما في انطور .

(٤) الكتابة

إما الأول : فن المعقول جداً ، إن اللفظ إذا اتخذ مفهوماً شخصياً لم يعد يتأثر بالتطورات التي تعرض لأصله إلا نادراً ، لأنه فارق في المعنى ، وأصبح يحتفظ بدلالة عينية . ومن هذا أكثر ما حفظ من المتخلفات في العرية فن الأفعال ^(١) المضارعة

يَسْرُوع (اسم دويبة تكون في الرمل)	يَعْقِد (العسل يعقد على النار)
يَسُوب (اسم دويبة شبيهة بالجرادة)	يَعْضِد (بقلة مرة لها لبن لزج)
يَرْبُوع (اسم دويبة أكبر من الفأرة)	يَقْطِين (نبات معروف)

وأما الثاني : فلا مجال للتردد فيه ، لأنه بمثابة التشخص العلمي أيضاً ولكن في

المعاني ، فدلالة الكلمة أو التركيب ، ليس إلا المعنى المثلّي فقط . ومن هذا الباب كما أرى ^(١)

(ياجوج وماجوج) في معنى كثنائي عن التاجج المتدافع ، والتأجج في كل شيء بحبه . ولقد يتلّق رأينا هذا في كثير من التردد والاستبعاد ، وأنا أقرره على أنه احتمال فحسب . أرى أن كل ما قرر في معنى (ياجوج وماجوج) من أنه علم على قوم ، خطأ لا حجة عليه تنهض به ، وشبهة وقعت لعلماء التأويل من امتزاج الثقافات الدينية وفيها على غير وجهها ، فإن لهذا التركيب مثل في نبوة (حزقيال) ، وقواه عدد التوراة (ماجوج) في أولاد يافث .

وهذا كما أرجح أصل شبهة المفسرين في قصة ياجوج وماجوج ، وهو وهم . والحق عندي إن ياجوج وماجوج ، مثل من بقايا العهد الصوتي ، بقي في اللغة للغاية المثلية فقط . وعليه فياجوج فعل مضارع من ثلاثي (أجبج) ، وماجوج اسم مفعول منه ، والمعنى التركيبي التاجج المتدافع . فقول الله (إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض) معناه أن القوم الذين يقال عليهم ياجوج وماجوج الخ ، والكلام جار على التنزيل مبالغة ، وهو كثير في لسان العرب . ومن ثم نقف على أن القرآن لا يستعملها بمعنى واحد ، بل كلما وقعت في موضع كانت على معنى منه كما في الانبياء فان قول الله (حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون) تمثيل لحالة الخروج يوم القيامة بعد بعثرة القبور .

واظن أنه كان يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى ، واستعان به القرآن لتأدية الغرض الذي يرمي اليه ، وبفضل استعمال القرآن له فقط بقي في معجم اللغة . ولا عجب أن يخفى هذا الخفاء وهو مستعمل لعهد القرآن ، فقد ذكر ^(٢) (ابن فارس) أن الفاظاً في الحديث وقعت ، لا يعرف معناها على وجه الضبط .

ولهذا السبب حفظ قولهم ^(٣) جوع برقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب ، وأرض ينخضور .

(١) هذا احتمال في جملة الاحتمالات الكثيرة . يستند الى اللغة واذا ارسلناه فلا نقطع به .

(٢) راجع الصاجي ص ٣٤

(٣) راجع الزهرج ٢ ص ١٠١

وينبغي على هذا الظن تصحيح القوائم التي يسوقها اللغويون كنوادير ، وتمييد
سبيل اللغة المعثر . ومن ثم يقضى للعربية أن تستقيم على وجهها ، وتستقر في الوجهة
التي قصد إليها العربي ، فإننا نرى من خلال صنيعة ، أن الحركات في الأفعال التي
هي الأبواب الستة ، تنظر إلى عهد صوتي كانت الحركة فيه تنطق حرفاً ، وهذه
الحروف التي هي بمثابة الحركات ، تنظر إلى دلالات بعينها لا تتأدى إلا بهذا الحرف
الشكلي . كما تقدم ^(١) في الكلام على الدور الثاني من تطور اللغة .

ثم في دور الاستقرار قصد العربي أن يثبت الأفعال على صورة آلية ، فلما لم ي
مفتوح العين أبداً ، والمضارع مكسور العين أبداً ، والأمر يتبع المضارع .

وما بقي من اختلاف الأبواب التي قدرها الصرفيون ، ليست على الحقيقة إلا
مثلاً من عدم الاستقرار اللغوي ، ولو مهدت الظروف لغة السبيل لاستقرت على الوجه
الذي فرضه لها بلاريب . ولقد نشهد في بعض الأبواب انقراضاً أو تناقصاً ، كباب
ورث فانه لم يحفظ من كلماته الصحيحة إلا ثلاث يجوز ^(٢) فيها الباب الرابع . ولقد
ترامى للغويين شيء من هذا ، فقال ^(٣) أبو زيد الأنصاري (إذا جاوزت المشاهير
من الأفعال فانت بالخيار بين الفهم والكسر) وقال ^(٤) الفراء (الأصل في المضارع
الكسر) .

وصحة الأمر أن الاختلاف ، وعدم التساوق القائم في أفعال العربية الثلاثية ،
لكونها أقدم ما عرف العربي ، وبضرورة انفصالها في عهد السداجة . ثم اجتهد
العربي في دور الاستقرار بإزالته ، والقضاء عليه ، فصحيح الماضي على الفتح وأمان
ما عداه من الباب السادس ، وأما ما بقي من الأبواب فهي تصريفية فقط ، كباب

(١) راجع ص ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٣ من المقدمة . فقد قررنا أن الحرف الواحد من
الهجاء كان يختلف معناه باختلاف الصوت أو الحركة . فالحرف الواحد بعدة أصوات يدل
على عدة دلالات مختلفة .

(٢) راجع نزهة الطرف للسيداني ص ٨

(٣) راجع مقدمة القاموس الفيروز آبادي .

(٤) راجع مادة (آي) من اللسان . وقد نص العلامة الرضي في شرح الشافية وكذلك
الجارودي اختلاف الصرفيين في أمالة باب نصر أو باب ضرب فراجع .

طَرِبَ وبَاب كَرَّمَ ، يلجأ إليه لحاجات معنوية . وقصد تصحيح المضارع بالكسر ، وإماتة باب نصر ، وبقية الأبواب يلجأ إليها لأغراض من المعنى ستقصيها في بحث الأفعال من المقدمة . وقرر الباب الثالث فيما كان حلقى العين أو اللام كشرط ، وما وقع حلقاً وليس من هذا الباب فأنري .

ويؤكد هذا أطراد أبواب المزيد بالكسر ، إلا ما لا يتأتى الكسوفه ، مما يدل على اختيار العربي للكسر كأصل .

وانما جنح إلى ما قرر لأنه خضع لعقوبة لغوية خطيرة ، كان ضروريا معها أن يجهد بتصحيح ما سبق وضعه ، وأن لا يضع إلا على نهج منظم وسياقي الكلام عليه في فصل (تعليق واستنتاج) .

ولنأخذ في وصل ما اقتطع . قررنا ان العربية في هذا الدور ، كانت على شبه قريب من العبرية أي صوتية من بعض وجوها ، ولنضرب مثلاً فيه فرض وفيه حقيقة :

اسم الفاعل : في هذا الدور كان على وزان (فاعيل) وكان يقال عليه ضاريب وقائم وهكذا وان نص علماء العربية على أن وزان فاعيل ليس من أبنية العرب كما به ^(١) عليه الفيومي حيث قال (وزان فاعيل ليس من أبنية العرب فهو بمنزلة قاييل وهائل) لأن الجماعة يعنون العربية الحاضرة ، ونحن كذلك قلنا ليس من أبنية العرب الباقية ، وانما يجي في انفصالاته العديدة فليس بغريب عن العربية أبداً . وربما دل له كلمة (آمين) التي تحمل ^(٢) لها القويون وجوها شتى ، وكان أقواها أن الفها اشباع عن الفتحة .

وفي الدور الأول من العهد الفظلي اختصر إلى (فاعِل) و (فاعِل) ، وفي الدور الثاني اختصر إلى (فَعِل) وفيه أيضاً خفف بالاسكان فقيل (فَعِل) .

(١) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٥٥

(٢) راجع شرح معلقة منتزة لروزني .

مثال تطور اسم الفاعل في العربية :

(فَاعِلٌ) في الدور الثالث من العهد الصوتي



هذا مثال من تطور الهمزة ، يوضح لنا معنى غامضاً من المناحي اللغوية ، قد خفيت على علماء اللغة ، واورثتهم شبهة بالغة ، إذ اثبتوا اختلاف الدلالات باختلاف هذه الصور الميزانية ، والحقيقة ان الاختلاف استنتاج محض من عرض الامثلة على كل وزن .

ولا اعني أن العربي كان يقصد الى امانة فاعل وفعل استغناء بفعل ، لو لم يكن الخروج من الجزيرة ، ولكن اقصد أن جميعها تطورات عن فاعيل المات ، الذي يدل على الذات المتصفة بالحدث ،

والبك مثالا آخر اصح ، لان أمثلة من اصله الصوتي ، لا تزال محفوظة على قلة . (فَاعُولٌ) صيغة مبالغة قديمة ، ترجع الى الدور الثالث من العهد الصوتي ، اخذت تنقرض من اللغة تدريجياً ، استغناء عنها بفَعُولٌ ، بينما هي في العبرية كثيرة جداً أو سائدة مما يؤكد رأينا واختصرت الى (فَعُولٌ) في الدور الاول من العهد اللفظي ، والى (فَعْلٌ) في الدور الثاني . .

(فاعُول) في الدور الثالث من العهد الصوتي .

فَعُول في الدور الاول من العهد اللفظي .

فَعُل في الدور الثاني من العهد اللفظي .

وتقدر ان منه (يَقُظ) الذي ذكر صاحب متن المقصود ، ان المراد منه المبالغة .
وعليه فهو ينظر الى وجودين ، انتسب اليهما على تعاقب ، فكان يَقُوط وكان يَقُوطُ .
وخذ كذلك مثالا على (فاعَال) فقد قالوا منه (خاتام) وقد ثبت ^(١) هذا
المثال مع كل الانفصالات التي تعاقبت عليه ، بحيث يكون خير مثال يمكننا اعتماده في
تقرير النظرية . وهو يفهمنا بالوجه الآخر ، مقدار تفاوت درجات الارتقاء عند
القبائل ، بالنسبة الى التطور العام .

فاعال - خاتام . في الدور الثالث من العهد الصوتي

خَتَام - فَعَال فاعَل - خَاتَم . في الدور الاول من العهد اللفظي

فَعَل - خَتَم . في الدور الثاني من العهد اللفظي

(١) ذكر الزبيدي في تاج العروس من (خ ت م) لغات في خاتم اليد وهي خاتام خاتَم

هذا المثال الذي نراه حافظاً لكل صور التطور ، وتلوينات الترقى . والذي ينبغي أن يبرأ من سراحة عن مقدار عمل التطور في العربية ، إلى حد أن بدت معه على خلاف كبير . وإداني معنياً بهذا المثال على صورة خاصة ، لأنه يحقق الفكرة من كل أطرافها ، وإذا درسناه بانصاف وتفهم ، عرفنا كيف نملل الاختلاف القبلي الجسم ، وعرفنا إلى ذلك مقدار العصور التي تكيفت فيها العربية حتى تمخضت عن لغة القرآن ، وحتى تزلت منزلتها من السموق القوي ، والاهاب القشيب والحلة البارعة .

وأظن بأن العربي في مثل هذا ، كان يرمي إلى إمامة الصوتي ولا يقصد إلى التكثير والتزيد .

ومن كلمات هذا الدور التي لا تزال محفوظة في معاجم اللغة ، وهو (طومار) اسم للصحيفة ووزانه (فوعال) ، وسبب تخلفه مع عراقته الصوتية كما نظن هو انفراد القبيلة . فان من المعقول جداً بقاء قبائل لم يشملها التطور ، إما لعدم الاتصال أو لحدائث الارقاء فان القبيلة في كيان المجتمع كالعصو كثيراً ما يبقى متخلفاً في وجود أدنى أو حافظاً لصورة من هذا الوجود ، بينما يكون الجسم كله قد تجاهله في وجوده الأرق ، كالأذن في الإنسان لها عضلات تجعل منها عضواً خاضعاً لتكيف الصوت ، ومع ذلك لا قوم بعملها ، وكذلك الجفن الثالث في العين ، والزائدة في المعى لا عمل لها في الإنسان على حين أنها ضرورية جداً في حيوانات حية .

وبعد فهذا البحث مهم من كل وجوهه ، ويكفي أنه الإداة الوحيدة لتأريخ التفريخ القوي والتشعب المديد . على أن فشو أمثله في عربية المعاجم لا نكرهه ، ولا سبيل إلى تعليله إلا من هذا الوجه وعلى هذا النحو فقط .

وزيادة فقد احتفظت العربية أيضاً بما هو أبغ من هذا كله ، احتفظت بأشبه قوم فيها التفاعلات ولما تستقر . وهي تريتاً وجهاً من تطوير الصوتي وتؤكد النظرية

خَسَمَ خَسَمَ . خَيْشَتَامَ خَيْتَامَ . خَاتِيَامَ خَاتِيمَ الخ ويتضح لك من هذه التفسيرات أن الأصل البعيد خَاتَامَ وما وراءه تطور بتخفيف الحرف أو بالتصغير تكسراً فان خَاتِيَامَ بلا ريب منكسر عن خَتَامَ أو خَيْتَامَ في منطق بعض القبائل .

بصورة لا تدع مجالاً للريبة . ومن هذه الأمثلة (نِيدْلَان)^(١) حفظ كذلك بالياء ، وحفظ أيضاً بالهمز (نِيدْلَان) وهذا الاختلاف الفت نظري ، إلى حقيقة خفية كان ينوسل بها العربي إلى ما ينبغي من التصحيح . وعليه فهذا اللفظ كان في العهد الصوتي ينطق بالياء (نِيدْلَان) على أنها الكسرة فقط . ولما خطت العربية خطوتها إلى التصحيح تنذر قل (نِيدْلَان) بالكسر فقط لما يترتب على ذلك من محذور الانتقال من الكسر إلى الضم ففصل بينهما بساكن . وبما أن العربي طرد الهمزة في أحرف اللين عند التصحيح همز الياء .

وخذ مثلاً آخر (زَيْبِر) يمثل وجهاً من التفاعل في مرحلة أرقى من (نِيدْلَان) فإنه حفظ بكسر المعجمتين ، وحفظ بكسر الأولى وضم الثانية أيضاً . ونحن جبال هذين الوجهين نظن بأن أصلها (زَيْبِر) ، وعند التصحيح في العهد اللفظي أبدلت الياء همزة ، وفي عهد أرقى نقل إلى (زَيْبِر) بكسرها اتباعاً وهو قاتون شائع في الحركات كَنَخِرَ وَمَنَخِرَ وفي الحروف كَطَوِي وطِي .

ومن ثم ندرك أن وزن (زَيْبِر) الصوتي (فِعْل) والياء هي الكسرة الممدودة فقط ، ومن الخطأ اذن ما عليه أصحاب المعاجم من عد (زَيْبِر) رباعياً ووضعوه في باب الزاي والهمزة ، وإنما يجب أن يعتبر ثلاثياً مزيداً زيادة أثرية لا زيادة تصريفية وأن يوضع في باب الزاي والياء وما لي أذهب هنا وهناك وفي عرض القراءات وبحثها بالاسلوب العلمي ما هو ممن عن أن تطلب الدليل دونها

وأظن أن في هذا الدور الذي ينزل منزلة الشكل من الحلقة الرابعة ، تماثلت العربية إلى الاعراب ، وانطبعت به كطابع راسخ .

ولكن كيف انتهت إليه وانطبعت على اعتباره . هذا ما يبدو عند اللرس أعقد من ذنب الضب كما يقولون . ويخفى إلى حد أن يعتبر ظاهرة غامضة لا تحمل على وجه طبيعي . والاعراب على أي الاعتبارات يضع العربية في منزلة سامية من حيث الجانب

(١) راجع التصريف الملوك لابن جني ص ١٠ والمبجج له أيضاً .

القوي . بل سيظل الشاهد العظيم على مبلغ الصقل الذي أخذت به العربية . وعلى مبلغ العقلية التي تناولتها .

ولا كبير إذا قلت بأن العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في أكل ما تكون لغة ، وهي في وجهي الأعراب والبنية ، أدق اللغات في ملابسة اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية من كل الأقطار . وربما كان المثني شاهداً لا يقبل التردد ولا التردد بحال ، فمن حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ، ندهش كثيراً وعلى وجه غير محدود للذة العربية التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئاً كثيراً يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمبلغ التسامي القوي في طبيعة العربي . ومع أن مميزات لغة العرب كثيرة على هذا المقدار ، وإلى درجة مدهشة . فإن الإعراب من بينها أكثر ما يكون إحكاماً وعمقاً ، وأكثر ما يدعو إلى الدهشة . ولعل خفاء تعليله من أسباب الدهشة المستمرة . وينبغي أن لا يفوتنا أن الأعراب من بين أشياء العربية استوى على وجه التمام ، واستقر على الوضع الأكل ، بحيث نفي عنه الزوائد والبقايا الأثرية ، واتخذ وضعه التقني في العربية وثبت كعبغة لازمة .

العهد اللفظي

الدور الأول

بالعهد اللفظي بلغت اللغة الشوط الأخير من ترقى اللهجة ، وإن لم تستقر تماماً لأنه لم ينه عمله فيها . ومعنى هذا أن اللغة أخذت به وحملت عليه ، ولكن لم ينسجم الزمن والظرف لاختضاع اللغة برمتها لما يقتضيه قانون اللفظية ، فبقيت صوتية في انحاءها ، وظلت قلقة في موازين ، غير أن هذا لا يمنعنا من تقرير أن اللغة لم تعد في حاجة إلى نحو جديد من الإصلاح ، فلقد تمت فيها كل عناصر التهذيب ولكن لم تبلغ بعد ولم يكمل نضجها على الوجه السوي .

ومهما يكن من أثر مبارحة الجزيرة بهذه السرعة ، في إيقاف عمل الإصلاح اللغوي ، وفي جذر مد التهذيب ، فلا تنسى أثر اللغويين أيضاً الذين اجتهدوا في الحصر والضبط فقط ، حتى خيل من صنعهم أنها في منزلة من الوحي كما كان خيالهم . فملوا عملاً لا يعنىها بالذات وإنما كان تعليمياً أكثر مما هو شئ آخر . ولتجاوز هذا الحديث الآن ، لنستعرض عمل العربي في هذا العهد الذي يستوي مع الحلقة الخامسة ، ويقع فيها الدوران اللغويان ، وإن كان الدور الأول مراحاً لنشاط العربي بصورة أكثر عملاً وجهداً ، وأكثر إنتاجاً وتصحيحاً كما لم يكن الثاني متخلفاً لأن العربي اراده للاستثراء الا فيها تحس الحاجة به الى الامانة .

في هذا الدور تقع كثرة الموازين التي تصدر عنها اللغة في اشتقاقاتها ، ولقد كانت عملية التصحيح فيه جسيمة جداً مما يشعر بطول زمنه ، ويكفي ان نعرف انه حدث انقلابي يشمل اللغة من مناحيها ، ويستغرق اللغة في متفرق شعبها الا فيما ندر وقل . ويتبين لك كل هذا في بحث الموازين بحيث لا يصعب معه بعد ذلك تعيين التاريخ للاشتقاق . وكذلك صمحت اكثر الموازين والمفردات عليها من مثل ..

(فاعل . فعيل) من (فاعيل) ..

و (فعول) من (فاعول) ..

و (فمال) من (فيعال) ..

و (فمال) من (فوعال) ..

و (فاعل) من (فاعال) ..

ولسنا في حاجة الى الاكثار من مرد الامثلة ، والذهاب مذهب التحويل ، لان اللغة التي في المعاجم تخضع في اكثرها الى ما قضى به الدور الاول من التنظيم . وتظهر في هذه المسحة وكأنها المسحة التي تمثلها العربية غاية . فلم تعدّها الا في ارقاآت حدثت في الدور الثاني ، لم تكن في ذوق العربي وفي مفهومه الاتوياً فقط

الدور الثاني

لم تكن الغاية من هذا الدور ، تمثيل انقلاب في شكل اللغة او في كيانها ، وإنما

هو يصبر عن اغراض تنويحية محضة . وعلى تقدير انه يراد لشيء من التغيير فلم يمر الى اقلاب ذي اثر عام ، وانما عمل الى جانب الدور الاول غير محاول الانتقاض او الامانة ..

وكيفما كان الاثر الذي تركه في اللغة ، والغرض الذي في قصد العربي منه ، فلا يسعنا الا ان نعدّه دوراً تكليفاً وان لم تكن ظواهره على شيء كبير من الموضوع والبروز في بناء اللغة . وخصوصاً اذا نزلنا الاسباب التي نظن انها اضعفت من عمله منزلة الاعتبار . وقد يقوي تأثير الاسباب التي نظمتها بقاء العربية في نواح غير قيّدة ، أو على غير تماسك بل يبدو قلقها لوهله الاولى من النظر العلمي . كهذا الاختلاف البين في ابواب الثلاثي ، يقابله الاطراد الموزون في المزيّدات . ونحن وان كنا نقرر وسبق لنا ايضاً التقرير ، بان الابواب تنظر في الواقع الى دلالات بعينها كانت لا تتأدى الا بهذا الحرف على هذا الشكل . لا تتوقف عن القول بانها قلقة ، لان الدلالات المذكورة تعتمد على الشكل الحرفي قبل اقتعاد الكلمة في معناها ، وأما بعده فتصير الكلمة ذات دلالة غير منفصلة ، كما اطلقت فهم منها معناها .

واليك الماضي قد تقرر في وزان (فَعَل) مطلقاً (الا لغاية معنوية ليست في ذات الدلالة وجوهرها بل تدخل في كيفها فقط) بينما لم تستقر في المضارع ابداً . وكذلك في المصادر كما سيأتي بسطه . وهذا النظر يفصل عن اللغة وهي قلقة على معنى انها لم تستقر استقراراً تاماً بداعي الخروج من الجزيرة ، وذواء عمل التفتيح اللغوي الذي كانت بقاياه تتمثل في الاسواق الموسمية . وكانت ذات خطر ولكن لم تكن الا صورة مصغرة عما كان العربي يلجأ اليه كوسيلة للاصلاح المنشود .

وهذه الاسواق التي كانت تقام لاغراض ، مادية تحتكم بمعنوية قوية من القومية والدين ، تتجلى واضحة في التفاهم على اشتراك الالهة وفي نسيئة الشهور . يمكن أن نرى وجهاً من العمل اللغوي للاصلاح . ومن ثم لا نرى شيوع الاصلاح اللغوي صعباً . وايضاً يكشف عن كيف تكون الافتراضات المتقدمة في بحثنا عن الرقي في مادة اللغة وفي اللهجة معقولة ولها مجاز واسع للتسليم . فلا جرم ان لا نعد هذا الدور الذي يقع من الحلقة الخامسة في ختامها ، اقلاباً كبقية الادوار في ترقى اللهجة :

ومن الشرح السابق نكون قد كونا فكرة عن عمل هذا الدور الذي يتلخص في الانتقال بكل حرف الى حركة مع الاحتفاظ بالتأدية نفسها او مع اعتبار تغيير بسيط .
والا فبماذا يمكن تحليل مجيء (فَارِحَ وفَرِحَ) اسمي فاعل من فرح ، على قلة فارج وكثرة فرح تحليلاً علمياً معتبراً . واليك امثلة عن هذا الدور في الموازين .

(فَعِلَ) من (فاعِل او فَعِيل) كفارح وفرح ..

(فَعُلَ) من (فَعُول) كيفظ ويفرظ

(فَعَلَ) من (فاعِل) او (فَعَال) كمالك وملاك ..

(فَعِلَلَ) من (فَعْلِيل) كغَرَتَق (١) وغَرَتَق ..

(افْعَلَّ) من (افْعَال) كأحر وأحمار ..

وجدير بنا ان نستفيد منه بقصد التتبع في وضعنا الجديد ، وما نكون قد اقتربنا على العربية فرى من اباطيل ، وانما سايرنا النهج الذي انتهجته في إبان عملها التشوي . وقد كان في جملة ما ادي اليه هذا الدور ، التخفيف بالاسكان حتى كان قانوناً شائعاً عند العرب . ومن كثرته فيما كان الثاني حرف حاق عد قياسياً ..

وهذا الدور كان به ختام اللغة ، ولا نعني بهذا اللفظ ما يفهم منه ، لأن اللغة وقعت ولم تنته ، وإنما نعني أن قد كان لها انجذاب مفاجئ أوقف ما فيها من عناصر فعالة . ولو ألقينا نظرة إلى اللغة من وراء هذا الدور ، لرى ما هي الصفة العامة للارتقاء لرأينا مثلاً من الرقي الواضح في شتى نواحيه . بيد أن قد بقي شيء من مظاهر الطفولية اجتمعت العربية بالتخلص منه ، ولكن بقي على بعض صورته ، وهو التقاء الساكنين . فإن العربية تخلصت منه على كل صورته ، ماعدا التقاء الساكنين على حده ، فقد بقي في اللغة الشائعة العامة على أنه بدت طلائع ترمي إلى التخلص منه أيضاً عند قبائل غالت في

(١) الغر تَق من وضعنا الجديد وقد وقع في بيت من قصيدة لنا (جمعت سجايك النبيلة طرفة = من كل منتخب فيالك غر تَق) ترجمة لكلمة (dimegod) الانجليزية بمعنى نصف آله أو بطل . وكذلك فر تَق او يخلص بالآلهة الاشياء كمثل (muae) آله الشعر وهكذا . ووجه الوضع استعمال العرب اللفظ بهذا المعنى ومنه قولهم (الغرائيق الملي) ..

التخلص من التثاء الساكنين ، حتى قرى^(١) قوله تعالى (ولا الضالين) بالهمز على لغة من جد في التخلص من التثاء الساكنين .

تأريخ النظرية :

قد يكون عجيباً وإيم الله أن أسقط بعد أن أعددت أبحاثي في اللهجة على صورتها للعلب ، على موضوع للقاضي الفاضل الشيخ (مصطفى الغلاييني) ، له هذا التقدير وقد جمع عناصر الفكرة وإن كان على غموض وفي غير توسعة ، لأن الشيخ أرسله يومذاك خاطرة يدعو الأدباء واللغويين إلى درسها . ولقد بقيت صرخة في ورقة لا تتجاوز حروفها مع أنها كانت جديرة جداً بالتوسع والبحث المشبع ، ونحن نتجهداً للجهد تلخص الفكرة عن مجلة الكشف^(٢) .

(الحركات في العربية أحرف مد ، في عهد اللغة القديم . فالمضموم والمفتوح والمكسور كان يعتمد على حرف من أحرف المد . وبعد فقد تهذبت تبعاً لسنة قلب القوي على الضيف ، وأقوى دليل أن العبرية لم تزل تعتمد على أحرف المد في حين أن هذه الألفاظ قد فقدت الحروف في العربية . ومن هذا يمكننا تلميل اختلاف عين الفعل في الأفعال الثلاثية . ونرى أن العربية فقدت كل أحرف المد وما يكن من ذلك فيها فهو زائد أو منقلب بضرب من الاعلال فألف قال أصلها الواو . ونرى أن ما جاء على وزن فَعِل كان على فَعِيل وما على (فَعَل) أصله (فَعُول) كبئس وبئس ، ويؤس ويؤس . والخلاصة .

(١) الحركات أحرف مد في عهد اللغة القديم ثم سقطت وقام مقامها أحرف صغيرة .

(٢) الحركات فرع وأحرف المد الساقطة هي الأصل .

(٣) لامدود أصلية في اللغة والمد الموجود منقلب عن أصل (أوهوزائد) .

ومن هذا التلخيص نتف على أن الشيخ ، لم يتجاوز في تقديرنا الدور الأول من

(١) راجع تفسير البيضاوي في الفاتحة .

(٢) راجع مجلة الكشف البيروتية . س (١) عد (٢) ص (١٤٠)

للمد الفعلي، وكأنه أراد بحث ماهو معجمي فقط دون مجاوزة في التقدير. وضروري أن تأتي هنا بلمحة عن تاريخ انبعاث هذه الفكرة عند اللغويين وكيف انشأت. ترى ونحن على حق، بأن التحليل رحمه الله كان أول من أمسك منها بطرف، وأنال من تسميته الحركات أن الفكرة تجلت له واضحة، فإن من يسمي الضمة واواً صغيرة والكسرة ياء صغيرة والفتحة ألفاً صغيرة لاشك هو واقف على الفكرة بجملاء. وليس هذا فقط فإن مما يحدثنا التاريخ عن التحليل أنه غير صنيع أبي الأسود الدؤلي في الاستعانة بالنقط للدلالة على الحركات التي هي الأحرف المحذوفة من الكلمة. فاختصر من الألف الفتحة، ومن الواو الضمة، ومن الياء الكسرة. ولقد وضحت جيداً عند اللغويين من بعد حتى قال الرازي (الحركات ابعاض المصوتات).

وجاء السكاكي فنحدث عنها باطمئنان ودقة وفهم صحيح. وانظره كيف يقول^(١) في الكلام على اسم الآلة (ويأتي على مفعال ومفعلة ومفعل وعندني أن مفعالا هو الأصل وما سواه منقوص منه بموضع وبغير عوض) وأراه قد وقف على الفكرة تماماً وإن كان على غموض، فلم تتوسع عنده ولا توسع بها من أتى بعده. ولقد حدثني الشيخ بأنه ذاكر بالفكرة المرحوم (أحمد زكي باشا) فاستصوبها جداً. وهذا مايدعونا إلى عدة في جملة من تناولوا الفكرة بالدرس.

تطور اللغة

نقصد هنا أن نرقب مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الأنحاء سواء في الاعراب والاعلال والموازن والاشتقاق والأفعال والمصادر.

هاتيك المسافات الواسعة التي بقيت واضحة في منطق القبائل الشقية، ومنطق القبيلة الواحدة. حتى ذهل من كثرتها علماء اللغة جميعاً، وراحوا في تعليلها على مذاهب متباينة وابتدعوا لها وجوهاً من الاختلاف القبلي، وتداخل اللغات، والضرائر، والشذوذ، والغلط.

والواقع أن كل هذه التقديرات ليست إلا حيلة التعجيل ، وأما هي من الوجه الحق فليست بأكثر من كونها أثراً من آثار التطور العام الذي تخضع له كل لغة في سيرها الارتقائي ، وتبقى هذه البواقي والمتخلفات لأسباب مكانية وظرفية ، أو لأن التطور لم يتم دورته بما يكفي لأن يأتي على كل موائل الوجود المهضوم .

والشيء الذي لا يمكن أبداً الشك فيه ، أن العربية لم تستقر لعهد القرآن على وجه نهائي ، وإن كانت قد أخذت فيه بقوة وعنف . وفي الحق أن القرآن كان سبباً فعالاً لتهيئة هذا الاستقرار ، واعداده على الوجه الأكمل . وليس كذلك فحسب بل أسرع أيضاً في تحقيق الاستقرار وهضم المتخلفات ، التي تمثل مع الموجود الأرقى وضماً قلماً جداً وشاذاً أيضاً . وذلك لأنهم اعتبروه آية البيان في العربية ، فاحتذوه في كثير من التقليد وأخذوا أنفسهم به أخذاً عنيماً ، وفي غير اقتصاد ، وانظر أثره في (علي ابن أبي طالب) أعظم هبة بيانية عرقها العربية ، كيف يفعل به انفعالاً يكاد يكون احتذاء صرفاً وإن كان على مميزات وشخصية ..

والأمر الطريف أنك واجد تطور العربية ، كأنك في حلقات محفوظات النسب ومقدرة المنازل على صورة خالية من الفراغات ، حتى التفاعل والمغالبة التي يثيرها الارتقاء وتنتهي بغلبة الأصلح . وهذا شيء لم ينتبه إليه حتى اليوم ، كل دارسي اللغة على وجه العموم ، ولم يعبروه شيئاً من اهتمامهم ، بينما لحظة^(١) علماء الكوفة في كلمات قليلة (كائِن)^(٢) جمع عَيْن ، اختصر أو تطور قليل (ايم) بحذف الهمزة والنون ، ثم اختصر كذلك قليل (م) و (مـ) . ووقف هذا الدرس عندها على مرادة أحبطت اعتباره بصورة مطلقة ..

وسنرى حينما نقص عليك حكايته ، أنه عمل في المادة كما عمل في الصورة ، وكان

(١) يمتاز نحاة الكوفة بفهم العربية فهماً حقيقياً لا يستند إلى تكهنات تسلية . ولسانيات عندية تملى على العربية ولا تأخذ منها . ومن ثم كان المذهب الكوفي أقرب لتصوير العربية على الوجه الواقعي . وإن كان يضيف في الجانب التعليلي . على أن الخطوة التي صادفها المذهب البصري حالت دون الاستفادة من المذهب الكوفي . ومن أراد فليج بكتاب الانصاف لأبي البركات ابن الأنباري .

(٢) راجع خاتمة المصباح المنير للفيومي

أم عمله في حروف الاعلال . وقد تكلمنا على نوع من اللغة وقع فيه هذا التطور ،
 وشئنا هناك تمثيلاً وافياً ، وأعني به انتقال العربية من الصوتية إلى اللفظية ، ورأينا
 هناك السير التطوري ومقدار عمله ، واستطعنا أن نسوق أمثلة فذة يتجلى فيها أسلوب
 الارتقاء واضحاً . وهي (نِيدْلان) و (زَيْبِر) وقد رنا أن (زَيْبِر) يمثل تمام العمل في
 (نِيدْلان) . وربما لم يكن تكرار الحديث عنها ممياً لأنه عدا خطورتها يظهر فيها
 سير التطور واضحاً ويعز أن نجد مثلها في العربية المحررة (عربية المعاجم) .
 والآن تقتصر على إبراد أمثولات شتى ، يظهر فيها مقدار ما عرى العربية من
 تطور بليغ ، انتقل بها من وضع إلى وضع آخر يبعد عنه كثيراً .

أمثلة تطور الميزان :

قال العرب (نِيدْلان) و (نِيدْلان) و (زَيْبِر) و (زَيْبِر) . .
 هذه كلمات وردت في متن اللغة كذلك ، وهي تنظم عندنا في تطورات حقيقية .
 وذلك لأن (نِيدْلان) كلمة جارية على وزن صوتي ممت ، وهو (نِيدْلان) والياء
 فيه هي الكسرة الممدودة .

وهذا الوزن أميت في عهد البلوغ اللغوي ، الذي قضى باستئصال الانتقال من
 الكسر إلى الضم . وارتقت الكلمات الجارية عليه ، بصور من الارتقاء ، ولكن بقيت
 كلمة تحتفظ بشكل من ، رغم أنه دخلها عمل أولي مما يقضي به التطور . ولا يمكننا أن
 نحدد ظروفها التي أوجبت بقاءها ، ولكن نعرف أنها بقيت وكفى ، وربما كانت
 للصدقة ، وربما كان الوضع في موضوع كثرت كلماته فأهملت ، وربما كان شيئاً آخر ،
 على أن هذا لا يهمنا كثيراً .

والعمل الأولي الذي دخلها هو قلب الياء الصوتية همزة ، وكأن هذا بعد خضوع
 العربية لمنطق عدم الانتقال من الكسر إلى الضم ، فأبقوا على الياء قلبها همزة فخلصوا
 من المحذور . فقالوا (نِيدْلان) ووقف فيها العمل الارتقائي عند هذا الحد ، مع أن
 له بقية ظهرت في (زَيْبِر) التي تعتبر أرقى بمرحلة واحدة ، وقد أنهى فيها التطور
 اللغوي عمله . وذلك لأن (زَيْبِر) في تقديرنا أصلها (زَيْبِر) جارية على وزن أميت ،

وهو (فعل) والياء انما هي الكسرة الممدودة ، فدخلها الإبدال بالهمزة قليل (زئبر) ثم دخلها الاتباع بالحركة قليل (زئبر) .

ولا يؤخذ علينا افتراض واثبات أوزان ككل (فعل وفعلان) . لأنها ليست افتراضاً بل بقي في العربية ما يدل على أنها كانت ، ولذلك قيل ليس في كلام العرب (فعل) إلا (حُبْك) . ولقد أبدى ابن جني حينما خرج من باب تداخل اللغات ، كما هي العادة فيما خفي عليهم وجه تعليقه ، اعتماداً على انه جاء على وجهين وهما (حُبْك) و (حُبْك) . وشرح هذا المثال عندنا ، ان أصله (حُبْك) ولما قصت العريسة باستئصال هذا البناء واماتته ، تقلوا كلماته بأحد وجهين ، إما باتباع الفاء للمعين ، وإما باتباع المعين للفاء . ولما كان الاتباع في الضم قليلاً . نظن بأن العربية قصدت ان تستقر عليها بالكسر .

وهذا الحرف بصورة التي نقلت اليها ، يرينا مثلاً طريفاً جداً ونادراً من طرق تطوير اللغة ، والانتقال بالكلمات التي هي على أوزان مماثلة . وبالجملة فهو يقضي ككل أمثلة اللغة المحفوظة ، بأن الاتباع ترك أكبر الآثار . وكان قانون تطور العريسة وارتقاؤها في الجملة . والله در السكاكي قلقد اتقدح في ذهنه الوقاد المتبع وجه سري مما قرر فقال ^(١) (لكن الجمع بين الكسر والضم لازماً حيث كان ينبو الطبع عنه فأهمل) لاحظ تعبيره باهمل ، الذي يقضي بأنه قد كان . فما كان رحمه الله براه فرضاً بل حقيقة لغوية واقعة .

والخلاصة ان عمل الارتقاء يبدو في هذه الامثلة تام الحلقات ، بحيث يجعلنا ندرك كيف كانت اللغة تنطور آخذة مأخذاً موزوناً . والأمر التي يمكننا أن نستفيد منها من هذه الامثلة على وجهين :

(١) نسبة ارتقاء القبائل .

(٢) الوقوف على تاريخ القوانين التي خضعت لها اللغة .

أما الاول : فان القبيلة التي تنطق (نيدلان) متخلفة عن التي تنطق بها (نيدلان) والكلمة من حيث هي متخلفة . وكذلك القبيلة التي تقول (زئبر) متخلفة

عن القبيلة التي تنطق بها (زئير) والكلمة من حيث هي وافية الارتقاء ، كاملة التطور .

يبد أنه يبقى قصير وقع فيه الرواة القدامى ، وهو عدم تعيين القبائل التي تنطق بها هكذا على وجوه مختلفة ، الأمر الذي كنا بالاستناد إلى هذا النظر نجعل منه ميزاناً للتقدم القبلي ومقدار التخلف .

وفوائد هذا عدا التاريخ اللغوي ، الوقوف على ان الاختلاف مرجعه إلى عمل التطور ، وليس إلى الافراد اللغوي مما كان يتوهم معه وجود لغات في الجزيرة ، تفعل كل لغة منها على حدة ، بينما الآن يتجه النظر إلى أن اللغة خضعت لظروف واحدة ، وتطورات متساوقة ، واتجاهات متقارب كثيراً وتتخلف أحياناً .
وأما الثاني : فالذي يستتج أمور .

(١) ان قانون منع الانتقال من الكسر إلى الضم أقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية .

(٢) ان ابدال حرف اللين بالهمزة تخلصاً من الصوتية . وليد الضرورة . وهو متأخر عن قانون منع الانتقال المذكور
(٣) ان قانون الاتباع بالحركة متأخر جداً .

وأرى بأنك ستقدر هذا الأخذ قدوه ، وترى فيه ما هو خليق بالعناية باللغة ، وخصوصاً حينما نقيض كذلك على أكثر الاختلافات في اللغة .

أمثلة تطور الاعمال :

قال العرب (عَوِيَّة) و (كَيَّ) و (سَبَق) بالاشمام إلى الضم و (سَبَق) بالكسرة و (صَوَمَة) و (صَامَة) .

أقدم هذه الامثلة (عَوِيَّة) فهي متخلفة تخلفاً عقب بانفصالات طويلة ، مما يدعو بقاؤها إلى التساؤل الشديد . وتقدير الظروف التي حفظتها في وجودها الأقدم عسير . على ان للباحث أن يذهب مع الاحتمال مذاهب متباينة ، ولكن ليس من شأننا الآن بيان أسباب بقائها . ويأتي بعدها في التخلف (سَبَق) بالاشمام إلى الضم ،

وذلك لأنه يحتفظ بعمل ارتقائي أولي ، تقوم فيه مغالبة شديدة تنتهي في المنطق العربي إلى الكسر المحض . وعليه فالاشتمام في مثله ليس كما توهم (عبدالقاهر الجرجاني) في باب مخارج الحروف من شرح كتاب الايضاح ، من انه حركة كانت في اللسان العربي ، وانما الاشتمام انتقال وتطور لم يتم أو يتكامل . ومعناه ان (سيق) أصلها (سَوِق) فاتبعت الواو للحركة التي هي الكسرة قلبت ياء ، وفي نطق الضمة قبل الياء مع خفة التكلم اشتمام بلا ريب .

ومن ثم يظهر لك أن الاشتمام ، اعلال بين ايدي التطور ثم في اتباع حركة القاف الياء فلم يتم الاعلال كما يتوهم دفعة واحدة ، بل عاش في أطوار من الترقى بحسب الدوافع الفاعلة ، فإذا كان المثل خاضعاً لاكثر من عمل ، فمعني هذا انه عاش في اكثر من دور ، فمثلاً (سيق) مرت في ثلاثة ادوار حتى بلغت ما هي عليه ، قال ما نطق بها (سَوِق) ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقبل (سَيِق) ثم اعلت باتباع حركة الفاء لحركة العين فقبل (سِيِق) . وعليه استغرت اذ لا مطلب وراء ما وقعت عنده ، ولا يستبعد شيء مما نجح به ، بل لا مجال للاستبعاد فان حفظ العربية لعهدا حرفين ^(١) من الممثل بالواو في صيغة (مفعول) ثبتت لها هذه الظاهرة ، وهما (مدووف . مصوون) وكثيراً من الممثل بالياء في لغة تميم نحو (مكبول ومبيوع ومخيوط ومصبود) وايضاً ^(٢) مقودة في مقادة ومثوبة في مثابة ومنومة ومطية ومهيج . دليل واضح على ما تقترضه افتراضاً يصور الواقع في غير تنكب .

ويجبي بعدها (صامة في صومة) وهذه غاية جاءت دونها العربية المحررة ، وارتقاء فعدت اللغة عنه ، وذلك لان مثل (صومة) يعتبر في العربية الشائعة كامل الاعلال تام التهذيب ، فجبي (صامة) فيها . ارتقاء جديد بدأ ووقف دون أن يؤثر أثراً الا قليلاً . والذي يستتج من هذا امور .

(١) ان المثل كان على التصحيح في اقدم عهود اللغة . لا كما ظن النحاة من ان ما قبل الاعلال افتراض تعليمي

(١) راجع خاتمة المصباح ص ١٠٩٠

(٢) راجع الضرائر ص ١٣ والمصائص لابن جني ومقدمة المبهج له .

- (٢) ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .
 (٣) ان الاشياء الى الضم اعلال اولي وليس بمحركة زائدة اميتت .
 (٤) ان الاتباع يعمل في الاعلال على التاسب ولو لادني ملابسة .

امثلة تطور الالفعل :

قال العرب (دَرَاكَ) و (هَيْهَاتَ) و (يَرَاعَ) و (يَنْبُوعَ) و (وَلِهَ يُوْهَلِ)
 و (وَثِقَ يَثِقُ) . .

نظن بان اقدم هذه الكلمات التي تأتلف منها الامثلة ، في سلم الارتفاع (دراك)
 وهي في نظرنا تعبر عن فصل الامر في أقصى ما كانت العربية ملفولية ، ولا يتألف
 ما صرحت به الجماعة من انها اسم فعل أمر أو خالفة ، لان ملحظهم منصب على اعتبارها
 الآن في اللغة الشاهدة ولا ريب في أنها بهذا النظر كذلك ، أعني ليست جارية على
 مذهب فعل الأمر وصورته ، وان كان لها دلالة ومعناه ، ولما كانت كذلك ظن الجماعة
 ظناً قريباً بأنها اسماء الأفعال ، خصوصاً وهم لا يفرضون للعربية تطوراً ينتظم في هذا
 التفاوت ، ولو مثلوا عن سر وجودها لاصمتوا عن الجواب الجازم ، اذ كانت مهمتهم
 قائمة على جمع أكثر ما يمكن جمعه وفهمه أي أخذ صفة عامة له دون ما تعليل ولا تحليل .
 وأما اذا اعتمدنا هذا النظر الذي نأخذ به ، رأيت الجواب سهلاً مواتياً في غير تكلفة
 لا غبة بل جارياً مجري طبيعة كل شيء ، حين لا يكون شيئاً سوى أن هذه الكلمة
 وامثالها ، بقايا تمثل الفعل الأمري قبل أن يتهدب تمام التهذيب على الشكل الذي
 انتهت به العربية . وكذلك (هيهات) و (وَيْ) و بقيت اسماء الأفعال . ويجيء
 بعدها (يراع) و (ينبوع) الحرفان اللذان يعبران عن صورة الأفعال في العهد
 الصوتي ، (فيراع) فعل ماضي متخلف و (ينبوع) فعل مضارع متخلف أيضاً ،
 ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان ، مما يدل على أن
 ترتيب الأفعال على وضع مذهب ، سبق تمام التحلل من الصوتية .

ولكن بقيت الاختلافات بين أبواب الماضي والمضارع ، ونحن ظننا وابدنا هذا
 الفن ، بأن هذه الأبواب أيضاً اثرية ، والواقع أن اختلافها كان له مفهوم في طبع

في لغة ووثق يثق وورع يرع وورم يرم وورث يرث ووري الزند يري في لغة وولي
يلي ووعم يعم بمعنى نعم ووري المنخ يري اذا اكتنز (ويزيدنا في موضع (١) آخر
(بان كسر المضارع في (فَعَلَ) لغة عليا مضر والفتح لغة سفلاها) .

هاتان العبارتان نسقط فيهما على تصديق لكل ما رأينا وجثا به ، وبيانه أن
قوله كل ما هو من باب (فَعَلَ) فمضارعه من (يفعل) عند عليا مضر ، ومن (يفعل)
عند سفلاها ، ووغر واخواتها في منطق جمهور العرب بفتح المضارع وفي لغة عقيل بالاكسر
وشذ اي قل في منطق العرب (ومق) واخواتها ثم قوله (على القياس) ، ينشر تحت
نظرنا تسلسلا صحيحا للارتقاء المفروض .

والذي يستنتج من هذا أمور .

(١) أن الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور إميت وآخرها
ارتقاء الأمر ، ثم استقر في أنه يتبع المضارع .

(٢) أن تهذيب الأفعال سبق التحلل من الصوتية .

(٣) أن توحيد أبواب الأفعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

(٤) أن الاعلال متأخر في الطبع العربي عن توحيد أبواب الأفعال ، ويكون
أيضا آخر أعمال التطور فيما وقع فيه .

امثلة تطور اسم الفاعل

إذا أخذت اسم الفاعل وصيغه ، ترى الجماعة على اختلاف وتوزع في أي صيغة
قياسية ، فما استقر عندهم الرأي على شيء ، وإنما بقي الخلاف كما بدأ بالغا مبالغه فابن
مالك وابن الحاجب يذهبان إلى مجيئه من الفعل مطلقا ، وخالف ابن عصفور فيما كان
على (فَعَلَ وفَعِل) الخ (٢) .

وربما استطعت أن تدرس في هذا الاختلاف كيف كانت دراسة العربية عند
الجمهرة وكيف بلغت عند البعض على وجه الدقة وإن كان لم يظهر على وجه التحليل

(١) راجع المصباح ص ١٠٥٩

(٢) راجعه مبسوطا في خاتمة المصباح ج ٢ ص ١٠٦٦

الصحيح . وأما رأينا فيه فقد أبديناه بصورة جلية في بحث الهمزة الذي خرجنا منه باستواء فاعل وفعل وفعل وفعل في أصل الدلالة ، وإنها ارتقاآت عن (فاعيل) المئات ، قصد ببعضها التوزيع وبالبعض الآخر الأمانة . ومن هذا ترى أن لامي معنى لاختلاف الأولين لأنك بهذا الاعتبار تعلم أنها تطورات تفيد إفادة واحدة ، وقد قصد العربي أن يعرض بها على كل المواد في اللغة ولكن حال دون ذلك ، ماينا من أسباب مبارحة الجزيرة ، وانتقال اللغة انتقالا حرجا على أيدي النحويين ، وهذا الأمر أعني أمر الاكتفاء والاستغناء في اللغات ، لاسبيل إلى الطمن فيه فقد قدره اللغويون الاولون أيضا فيما اتضح لهم ، قالوا في المصدر من فعل المضعف أن العرب استغنوا في بعضه بأسماء وقعت موقع المصادر كما في وصاة مكان توصية وزكاة مكان تزكية ، وصلاة مكان تصلية . وإذا اتضح لك هذا الأمر ، علمت أن لاقائدة أبدا لما أطلوا به في بحث اسم الفاعل من الثلاثي المجرد . لأن الخلاف قائم على اعتبار خاطي ، والذي ينبغي اعتماده في هذا المقام هو أن هذه الأوزان تتوافق في العربية الأثرية على معان واحدة ، وان ما يدولنا فيها من وجه للخلاف فقد جاء من عدم تحقق وجه الوضع عليها ، وأما ورودها من مواد خاصة فقد كان بفعل التناقص المستمر . وجملة الموضوع أن العربي قصد أن يطرد زنة (فاعل) في كل ثلاثي ، مجرد من غير نظر إلى الأبواب .

امسولة تطور الصوتية :

يستوعب فراغا عظيما من العربية ، الاختلاف القائم على الورد بأحرف المد أو بحركات من جنسها ، ولقد تقدمنا بيان أنها انفصالات وتطورات في الحقيقة ، وليس كما وهم الجماعة في شأنها ، وإنها ناشئة عن اتباع الحركة أو أنها لغات ، لأن نظرم يمتد الحركة أصلا ، والأمثلة على هذا كثيرة جداً نظراً لكثرة المتخلفات في العربية ولناخذ كلمة (نصال) مثلاً ، فمن يقف بالروم ينطق بها بأثر حركة على الشفتين ، ووردت (نِصال) على ما ذكره ابن الأنباري في (أصول اللغة) وأنشد .

(لا عهد لي بنيصالي أصبحت كالشن بالي)

ووردت (نصال) كما هو السائد في اللغة . والمعنى في هذا المثل أن أقدمها تخلفاً

التي تنطقها (نيسال) بالروم لأن الوقف بالروم كما حققنا بقية من الوقف بالواو ، فتخافت في المنطق العربي إلى حد الانحاء إلا في لهجة متخلفة بقي أثره الاشاري فقط عندها ، ويليهما تخلفاً القبائل التي تنطقها (نيسال) واستقرت في المنطق العربي على (نصال) والمفهوم من هذا أمور .

(١) ان الروم بقية من صفة الوقف العمومية .

(٢) أن أحرف المد كانت هي الحركات .

(٣) أن الاعراب سبق تمام التحلل من الصوتية .

هذه جملة من أمثولات اجتهدت بعرضها على وجه فذ ونحو طريف . وهي دراسة في جملتها ، كما تكون الباكورة أول ماتكون ، تجمع إلى الندرة الطرافة والجمال .

وإن تكن أتت في بعضها دون ما يجب من الافاضة والتوسع ، فانها على أي الاعتبار تضع لدرس العربية قاعدة علمية ، لا تتنافى أبداً مع عفو الطبيعة . وفي منهج يبعد كثيراً عن الاسلوب الغيبي ، والطريقة الميتافيزيكية . وهذا النحو من العرض والشرح يبدو أجهل ما يكون حين يتوسع به ، ويدرس على نفسه كل ما مماه العلماء بالضرائر والنوادر وما إلى ذلك .

وهذا التطور الذي أثبتنا أثره على المفردات فقط ، لأننا بحكم الموضوع لا يصح بنا أن نتجاوزها ، ثابت العمل في الاسلوب والمنهج البياني على شتى أوضاعه ومختلف صوره . حتى الشعر لم يفلت في أوزانه من الانصقال به والتكامل على مده . ولقد يتسنى للباحث أن يربط بين محور الشعر العربي القديم ، بحيث يتسق في نشوء تصاعدي صحيح ، وان بقيت بين بعض الحلقات فراغات ، فهي تنظر إلى أبجر أميت ، كما أميت في نظرنا (فاعيل) وبقي ما ينظر اليه .

وكان من نتائج هذا الدرس على الشعر أن انتهت إلى نتيجة خطيرة ، وهي ان البيان العربي ابتداءً نظماً ، وتطور كذلك آخذاً نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما إليه والرجز المرمع الذي منه تحللت الاسجاع ويدل لهذا التحام الترميع الشعري والسجع عند الكهنة الشعراء .

وقبل أن يستوي البيان العربي في النثر القراني ، قام زمناً في الفقرات المثلية

والأسجاع القصيرة ، وعليه فيكون السجع حلقة ما بين الشعر والنثر . وان في القرآن هجرة واضحة عن شتى تطورات النثر ، حتى يكاد يمتنع مع النظم في بعض السور كحل (إنا أعطيناك الكوثر) . ولكن يعود القرآن فيأخذ في مذهب انفرادي ، ينتقل بالبيان العربي على مثل الطفرة ، ويبدو هذا المذهب الجديد واضحاً في سورة المؤمن وفصلت ومحمد والطوال . ومعنى هذا ان القرآن يجمع مختلف صور البيان العربي قبله . ويأتي بها على نحو معجز جداً ، ثم يسوق اسلوباً جديداً لا ينتسب إلى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه الصور الشتى من الأساليب في القرآن ، على مسحة متسامية معجزة ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وليتنبه إلى الفرق بين الروح القرآنية ، والاسلوب القرآني . ودعوانا أن في القرآن (١) صوراً من أساليب شتى ، لا يعني أن روح البيان فيه مختلفة . وهناك فرق شاسع بين أسلوب البيان أي طريقة نظم البيان ، وبين صبغة أو طابع البيان التي تقتبس إلى المعنوية والروح فقط .

فان مقال الشاعر على محور مختلفة لا تنفيه عنه ، هذا واضح جداً ولذلك لا أطلب فيه . وأخرى بنا أن ندرس بيان القرآن على هذا النحو ، لأنه الوثيقة السامية في البيان العربي ، حتى انطبع به على الدوام ، فأشدد الكتاب تطرفاً عنه أشد تمسكاً به على الحقيقة ، لأن البيان غذي القرآن .

والخلاصة أن دعوى التطور ، لا تتجأها نحن فقط بل عرفها الأولون ، والبك ما يقول ابن اسحق فيما نقل (٢) عنه ابن النديم صاحب الفهرست (وان الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي (ص) لأجل القرآن) ومعنى هذه العبارة كما هو صريح منها ، ان العربية كانت خاضعة للتغيرات المستمرة على الدوام ، فهي بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة . وهذا هو الغرض المقصود من التطور الذي نجهده باثباته . ومعنى عزو الامتناع من الزيادة إلى القرآن ، أن القرآن نظم من

(١) بسطنا هذا البحث بتفصيل ، وايضاح في فصل (نثر القرآن) من مقدمة التفجير وسنشرها بعد ما قريب .

(٢) راجع الفهرست لابن النديم ص (٧)

حواشي العربية وأخضعها لقانون يائي ثابت ، وأما ما هو متراوح الفوضى فيها ، وانتاشها بحيوية أخرى جديدة .

على أن ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الجذر ، وقد صرحت به في غير مرة من المقدمة وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية ، للعربية على وجه حرج جداً . فالقرآن^(١) أمات الفوضى ، واللغويون عادوا فأحيوها . ومن شاء أن يدرس أثر التطور في البيان ، فما عليه إلا أن يعم النظر في كتاب (المجاز) للحارث بن المتني المعروف بأبي عبيدة ، ففيه تقع على تطورات مختلفة جداً في هذه الناحية سماها مجازات أي أساليب ، والحق أنها أبعد ما تكون عن معنى التسمية ، وما هي عند البحث إلا تطورات وبقايا من مجازات اقترضت .

تعليق واستنتاج

هذا فصل يدخل فيما مضى الكلام عنه دخول اللازم ، ويترب عليه ترتب النتيجة ، ولكن هو وإن كان كما نصف ، فلا مندوحة من أن نقف عنده وقفة تزيل من خفائه ، وتحيط من غموضه ، فإن فيه ما يمين على البحث في أمر القواعد التي سنتهجها في وضع ما نضع ، وفي تقدير الوضع على صورته الموزونة . وسنأخذ بالكلام فيه على المصادر والأفعال والجموع وتخصيص الموازين ، وسنرى من بعد أن اللغة وقفت دون ما قصد العربي منها ، ولكن وإن تكن كذلك قد قضت الظروف التي صادقتها العربية في تلك المرحلة من السير التطوري ، فقد كان في عمل اللغويين لو تريتوا ، ما يصل المنقطع ويبلغ باللغة الهدف الوضعي المعين لها . ولذا أصبح لازماً على اللغويين اليوم ، أن لا ينوا في هذا الأخذ ، وإن كان لأول أمره مفاجأة محضة ، قد تدعو إلى الدهشة المزوجة بالانكار . ولكن

(١) وذلك لأن القرآن باعتماده لغة قریش ، أمات ماعداها ولكن اللغويين عادوا فأحيوها ونطقوا بها على وجه غير قليل . بل زادوا تملقا بأحياء اللغات الجنوبية وانتابهم بعض الخطأ في جمع العربية فسكتوا عن التنبيه على لغات القبائل وانحرادات الجهات

ما علينا أن يكون الأمر مدهشاً وغريباً إذا كان حقاً وصحيحاً ، وفيه وحده دواء العربية فيما تتخلف عنه أو يظهر وكأنها ضعيفة فيه .

وأرى كل ما يتوصل به إلى الأخذ بشار العربية ، لا يبدو أن يكون كوسائل التخدير التي تنشر راحة وقية جداً ، ليعقبها الألم والشكوى على أشدها شدة وأحرزها عقدة . فما يفعل اللغويون اليوم إلا كما يفعل البائس المتعلل ، يفتن نفسه بأنه أشقى على الغاية وأنهى كل شيء ، وهو لم يبه شيئاً إلا في ظن نفسه . وله عندي شق المماذير ، ما دام قد أفرغ كل الوسع لاعطاء النتيجة المنتظرة منه على أتمها . وما حيلة اللغوي أن يفعل ، واللغة لا تسمح بأكثر مما سمحت لأنها مقيدة بضروب من القيود ما عرقها العربية ، وإنما ألزموها بها رغم أنها قد تهدم اللغة وتتركها ألقاضاً .

وسيلها الحق هو ما تقرره ، ونلج في تقريره ، ومن ثم ندرك أن سعة اللغة إنما ترجع إلى قوانينها الثرة لا غير . ومن بعد لا يبقى مفهوم لقولهم (ليس في كلام العرب) أو لدعوى (السماع) وغير ذلك من أشكال تمسكية لم يفتقروا وجه السرف فيها (أي كذا خلقت) . ونحن عند خلقتنا في أمر تكامل اللغة ، ولتستعرض الوجوه التي يبدو فيها التخلف لتكون في البيئة . ونبدأ بالأفعال لأن حديثها أكثر مفاجئة وأكثر فائدة .

بنظرة شاملة في (الأفعال على الثلاثي) نشهد تفاوتاً عظيماً وعلى مقدار ، وهذا التفاوت بلا ريب يقضي بأمر قد نكون على صدق من شأنه ، وقد نكون متسجلين لا أكثر في التماسات نظرية محضة ، وسواء كان هذا أو ذاك فنحن مطمئنون إلى تقدير أن هذا التفاوت نتيجة لعدم الاستقرار . فإن الثلاثي وليد الأزمان المتباعدة في القدم ، ووليد أدوار الفطرة ، الأمر الذي يجعل كيانه ساذجاً .

ولكن العربي في عهد رقيه ، جنح إلى التنقيح فيها حتى تأخذ سبيل الاستقرار ، كما هو الحال في المزيادات ، غير أنه لم ينته بها على الوجه الأكمل ، فبقيت الأفعال بين متجاذب من دور التنقيح والقديم ، أدى إلى مثار من الاضطراب الواضح . ونظن بأن العربي قصد أن يطرد الأفعال المضارعة على الكسر دون تخلف ودليلاً على هذا شيوع الكسر كحركة أصلية ، فهي في التقاء الساكنين وفي الابتداء

بالساكن تكون على لزوم أو أرجحية . ولقد أدرك الصرفيون هذا ، واختلفوا في أيهما الأصل الباب الأول أو الثاني ، وعلى هذه الملاحظة بنى الاملائيون التقديم قاعدة (الكسر يغلب غيره) ، ورد المحققون الرقع على المجاورة ، حتى اتهم^(١) ابن الشجري في أماليه من اعتمده بعدم المعرفة ، بينما الجر على المجاورة شائع مشهور في الضرورات بلا خلاف فيه ، كما ان الانباع بالكسر كثير في الموازين ، ونادر^(٢) بغيره كما في تنصّب - ضرب من الشجر تألفه الحرباء - ولذا نعتد الكسر اعتماداً لا تردد فيه ، بدليل غلبته في المزيد الذي هو بلا ريب من عمل الادوار الارقى . ولنعط صورة من الاستقرار المفروض في الافعال للايضاح .

(الماضي) يكون على وزن (فَعَلَ) مطلقاً إلا للحاجة معنوية ، فينقل قياماً إلى بابي طرب وكرم .

و (المضارع) يكون على وزن (يَفْعِلُ) مطلقاً إلا للحاجة المذكورة . وهذا في غير الحلقى فيكون من باب فتح مطلقاً ، والأمر ينبع المضارع وعليه فكل ماض بالفتح مطلقاً .

وكل مضارع بالكسر مطلقاً .

وكل حلقى بفتحها مطلقاً .

وما بقي على غير ذلك فأثريات ، وليس معنى هذا انا ندعو إلى خرق حرمة النص فان ما مضت به المعاجم يتعبد به إذا كان محل وفاق ، قلت اختلف فيه فلراجع الكسر .

وكذلك كل اشتقاق مستقبل يلزم هذا السبيل ويتطرد عليه .

والمصادر من الثلاثي بقيت كذلك قلقة في اللغة ، ويدل على هذه الملاحظة أن القلق لا يعدو الثلاثي أيضاً بينما نجد المزيديات على اطراد وغير تخاف إن في المصادر أو في الأفعال ، ولا ريب في أن هذا القلق الذي لا يتجاوز كونه في الثلاثي فقط

(١) راجع الضرائر للألوسي ص ٢٦ .

(٢) راجع سفر السعادة لاسخاوي .

مصادر وأفعالاً ، كان للأسباب التي قدمناها وهي معقولة جداً فإن الثلاثي كان في اللغة بمنزلة التراث القديم . وربما أتينا في بعض بحوث المقدمة بكلام على المصادر مصنفة إلى مصادر متعينة في المصدرية ، وإلى مصادر معنوية (أي تابعة للمعنى) حتى نعرى القواعد من الاضطراب الواقع . وتزيد بظن ان المصدر الميمي كان أشبه بمحاولة من العربي لطرده في الثلاثي على وجه مطلق كما هو الحال في الزيدات .

وكذلك الجموع لم تستقر إلا في قلة من الكلمات ، غير أن العربي أخذ بصورة جدية لأقرارها . ولنعرض مثلاً فيه قدامة وفيه تطور . وهو (دِيَوَان) ووزانه (فَعَال) أخذ بالاعلال . ويؤيد هذا جواب ^(١) أبي عمرو بن العلاء حينما سئل عن ديوان هل ينطق بفتح الدال ، فقال لو جاز هذا لقل في جمعه (دَيَاوِين) فقال خلف الأحمر وكان في مجلسه ، انه سمع شاعراً حميراً يمشد :

عديني أن أزورك أم عمرو دياوين تشق بالمداد

فما حوله أبو عمرو استنكاراً ، وإنما قال ، ان حمير لم يندھا هواء نجد . وهذا يحتمل أن يكون جمعاً قديماً أميت في دور التنقيح بدواوين ، أو جمع قبلي متخلف ، أو هو فعلة من خلف ، وكل هذا غير بعيد وان كنا نميل إلى أنه جمع قبلي ويؤكد رد أبي عمرو .

واليك أمثلة أخرى ^(٢) نحن على يقين من انها قديمة ، لانها جموع لأسماء الأيام والأشهر ، وهي أدخل في التقدير من غيرها في أن تكون كذلك . فقالوا في جمع (سبت) اسم اليوم أسبَت ، سُبُوت ، أسبَات ، أسَابِت ، أمَايِت .

وقالوا في جمع (رمضان) اسم الشهر .

رَمَضَانَات ، أَرْمِضَة ، أَرَامِضَة ، أَرَامِض ، رَمَاضِي ، رَمَاضِيْن ، أَرْمُض ، رَمَضَانُون . الخ

وقد يكون دليلاً على القدامة كثرة صيغ الجموع ، لأن معناه انه لم يتنخل بمحاولة التنقيح .

(١) راجع أدب الكتاب للمولى ص ١٨٧

(٢) راجع أدب الكتاب ص ١٨٥

وبقيت فوضى في ناحية ثانية من اللغة ، وهي الناحية المعنوية فلم تعدد للصيغة دلالة على اطراد ، فتحمل الكلمة معنيين أو معنى مؤلفاً مما تفيد الصيغة والمادة التي منها الاشتقاق .

وليس معالجة هذه الناحية على طرف من السهولة ، بل على العكس صعب جداً ومفيد جداً ، وضروري أن لا تخلو عنها لغة ترمم بسمة الرقي الوضعي ، إذ هي أجلى ظاهرات الرقي المعديدة . وهذا التحديد الميزاني يجعل الوضع الاصطلاحي خاضعاً لعمل آلي ، يوفر عناء الواضع وعناء المستعمل على السواء ، واللغة التي تكون على فوضى منه ، تبقى ضعيفة عن تناول الاشياء ، وإذا تناولتها فلا تكون لها الصيغة القوية المحككة .

على ان العربية مع كل ما ترى فيها من فوضى هذه الناحية ، لا ينكر انها أخذت في سيطرة الاشتقاق وغلبته بهذا النحو ، قاستقرت في موازين لم تعد تستعمل إلا على وجه لا يتخلف عنه دلالة الهيئة ، كما في مفعول ومفعال ومفعلة للآلة وكما في فاعل ومفعول إلى كثير من مثلها . ولربما كان هذا الأمر لا يعني العرب القدماء ، لأنه لم تكن بهم حاجة اليه من جهة عدم شمولهم بحركة علمية ، بيد أنه يعنيننا كثيراً وكثيراً ، فإن بقاء الموازين على فوضاها لا يتناسب مع المفاهيم العلمية الدقيقة ، التي تضطرننا لأن نجعل دلالة لازمة أبداً لهيئة الميزانية . ومن ثم لا يكون عناء الواضع كبيراً كما نرسم للميزان أيضاً صورة عند السامع تكون على مقدار من المعنى .

فعلى الواضع^(١) الجديد ، أن يتوفر على تخصيص الموازين بما يقارب أن يكون جامعاً لشتى المشتقات عليها ، والا لما لم يكن الوضع على هذا اللون فلن يكون فيه غناء ، عدا عن التفاوت الذي يستغرق المقاييس وتبدو معه اللغة على تباينات وعدم تساوق .

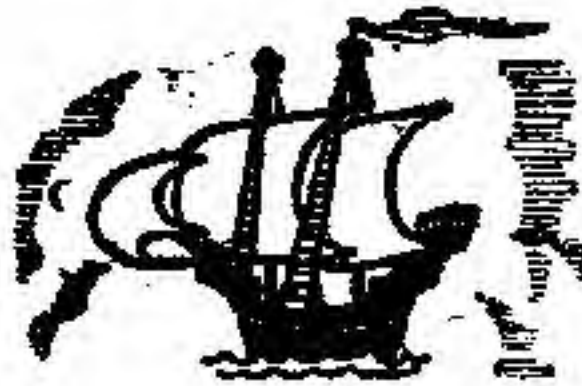
ومن جملة هذا الشرح ، تخرج بأن العربية لم تزل على فوضى من الأفعال والمصادر والجموع والموازين ، ولكن عمل العربي القديم على اقرارها .

(١) وضعنا لأول مرة في كتب الدراسات العربية خصوصيات ثابتة للموازين فراجعها

في المقدمة من ٥٣ الى ٩٦

وكشي . صحيح التقدير ان العربية وقفت فجأة دون ما تمام العمل اللغوي ، ولقد أحس الأولون بهذا وعزوه إلى القرآن واحترامه ، وهذا سبب لا أجده وجهاً صحيحاً ، بل على العكس كان القرآن وسيلة فعالة لتقدم في اللغة والبيان . والحق ان السبب كل السبب هو توزع العرب في الأنحاء ، وتناول اللغة تلامذة المدرسة اللغوية ، التي كان طابعها الجمع فقط ، والوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي إلى تحرير اللغة ، فكان تلامذتها من هذه الناحية محافظين جداً وعرباً أكثر من العرب .

فأي أخذ من هذا الذي ندعو اليه ، هو عود بالعربية إلى سابق نهجها ، واتشالها من بين القيود التي غلت بها ، وانتهاء بالعربية إلى مستقرها الكامل .



القسم الثالث

السماع او ليس في كلام العرب

روي أن سائلاً سأل أبا عمرو بن العلاء ، عن ما لو سمع من العرب شيء ، يخالف لفظه فقال له (اسمي ما وافقني قياساً وما خالفني لغات) .

هذه عبارة على اقتضاها حتى نجبي ، في كلمات ، وعلى اختصارها حتى تقع في حروف ، تشرح غامض الموضوع ، ككتاب واسع المادة . وأظنها ظاهرة بنفسها حتى لا تحتاج الى تعليق . ولكن ما نحن في حاجة إلى فهمه ، هو السبب الذي حدى بأبي عمرو ومدرسته ، إلى أخذ العربية بهذا النوع من التقييد ، والضرب من التحكم . ولعل السبب قد أتى مشروحاً بالكلمة نفسها أو هي تشرحه بالفعل ، وتدل عليه بصراحة كبرى لا خفاء فيها ولا غموض ، وهو لا شيء أكثر من أن السماع أقرب سبيل إلى ضبط العربية ، حين يخفى ما يمكن أن يكون علة جامعة .

وهذا الأخذ طبعي في أول الأمر بالدرس ، ثم يتشكل على وجه آخر . ولكن المدرسة اللغوية انتهت بما ابتدأت به ، من اصول لم تجاوز رسومها إلا على وجه الندرة . وقامت أسباب عززت بعض هذه الأصول ، حتى عادت من العربية كما نكون العربية من نفسها ، ومن هذا القليل السماع فقد اعتبر من أجل سبب ساذج بسيط ، لا يعدو كونه أخصر طريق إلى الحصر ، ثم اشتط اللغويون في اعتباره إلى حد كبير ، أخذ عليهم الطريق الحقيقي لدرس العربية على وجه صحيح .

فكان ما اتخذوه الأول وسيلة إلى الضبط في فائضة الدرس ، علة الفوضى في خاتمة . والأسباب التي توفرت عند متأخرة اللغويين لتمسك بالسماع قهري في أمور .

(١) أنه أقرب طريق للحصر والشرح .

(٢) تشبههم بنظرية التوقيف في اللغات .

(٣) الخوف على سلامة اللغة أي إحاطتها دون أن تبث بها الاهواء وتنال بالفوضى حتى تبعد بها عن صيغتها الاولى .

(٤) خدمة البيان القرآني في اعتقادهم . فانهم ذهبوا مع الظن بأن اطلاق القياس في العربية يبعد بها عن لغة القرآن .

(٥) الانانية العلمية أو الارستقراطية العلمية فان أهل الاختصاص من اللغويين اذا تسامحوا بالقياس لم يعد لهم المقام السامي الذي يتمتعون به مما جعلهم يتشددون بالسمع إذ كان السبب الوحيد الذي يحفظ لهم هذه الرعاية المهددة إذا أباحوا للناس القياس .

هذه في نظري الأسباب الهامة التي جعلت اللغويين يلحون في الاعتداد بالسمع إلى حد منكر ومتعدي . وما أخذوا فيه بالاعتدال كما أخذ الأولون منهم ، بل أفرطوا في تحكيمه حتى انتهى بتقييد العربية على الوجه الذي نشكو منه ونألم له . وأدى بالعربية إلى الجمود والتحجر والالتواء المطلق .

والعجب أن يكون السماع الذي اتخذ سبباً للعربية من أن يعيب بها مَهْد إلى العبث بالكذب والاختلاق ، فان أكبر ما حمل اللغوي على الاختلاق هو السماع ، ضرورة ما كان من عدم الاطمئنان إلا إلى الشاهد والنص والرواية . فكان إذا وضح له شيء من أسرار العربية يجد نفسه مضطراً ليق الناس بما انتهى إليه ، وليسمع عنه ما يقول ، ان يدّرع بشاهد أو بشواهد وربما بقصيدة أو بقصائد .

هذا شيء نعرف من نوادره كثيراً حتى أكون في غنية عن ايراد أمثلة مما حفظت كتب الأدب والتراجم . والذي يلفت حقيقة من أمر هذه الشواهد أنها لا تحفظ في الغالب الكثير إلا شطراً أو شطرين ، ولو طلبت لسطر آخر ولبيت مثلاً لأعياءك الطلب كأن الشطر لقطة الطريق والبيت يضة المقر .

ولكن ما لا شك فيه أن إباحة القياس للعفو ، قد يعمل على الاختلاف الكبير في الوضع والاصطلاح ومذهب البيان وما إلى ذلك . مما يضطر معه إلى إبقاء عمل السماع في المحيط اللغوي ولكن على معنى آخر غير معناه . فلسنا نعني به الورود عن العرب ، وإنما نعني به الإباحة للواضع فقط (كالعرف الشامل أو المجامع) فنثلاً قلب

الماء زاباً كما في زمك وهمك ، لا يجوز أن يترك للمستعمل يجري فيه على هواه دون نواضع أو اصطلاح ، وكذلك فيما بقي من القوانين النادرة .

وهنا نأتي على معنى القياس عندنا أيضاً . ونعني به وقوف المستعمل عند وضع الواضع والتصرف بالمادة على حسب القاتون التحول في الاشتقاق والتصرف ، والواضع هو (العرف الشامل والمجامع والعالم) بعد تصحيح الوضع على مقتضى الاستعداد الحرفي وقواعد الاشتقاق . وعليه فمفهوما في أحصر عبارة .

السمع : الإباحة للواضع ، على قانون العرية في أشیائها النادرة .

القياس : الإباحة للمستعمل ، على قانون التصريف والاشتقاق .

وما وراء ذلك من القياس والسمع عبث مطلق وتلاعب حقيقي ، ولما لم يكن للسمع مفهوم صحيح له اعتباره . اختلف العلماء على الدوام في تطبيقه ، فما يراه بعضهم سماعاً مجبوراً ، يراه البعض الآخر قياساً سائغاً . وهذا شيء عام في المفردات والضوابط ، وأقرب مثل أسوقه كلمة (اقتطف) التي ردها كثير من اللغويين بدعوى عدم السماع والحفظ ، بينما قبلها آخرون واستشهد بأنها وقعت عند الأعشى وجري . فإن السماع مبني على الحفظ وما لم يحفظ أكثر مما حفظ كما قال أبو عمرو بن العلاء . مما يكون سائغاً معه أن قبل ما يؤيده القياس وكفى . على أن اعتماد السماع المشدد جعل اللغويين يتحلون لكلهم يصححونها كما فعل الشهاب في شرح درة القواص ، مما كان تلاعباً محضاً وعجباً منكراً سبب إليه سماع دعوى السماع .

الثلاثي

سبق منا القول بأن الثلاثي وحدة كلم العرية ، وعليه استقرت في الثروة البالغة عظماً واتساعاً .

وعلى ملاحظة الثلاثي بنى اللغويون أمجاسهم في المعاجم والقواميس رغم اختلاف الاصطلاح ، وما كانوا يترددون في هذا النظر ، ومن ثم قال ^(١) الميداني (والاسم المتمكن لا يكون على أقل من ثلاثة أحرف ، حرف يتدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وحرف

(١) راجع نزهة الطرف ص (٧)

يفرق به بين الابتداء والوقف) ولتشبههم بهذا الرأي ردوا كل مزيد إلى ثلاثين ،
وتكلفوا في ذلك عرق القربة كما يقولون ، وبالغوا في هذا التكلف حتى ألفوا شأنه ،
وظنوه مقياساً لغوياً لا اختلاف عليه أو ليس مما قد يختلف فيه ، وعليه وحده بنى
ابن فارس الكلام في كتابه (مقاييس اللغة) وأكده أيضاً في كتابه (الصاحبي) ونوه
بهذا الصنيع قتل^(١) (قول العرب للرجل الشديد (ضبط) من (ضبط وضبر)
(مصطلق) من (صمل وصلق) وفي (صلدم) من (صلد وصدم) الخ .

وكيفما كانت النتائج المركبة التي اتبنت على اعتبار الثلاثي ، فلا شك في أنهم على
حق من هذا الاعتبار المذكور . فتحن إذن على وفاق معهم في أمر الثلاثي ، بل نشفع
رأيهم بتأكيد لا تردد فيه ، على ما في هذا من وضاعة لا تستدعي خلافاً أو منازعة .
ولربما انحصر خلافاً معهم في وجهين :

(١) كيف نشأ الثلاثي

(٢) ليست كل مادة من الثلاثي وحدة على حدة ، بل هي طرف من وحدة
تستوي في دائرة الثلاثي .

عند هذين الوجهين يكون اختلافنا واللغويين القدماء ، وليس هذا بالأمر الذي
لا يؤبه له من حيث ترتيب النتائج ، بل له شأنه وسيظهر لك كيف هو جدير بالبحث
المشيع وحري بالدرس المستفيض .

وينبغي أن نتكلم هنا في بحث القواعد بتحر وأناة بالغين ، وأن لا نرسل الكلام
إرسالاً يأتي معه ضعيفاً ، شأن كل مرسل على عواهنه .

أما الأول : وهو وجه كيف نشأ الثلاثي ، فحديثنا عنه الآن ليس على معنى ان
الجماعة الاولى في شعبة الدرس اللغوي ، وقفت عند الثلاثي على تقدير انفصاله عن
عهد ثنائي لون العربية بلون يشبه أن يكون طابعاً عاماً ، كلا فقد قدمنا بأن الجماعة
اللغوية لم تكن ملاحظتها نشوئية ، وإنما اتخذت اعتماد الثنائي وملاحظته لخدمة الضبط
والحصر ، ولتحقيق الاشتقاق فقط .

وكيفما كان الأمر ، فحديثنا الآن عن تأكيده ان الثلاثي نشأ عن الثنائي ، وان كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً ، وهذه الثلاثيات التي نقلها هي المعلات . وهذه المعلات المحفوظة في شتى المعاجم ، يجب أن نتخذها عدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجهه ، لأنها الأصل الذي انفصل عنه ، ولم يكن عمل التصحيح إلا ضرباً من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية ، قالوا ي منها ينظر إلى الضمة الممدودة ، والياء إلى الكسرة كذلك . ومن ثم يتأيد ما ذهبنا إليه ، من ان هذه الحركات تراد ^(١) لمان بعينها في العهد الصوتي ، ثم تصححت كل حركة بحرف من جنسها بعد أن اتخذت العربية وحدتها في الثلاثي .

وعليه فهذه المعلات ثنائيات مصححة ، وهنا يلزمنا أن نتكلم عن ضروب التصحيح التي لجأ إليها العربي وهي عند نظرنا تقع في امور .

(١) جعل الصوت حرفاً . وهذا السبب هو الذي ادى الى الاحتفاظ بالمعلات رغم أنها ثنائية .

(٢) التضعيف . والمثل عليه (بصا) نقل الى (بص) بخطف الحركة وتضعيف الحرف والأخذ بهذا النحو يرجع الى عهد ارقى من الأول في اللفظية ، فان الأل تصحيح بالتحويل وهذا تصحيح بالحذف .

(٣) ابدال الهمزة به . كما في (يش) نقل الى (أش) .

(١) ولا يكون قامضاً بعد هذا وجه اختلاف المعنى مع عدم اختلاف المادة الا بالواو والياء فقط كما في (دحوة ودحية) لان اختلاف حرف الصوت يغير في المعنى ومن ثم نجد الافعال مختلف معانيها باختلاف الابواب لانه يشتر الى هذا الملحظ كان العربي إذا أراد تأليف الكلمة عمد الى حرف ما على صوت بعينه ليبدل على معناه فإذا غير الصوت تغير المعنى على مقدار من خصوصية الصوت . وبالاخص إذا علمت أن الثلاثي في العربية جملة مؤلفة من ثلاث كلمات في طبع العربي القديم وبارتقاء اللفظة تناسوا اختلاف الدلالة باختلاف الصوت واستقرت هذه الالفاظ في معانيها على أشكالها من الاختلاف الأثري . وهذا هو السر في تعدد أبواب الثلاثي ولقد اعترضني باحث لغوي بالافعال التي حفظ ضبطها في المعاجم من بابين كنعج وفسد في غير اختلاف معنوي وكان أن أجبت بأن عدم حفظ الخصوصية لا ينقيا ولقد يمكن تعطيل عدم الخصوصية بتناسي العرب لها أو بحذفها على الرواة ولقد ثبت ان الرواة اعتمدوا في تعيين المعاني على المفهوم من الشعر أو النثر ومن ثم جاءت كلمات كثيرة على غير تحرير

هذه هي الوسائل التي نظن أن العربي تذرع بها لتصحيح الصوتي ، وهي تختلف في مقدار أثرها على اللغة ، ولكن وإن اختلفت شيوعاً واختصاصاً فقد كان لجميعها تأثير واضح . ونستطيع أن نقول من بعد هذا ، أن مطلق الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورة التي عليها المجلات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان أن محله ^(١) الوسط ، ولكن لم نخض هناك في مقابلات على الظن المذكور ، نظراً إلى أن مهمتنا إذ ذاك التاريخ حسب . ولناخذ في سرد امثلة ومقابلتها ، حتى نخرج منها بترجيح

(١) لا انكر ان الاخذ الاحتمالي في ان يكون المزيد على الثنائي . الفاء او العين او اللام الذي قرره دارسو اللغة من قبل . قد يبدو على بعض الكتابات ضرورياً حين لا يظهر تمام المعنى الجامع في الحشو ولكن مع ذلك لا ارى في هذا ما يهدم اعتبار النظرية كني . يشمل اللغة في اكبر عدد من المواد المحفوظة وهذا وحده كاف في التعويل على نظرية زيادة الحشو فان النظريات المعروفة في صدر التاريخ وما اليه تركز على المشاهدات الاكثر انتشاراً . هذا من وجه ومن وجه آخر يبدو ما انتهى اليه الجماعة لا يجاوز ان يكون احتمالاً لا يصح ان يكون نتيجة درس تعتمد على ان مما يجب التنبيه اليه هو ان المدليل المعجمية المحفوظة ليست هي المعاني الحقيقية احياناً بل تأصلت بعد نقل او تجاوز وليست هي كل المعاني فاما ضاع اكثر مما حفظ ومن وراء كل هذا يباح في نزعة العلم ان تعتمد نظرية الزيادة حشوا بدون تردد في دراستنا اللغوية التاريخية . وطريقة تطبيق النظرية ان تتناول المادة بعد تجريد حرف الوسط وتتناول معها المجلات التي وقع فيها هذان الحرفان على ترتيبهما فاذا اردنا ان ندرس (شح) وجب لنا تحقيق معناها تماماً ان ناخذ معها (شحي شوح وشح) لأن هذه العلات جميعها ثنائية صوتية صححت بحمل الحركة حرفاً والحركة تراوحت بين ان تكون عند الاول والوسط والآخر فنشأ بعد التصحيح المثال والأجوف والناقص وكما سبق ونبهنا ان لهذه الحركات معاناً في العربية الساذجة فلا عجب اذا وجدنا هذا التباعد المعنوي بين المثال والأجوف والناقص مع كونها من ثنائي حرفي واحد ويترتب على هذا انها اذا أخذت بالتضخيف فبنشأ عنها جميعها ثنائي واحد وهو (شح) ومن ثم تنتظم له جريدة من المعاني المتخالفة وهذا الرد الى المل هو الذي يضمن لنا توزيع المعاني الى الجذور الاولى على وجه حقيقي وقد بقي شيء آخر يجدر التنبيه عليه وهو أن تعيين المعنى الاصل أو الجامع المعنوي فيه عبر غير قليل ولكن بين أيدينا ظاهرة قد تعين بعض الشيء وهي ثبوت المعنى الواحد في التطورات فلجذر الثنائي الواحد وهي المل مثل (وشح شوح شحي شحي) والمهموز مثل (أشح شحاً) والمضغف الثنائي مثل (شح) والثنائي المكرر مثل (شحشح) فانها ثبوتاً بان تكشف عن المعنى الاصل . هذا ما بداني حقيقياً واطنه كذلك لا شك فيه ولكنه يحتاج الى الاثارة بالدرس والى عدم التطلع بالانكار والتفنيد والتروي بالمقابلة . فان المسألة لغوية تستند على ما بين أيدينا من (تقليدات لغوية) تشبه كثيراً التقليد المؤرخ والحفري وتبعد اشد البعد عن الهكاكة العقلية المحضة . فهي تعتمد المقارنة بين المواد ومعانيها وادراك وجه التعاضد فيها .

لاحد وجهي التقدير ، وان كنا نقرر أن تقديرهم قد يتبادر لأول وهلة وهو علامة الحقيقة ، ولكن لا يستقيم الى النهاية بل يتخلف كثيراً . والسرف في هذه الظاهرة هو ما قدمنا من أنه راجع الى دلالة الحروف المجتمعة ، فان لها دلالة مقاربة ومتفاهة . ومن ثم اشتهر الاولون ولكن العلامة الفارقة دائماً في تحرير التقديرات ترجع الى ما يتم عليها المعنى . وسيظهر هذا في عرض الامثلة ومقارنتها .

(عَـبَل) قال اصحاب المعاجم في معناها (الضخم من كل شيء) وكأنه وحدة المعاني في المسادة فعلى منهج الأولين ترد الى (عب) زيدت عليه اللام ، وعلى منهجنا ترد الى (على) زيدت عليه الباء ، والوجه في ترجيح ما نذهب اليه ، أن (عل) من مشتقاتها ما يدل هذه الدلالة ، قالوا (العل) ذكر المعزى الضخم العظيم وأيضاً القراد الضخم . وفيه نجد تمام معنى (عبل) بينما أخص ما استعملت فيه (عب) يدل على تدافع السائل فقيل بحر عباب وهكذا .

وأنت تجد أن وجه الملاحظة يقطع النظر عن الاستعمال في السائل ، التدافع لا التضخم كما هو ظاهر .

وخذه في الزيادات . فعند الأولين (عبث وعبث الخ) مما لا يظهر فيها جامع إلا على تحمل بينما نجد فيما ترجع اليه (عبث) على رأينا . وحدة معناها بدون قصد وهو (عث) ومن مشتقاتها (العثاث) الترنم في الغناء و (العثة) المرأة البذيئة . والزيادات عندنا (عتل وعتل الخ) وانظر كيف نجد بينها جامعاً معنوياً ظاهراً قالوا (العتلة) الهراوة الغليظة والعصا الضخمة من حديد وقالوا (العتل) الغليظ للضخم إلى غير ذلك مما يظهر بالتبع ويتضح بالاستقراء آخذاً هذه الطريقة بالشكلية . فنحن نخالفهم في هذا ونلحف في المخالفة ، وأرانا على حق في هذا الخلاف أو هو كل الحق والصدق ، وكيفما كان فانه لا يعنينا في العمل اللغوي أبداً ، لأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثي ، وانما هو يمت إلى التاريخ اللغوي في التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة .

وأما الثاني من وجه خلافتنا مع الأقدمين . فهو في أن وحدة الثلاثي المقاليب السنة ، وليست وحدته المادة الواحدة . وهذا ما نسميه (بالقلب) ويسمونه

بالاشتقاق الكبير وأما القلب عندهم ، فيعنون منه غير هذا . يعنون به (الترادف في صورة القلب) كجذب وجذب ويأس وأيس فكلاهما بمعنى واحد . وهم يرجعون سببه إلى تزامن حروف الكلمة على اللسان وتسايقها . وعلة أبو عبيد البكري بسبب ذهني ، ومن هنا فرقوا بينه وبين ما مرجع الترادف فيه إلى اختلاف اللغات كما به عليه ابن سيده في مقدمة المختص وناقشهم في جذب وجذب بأنها من القلب لأنها عند لغتان .

ومن ثم لا يكون للقلب عندهم عمل في تكثير اللغة إلا في كلمات الترادف فقط على أنه كشيء غير مقصود أيضاً . ومن هذا نعرف أن صاحب الفلسفة اللغوية لم يتحرر عنده معنى القلب في اصطلاح الاقدمين إذ لم يفرق بين القلب واللغة قال (١) (القلب عبارة عن تقديم وتأخير أحد الحروف من اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغيير طفيف وهو أقل وروداً من الابدال) فبإدراكه تشعب بقصده وأنه يكون على تغيير في المعنى وليس بصحيح ، ولا بأس من تحرير مفهوم هذا الاصطلاح والاختلاف في وقوعه .

ذهب الكوفيون إلى وقوعه في الأفعال وسواها ككل ولبك وطامس وطاسم ، ورد البصريون في الأفعال والمصادر ورأوه لغة ، وأثبتوه في مشتقات المعاني كما في جرف هار وهائر . ومن هذين المذهبين نشأ مذهب آخر إسندي لالي وهو ما حكاه السخاوي في شرح المفصل بقوله (إذا قلبوا لم يجعلوا الفرع مصدراً لتلا يتبس بالأصل ويقتصر على مصدر الأصل ليكون شاهداً للاتصال نحو يئس يأماً وأيس مقلوب منه ولا مصدر له فإذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل وليس بمقلوب نحو جذب وجذب وأهل اللغة يقولون إن ذلك كله مقلوب (٢))

وعبارة السخاوي تفيد أن الخلاف بين الكوفيين والبصريين اشتهر بمذهب أهل اللغة وبأن المذهب الثالث اشتهر بمذهب النحاة وهو ارتقاء متأخر . والقلب على هذا المعنى نسميه (بالقلب اللفظي) وهو غير واقع عندنا في اللهجة

(١) راجع الفلسفة اللغوية ص (٢٠) .

(٢) راجع المزهج ١ ص ٢٨٥ .

الواحدة إلا على قلة لا يمكن تحديدها واكثر منه بين الالهجات . وأما هو فليس له عمل
أبدأ في النمو اللغوي والتزيد الكلمي ، وهذه الكثرة التي بسوقونها ترجع في رأينا إلى
ما قبل عهد الاستقرار ، وتنظر إلى عهود كانت فيها كاملة الحياة ، ثم تناقصها المد
الزمني حتى لم تبق منها إلا بقايا داخل الرواة في بعض منها لعدم التميز ، وداخل
العرب في البعض الآخر اكتفاء بدلالة المادة العتيقة . فثلاً وجود (يأس وأيس)
يدل على أن أيس أثرية امينت مشتقاتها لأنه لم يدخلها عمل الاعلال .

وبالجملة فنحن نوافق ابن السكيت في دعوى ابطال القلب بهذا المعنى إلا في قلة
ترجع إلى لهجات القبائل واختلافها ويمكن تحديدها . وهذا القلب اللفظي بديهي انه
غير القلب الذي نعني لأن ما تقصده هو ما يلاقي الاشتقاق الكبير في عبارات الاولين
ولنأت بين يدي الموضوع بذلك تاريخية عن اقتراح هذه الفكرة عند علماء الاشتقاق
القدامى .

تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير

يمكننا أن نؤرخ فكرة الاشتقاق التحقيقي (بالخليل بن احمد) وهو بهذا رأس
طبقة كان يتوسع عملها بين حين وآخر منفعلاً بالعقيلة التي تخدمه ولون الثقافة السائدة .
ولا شك في أن للثقافة العامة أثرها من حيث توجيه شتى البحوث ، ولقد ظهر هنا
في بحث اللغة فنسقه عند الطبقة التي يجي على رأسها (ابو علي الفارسي) وتلميذه له
طابع فلسفي من الطابع السائد لذلك العصر . ومهما يكن من آثار من تعاقبوا في طبقة
الخليل لم يجاوزوا خطته واعلامه ، بل تقول انهم لم يتحققوها كما يجب وأيضاً تقول في
غير مبالغة، لم يكن عمل الطبقة الثانية إلا شرحاً لما بدأه الخليل ، فهو أول من تبين الوحدة
بين المقاليب وتناولها بالدرس ، وزاد بأن أراد حصر ما في العربية من الثلاثي على
ضوئها بعد تحقق أن للكلمة الثلاثية ستة مقاليب فيها المهمل والمستعمل . ومن ثم كان
عمله خطيراً جداً ولا يفهم من هذا أنه قصد الاستفادة من المهملات بعد عمل نظامي

عليها ، وإنما كان جهده فيها عملاً تحقيقياً فقط . ولقد توسع على فكرته (مخبرة النديم) في كتابه^(١) جامع النطق الذي شرحه الزجاج .

ولا توسع في ذكر عمل هذه الطبقة ، لما ان يحتمل وان انجبه هذا الاتجاه غير انه بقي محافظاً جداً ومنطبعاً بالرواية ، ولكن لا ينكر أن إنتاج هذه الطبقة في الاشتقاق الصغير كان بالفاً جداً وقوياً أيضاً ، وهو يعادل إنتاج الطبقة الثانية في الاشتقاق الكبير التي يجي . على رأسها الفارسي وتلميذه ابن جني وان كان تلميذه هو وحده صاحب الثروة الطائلة والمتنوع الواسع الذي نسبته إلى طبقته . ومع ان ابن جني اعتمد هذا الاشتقاق وبالغ في اعتماده لم يكن على اقتناع من ان عمل العربي كان آخذاً هذه الصورة قال^(٢) السيوطي (وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح وكان شيخه الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب)

والطبقة الثالثة تبدأ بالعلامة الحاتمي وتلميذه السكاكي ولا نفعل فيها ذكر ابن الاثير صاحب المثل السائر ، فهو لا حققوا النظرية بصورة أكثر عملية . على انا لا نعرف للحاتمي أثراً باشره بالتأليف في هذا الموضوع سوى ما نقله عنه تلميذه السكاكي في المفتاح . وحتم علينا أن نذكر عبارة السكاكي وابن الاثير ليتضح لنا مقدار تطور التعليم عند رجال الطبقة الثالثة . قال^(٣) السكاكي في المفتاح (وان تجاوزت إلى ما احتملته من معنى أعم من ذلك كيفما انتظمت ، مثل الصور الست والعروف الثلاثة المختلفة من حيث النظم . والاربع والعشرين للأربعة . والمائة والعشرين للخمسة سمي الاشتقاق الكبير) وتأمل جيداً قوله والاربع والعشرين للأربعة وقف على ان تعليله لم يكن أكثر من تصور عقلي يعوزه التطبيق والاستقراء ، ومع اني أذهب في احترام الحاتمي مذهباً بعيداً يجمعه الثالث بعد الخليل وابن جني ، أعتبر هذه النظرية مجازفة منه ومن تلميذه ذي المجازفات الجلة في بحث الفنون الأدبية ، حتى قصد في

(١) راجع معجم ياقوت ج ١ ص ١٤٦

(٢) راجع المزهج ج ١ ص ٢٠١

(٣) راجع المفتاح ص (٧)

حين أن يصطنع المنطق بمصطلحاته في محيط الأدب مما أدى الى مسخ حقيقي فيه ، ومع ذلك كان صاحب عبقرية نادرة .

ثم يزيدنا هذا التلميذ المخلص ، أن شيخه الحاتمي أحكم قانوناً في الدرس اللغوي سماه بالاشتقاق الأكبر وسيظهر لك من عبارة السكاكي أنه إغراق في الاستنباط والتحل . قال ^(١) (وها هنا نوع ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر وهو أن يتجاوز إلى ما احتمله إخوات تلك الطائفة من الحروف نوعاً أو مخرجاً ، وقد عرفت الأنواع والمخارج على ما نبهناك وأنه نوع لم أر أحداً من سحرة هذا الفن وقليل ما هم حام حوله على وجهه إلا هو) ومثاله بأن تنتقل بالحروف إلى ما يجانسها في (قط) مثلاً التي تنوع إلى (قطب وقطف وقطع وقطل) وكلها تتضمن معنى القطع .

ويجانس (قط - قص) ومنها (قسم وقصل وقصف وقصر وقصا) وهي تفيد معنى القطع في جميعها .

ويجانس (قص - قض) ومنها (قض وقاض وقضم وقضب وقضع)

ويجانس (قص - كس) ومنها (كس وكسر وكسع وكسم)

ويجانس (قص - جذ) ومنها (جذ وجذب وجذف وجذم)

ويجانس (جذ - جز) ومنها (جز وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزم) وجميعها تنفهم في القطع .

وهذا كما ترى شيء يعتمد الحدس فقط ونظن بأن قانون الاشتقاق الأكبر سرى عند الحاتمي من المشجرات اللغوية التي أفردتها اللغويون بالتأليف ، ومن قارن بينها ظهر له مقدار التقارب غاية ما في الأمر أن تلك مشجرات كلية وهذه مشجرات حرفية . ومع أن قاعدة الاشتقاق الكبير بلغت عند الحاتمي كما ترى بقية قاصرة جداً ، ولم تخدم إلا خدمة بيانية فقط وكأن الحاتمي قصد إلى هذه الغاية البلاغية خاصة .

وفي هذه الطبقة ينفرد ابن الأثير بملحظ دقيق ولكن لا أدري أوقع له عفواً وهو ما يظهر أم قصد إليه قصداً بناء على تصوره أن العربي جنح إلى الوضع على هذا

الترتيب مراعيًا المشابهة بفاء الكلمة . قال ^(١) (وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل إليها ، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول (ان لفظة (قر) من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي : (قر - قرم - رمق - رقم - مقر - مرق) فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة) والملاحظ الذي أقول بأن ابن الأثير انفرد به على جميع باحثي الاشتقاق الكبير ، هو هذا الترتيب باعتبار القاء . مما كأنه يرمي إلى غاية نشوئية حاصلها أنا لو فرضنا مادة كذا أصلاً ، فالمادة التي يكون لها فاؤها عقيبت بها اشتقاقاً كما ترى في صنيعه (قر قرم) وإن كنا نستبعد لأنه لم يشر إليه أصلاً .

وبعد ابن الأثير لا أظن أحداً عرض للقلب بعمل مشر ، وإنما كان كل عمل الأدباء بعد ذلك نحويًا ومعجميًا فقط .

وبالجملة لم تكن هذه النظرية أكثر من وسيلة يستروحون إليها ويتعللون بها ، كما قال (محمد صديق حسن خان) في رسالته (العلم الخفاق) ولهذا السبب ظلت أبحاثهم فيها مضطربة فلم تقم على أساس قهفي ، وقولنا بأنها غير قهفية لا يطمئن على علمهم أو يقلل من قيمته ، وإنما هي السنة الفكرية الدائمة في كشف القوامض تبدأ غامضة ولكن مع ذلك فيها عناصر الحل الأخير . وأهم النتائج التي أجتهد في أن أتوصل إليها من وراء قاعدة المقاليب .

(١) تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد .

(ب) الوقوف على المات كمحرو على الدخيل من الأصيل كما في (جبت) ^(٢)

(ح) اعتماد الجامعة المعنوية بين مواد الثلاثي كاعتمادها بين مفردات كل مادة .

(١) راجع المثل السائر ص (٢٩٤)

(٢) اظن أن كلمة (جبت) في العربية بمعنى (الصنم) غريبة عن العربية واقدر تقديرًا قد يطمأن إليه وهو أنها محرفة عن (ايجبت) اسم مصر عند اليونان ويظهر أن آلهة مصرية حلت إلى بلاد العرب في زمن البطالسة وجبت فيها ولا يبعد أن يكون وصولها إلى الجزيرة ومبادتها حدث بعد حملة البطالسة على الجزيرة التي وصلوا فيها إلى أقصى تهامة .

(٤) وهي نتيجة النتائج . أن نأخذ بالوضع الجديد على مقتضاها لنسد قص اللغة ونكفي حاجتها .

القلب أو قاعدة الدوائر

هنا نريد أن نتكلم على القلب وقواعده في نتائج بحثنا ، غير متأثرين أحداً ولا ملزمين به ، وإنما كشيء نراه الكفيل بحسب بمنجاة العربية في مستقبلها البعيد . وقد نكون على خطأ في تقدير أنه خطة للعربي القديم في الوضع ، وقد نكون على صواب والاصابة غير بعيدة عنه . وسيان لدينا أكان هذا القاتون في طبع العربي أم لا ، ما دام يسد عوزنا وفيه البلاغ ، وينزل من طبعنا منزلة ما لم يكن العربي يفيو عنه أو ينكر أمره .

نبينا فيما سبق على أن القلب في عرفنا يستوي مع الاشتقاق الكبير في عرف أئمة اللغة . وقدما أيضاً أن الزيادة في الثلاثي تكون في محل (العين) ولم تنفرد من هذا الرأي إلا بطرده في كل ثلاثي . وتقدم بين يدي الموضوع التنبية على أن عمل القلب خاص في محيط الثلاثي لا يتجاوزه إلى غيره مما ظنه العلامة الحاتمي وقدره تقديراً مرسلاً لا يعتمد شيئاً من المنطق ، وهو في جملة لا يجاوز كونه معادلة حساية فقط تقوم على الأرقام والاعداد .

تقدماً^(١) بشرح قاعدة القلب ، ونكتفي هنا بإيراد مثال يتضح عليه سير القلب النظامي كما نحب أن نقرره وهو (ز ف ن) فإن أقدم مواد هذا الثلاثي (زفن) لأنها الأوفق للترتيب الهجائي ويتفرع عنها بمقتضى القاعدة (فنز) وهذه يتفرع عنها (نرف) وهذه لا تفرخ إلا مادة الأصل (زفن) على نظام التفرخ السابق . وعليه فلا بد من التناير حتى يستقيم الثلاثي في قضيته . وبمقتضى التناير المتبر يتفرع من

مادة الأصل (زنف) التي هي الأصل الثاني وينشأ عنها على نظام التفرع السابق (نقر) وهذه يتفرع عنها (فزن) ومن ثم يقف الثلاثي عن الانتاج أبداً .
على هذا النسق ^(١) قد كان القلب عند العرب الأولين ، وقد يستبعد باديء
بدأ ولكني على غير ريب في أن تطبيق القلب بنظامه على اللغة ، سيكون صعباً
للاعتداد به واعتباره عند أي باحث كان . وعلى هذا نتكهن من بحث أية مادة وتعيين
المعنى الوضعي لها حقيقة ان كانت من ذوات الخصوصية في الاطلاق أو التقييد كما انه
يأخذ بيد الوضع الجديد الذي سيضطر الى الأخذ في السبيل العربي الصحيح ، دون
الترقيع البالي الذي لا يكون في رقبه بأكثر مما أعوز اليه .

(١) قدمنا أن هذه المواد الست تجمعها وحدة معنوية هي الملاحظ الوضعي الثابت وإنما
تختلف بالخصوصية فقط وسبيل تعيينها يشيئين (١) موقع المادة من الدائرة (٢) الاجتماع
الحرفي في المادة أما الاول فنمى به أن المادة يختلف معناها على اختلاف الموقع من الدائرة .
واعلم أن كل دائرة تجتمع في وحدة اخى تكون أكثر ظهوراً في المواد الثلاثة من الوحدة العامة
لثلاثي في مواده الست . فوحدة الدائرة الاولى تكون بملاحظة المعنى فيها يقوم فيه . ووحدة
الدائرة الثانية تكون بملاحظة المتلبس بالمعنى والوحدة العامة هي المعنى نفسه بعيداً عن الدلائل
الحسية والمعنوية . وعليه فالمادة الاولى من الدائرة الاولى تدل على الوحدة في اوضاع صورها
الحسية . والمادة الثانية تدل عليها في ملابس حسية والمادة الثالثة تدل عليها في ملابس معنوية
والمادة الاولى من الدائرة الثانية تدل على وحدتها في جلاء ووضوح والمادة الثانية تدل عليها
مع افعال ظاهر والمادة الثالثة تدل عليها مع افعال مستخف . وأما الثاني . وهو الاجتماع
الحرفي في المادة فنمى به رد الثلاثي الى الثنائي على الطريقة السابقة لمعرفة المعنى الاصل ثم تحرير
معنى الحرف لتحديد المعنى المجموع ومن هذا اصبح ضرورياً ان نتكلم على تحديد معاني حروف
الجدول بما تسمح به النصوص المحفوظة

(الهزة) يدل على الجوفية ، وعلى ما هو وعاء للمعنى ، ويدل على الصفة نصير طبعاً .
(الباء) يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً ، ويدل على القوام الصلب بالفعل . (التاء)
يدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً . (الثاء) يدل على
التعلق بالشيء تعلقاً له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى . (الجيم) يدل على العظم مطلقاً .
(الحاء) يدل على التماسك البالغ وبالاخص في الخفيات ويدل على المائبة . (الخاء) يدل على المطاوعة
والانتشار ، وعلى التلاشي مطلقاً . (الدال) يدل على التصلب وعلى التغير المتوزع . (الذال)
يدل على التفرد . (الراء) يدل على الملكة ويدل على شيوع الوصف . (الزاي) يدل على التقلع
القوي . (السين) يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص (الشين) يدل على التفشي بغير نظام

مناقشات

وجه المناقشة في القاعدة على النحو .

(١) اعتمادها الجدول الهجائي أساساً .

(٢) دعوى أن أقدم المقاليب ما وافق ترتيب الجدول .

(٣) دعوى أن التفريخ المادي يكون باعتبار العين واللام .

(٤) دعوى أن التغيرات لتحصيل رأس الدائرة الثانية يكون بتقديم اللام إلى

موضع العين .

(الصاد) يدل على المعالجة الشديدة (الضاد) يدل على الغلبة تحت الثقل (الطاء) يدل على الملكة في الصفة وعلى الالتواء والانتكاس (الظاء) يدل على التمكن في الغرور (العين) يدل على الخلق الباطن أو على الخلو مطلقاً (الفين) يدل على كمال المعنى في الشيء (الفاء) يدل على لازم المعنى أي على الوضع في المعنى الكائن (القاف) يدل على المفاجأة التي تحدث صوتاً (الكاف) يدل على الشيء يلتصق من الشيء في احتكام (اللام) يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه (الميم) يدل على الانجماع (النون) يدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكناً تظهر أعراضه (الهاء) يدل على الثلاثي (الواو) يدل على الاتعمال المؤثر في الظواهر (الياء) يدل على الاتعمال المؤثر في البواطن . وبقرير هذه القواعد للاشتقاق أصبح سبيل الوضع معبداً جداً فهو من موقع المادة في التفريخ ومن هيئة اجتماع الحروف يحين الخصوصية في غير تكلف جهيد ولا مناء ملحف . ومثاله (فزن) فإن من هذا الثلاثي ما هو غير محفوظ ككادتي (فز) و (فزن) فلا اردنا تعيين المعنى لكل منهما فإنا علينا إلا أن نبعث من موقعهما الدائري من وجه ومن اجتماع الحروف من وجه آخر وبعد هذا النظر والملاحظة نخرج بتحديد صحيح (فزن) يظهر منها في (فز) وهي الحقة و (النون) تدل على البطون والمعنى المؤلف (الحقة المتحركة الباطنة) وبما أن موقعها الثانية من الدائرة الأولى فتدل على الوحدة في ملابسات حسية وقد بنى مزيد يدل على الرقص وهو (الفزج) و (فزن) يظهر معناها في (فز) وهي الحركة في ميد و (الزاي) يدل على التلطم القوي وعليه فالمعنى المؤلف (الحركة المتقلعة في ميد) وبما أن موقعها الثالثة من الدائرة الثانية فتدل على الوحدة مع انفعال مستغف وعليه فدلالته الشاملة (الاضطراب المتأثر بتأثير باطني) كماضطراب ذوي الامراض العصبية ورجفان الهرم وتوقد الموتورات وهكذا . وإذا أخذنا في زيادة أخرى كالحزمة مثلاً نخرج من المادة بمعنى (الاضطراب الطبيعي المتأثر بتأثير باطني) في (فزناً) كالمولود المرتجف لعلل فيزيولوجية خلفه . وبمعنى (الحقة الطبيعية التي تظهر أعراضها بتأثير باطني) في (فزناً) وهكذا .

هذه وجوه دقيقة ، والجواب عليها ليس هيناً على سبيل البسط والتحرير ولكن يمكن أن نجيب عنها بجواب اجمالي ويعتبر كافياً في الرد مع ذلك . وحاصله أن الافتراض العلمي أي المصوغ على أساليب صحيحة يعتبر مبدأ علمياً ما دام يصلح أن يكون علة لسؤال عن الشيء ولا ريب في أن هذه القاعدة صالحة لأن تكون جواباً عن كل ما يسأل عنه في اللغة .

ولأن الموضوع على شيء من الدقة كان ضرورياً أن تتعرض لشرح انحاء المناقشة وبالاخص فيما يتعلق بالجدول . حينما حاولت درس هذا الخاطر وتطبيقه على كالم اللغة الشتي ، وقعت على نص أشبه ما يكون (بالتقليد) فهو اذن أثري ، وفيه ما يدعو إلى التساؤل لأنه يخالف كل ما عرف واشتهر ومضى الناس على تقريره واعتماده وهو ما أورده ابن التديم في الفهرست قال ^(١) (وإن قرأ من أهل الانبار من أباد القديعة وضمو حروف الف ب ت ث وعنه أخذت العرب) وهو يعزو هذا الزعم إلى ابن اسحاق وأنا على اعترافي بما عند القدماء من اسطورية في التحديث عن الماضي البعيد ، لا أنكر انه أنه من خاطري المطمئن إلى الابجدية ، بحيث جعلني آخذ بامتحان القاعدة على وجه آخر ولهذا الشك وجوهه .

- (١) هذه المسحة في الابجدية التي هي أقرب إلى الاصطلاح والضبط .
- (٢) انخاذ الابجدية في حين عوضاً عن الارقام الذي ينظر إليه (حساب الجمل)
- (٣) الظن القوي في دائرة المباحث المشرقية بأن للعرب أحرف هجاء خاصة كتبوا بها لا قل ^(٢) قدماً عن الخط المهيروغليبي والاشوري .

فنحن اذن منه على ما يدفع بنا إلى الشك ، فلم ندخر وسعاً في تتبع المواد وتقدير المعاني ، الأمر الذي أفضى بنا إلى اعتماد الجدول في كثير من الاطمئنان وإن كنا لم نزل على رية من انه كذلك كان بكل حروفه ولكن لا يسعنا إلا اعتماده على ما هو بدون تمييز لتصحيح الوضع في المستقبل . ولناخذ بعرض مادة غامضة لآرى

(١) راجع الفهرست ص (٧)

(٢) كما حققه الاستاذ سايس والدكتور كلير . راجع مجلة المعارض البنددية السنة

مقدار ما فيه من صدق . (عقر) بمعنى جرح ومنه العقيرة بمعنى الصوت في قولهم (رفع فلان عقيرته) حمل اللغويين على التساؤل في حيرة ، عن السبب في تولد العقيرة بمعنى الصوت من عقر بمعنى جرح . ومن ثم ذهبوا ينشعلون له التعاليل والفروض حتى انتهت عند ابن دريد (وهو من هو في اتحال الحكاية) برواية قصة ^(١) طريفة جداً زعم أنها وقعت لرجل عثرت به رجلاه فجرحت فرفعهما ووضعهما على الأخرى ثم نادى بأعلى صوته فقال الناس رفع فلان عقيرته أي رجلاه المعقورة وتناصوا فيها دلالة الأصل لتدل على القصة من باب تأصيل الفرع . وعندنا أن الأصل في معنى (عقر) الصوت بدليل ظهوره في أغلب المواد من مثل (رعى) و (قرع) ونقل إلى الجرح بالملابسة في موضوع بعينه ، وأميت في عقر المعنى الأصلي وبقيت العقيرة كحلقة اتصال بين التطورين على ما أثبتته القاعدة .

هذه هي أنحاء المناقشة على القاعدة ، ولقد يرى في وجوه الدفع على اجتماعها ما لا يصحح الفرض ولكن هذا لا يعني الشك في صحة القاعدة أبداً . فإن جميعنا نذكر حديث الفروض الطبيعية الذي بها يتم التفسير الكوني . وصموت الطبيعي ووجوه الحائر أمام التجارب التي لا تزال بجمولة الناموس على أن موضوع كون هذه القاعدة على ترتيبها اعتمادها الوضع القديم في واد ، وموضوع ضرورة اعتماد الوضع الحديث لها في واد آخر . فلقد تقرربا لا يحتمل ريباً أن بين مواد التسلائي الست جامعاً معنوياً وانما وجه الخلاف في الخصوصية فقط . وما من ثلاثي يمكن فرضه إلا وضع العرب عليه . يد أنه لم يتم وضع كل مواده دائماً ، وعليه فيمكن انتزاع الجامع المعنوي منه وتعيين الخصوصية بمساعدة الثاني الذي لا نظن في أمره مناقشة . وبهذه القاعدة يترتب الوضع ويستقيم وتظهر قائدتها في الأشياء التي تتفرع أنواعها عن وحدات كالفصائل في الحيوان والنبات والجراثيم . فالمادة الأولى تخص بالدلالة على الفصيلة ، ويوضع منها للنوع الذي تكون فيه أوضح ، ويوضع لبقية الأنواع على مقدار ما فيها من مشابهة في اللزوم أو الانفكاك . وفي حال ما إذا لم يعتمد تقديرنا في أن العربي كان سائراً

بالأفعال أطردھا علی باب (ضرب) نتمد مذهب أبي زيد الانصاري الذي اعتمده
الفيروزآبادي في القاموس وهو اذا جاوزت المشاهير من الأفعال فأنت بالخيار بين
الكسر والضم . وان كنت أميل الى طرد الكسر للجمع بين مختلف آراء النحويين
فان الفراء يذهب إلى أن الأصل في المضارع الكسر وعليه فأبو زيد يميزه والفراء يمينه .
صرحنا منذ سالفة ان القلب عامل هام في تزايد الثروة اللغوية حتى أشبه من
كل وجوهه التكاثر بالانقسام في النقايات . ومن هنا كان ذلك المد اللغوي الدائم في
العربية حتى لم تعرف له جذراً إلا حين وقف عمل القلب فيها . ولقد بقيت عوامل
أخرى ضعيفة في نفسها وضعيفة في إنتاجها صمات في اثلاثي عملاً محدوداً جداً وهي .
القلب اللفظي . الاعلال . الاتباع . تداخل اللغات . التخفيف بالاسكان . فعلية
المصدر . الرد الى الأصل . التضاد . الاشتراك . المزاوجة .

القلب اللفظي

هذا الذي عناء الأقدمون باسم القلب، وقد خرجوا عليه كثيراً واختلفوا في أمره
كثيراً وأغرق فريق فأنكره كابن السكيت . وهم مع هذا التعليق الطويل والأخذ
بالموضوع مأخذ الدرس الواسع لم يتحدد كما يجب فبقي غامضاً في شروطه غير متوضح
في منحاء التعليمي . وكان في أوضح بحوثه قائمة من السماع .

وقد قدمنا شيئاً عنه وعلقنا على اختلافهم ، وليس بنا من حاجة هنا للاعادة مرة
أخرى . وإنما سنقصد من أول الأمر للكلام على رأينا فيه دون ماوقوف عند ماقرروه
من أمثلة وشواهد . ولكن بما أن هذه الكثرة المثالية عرفت بأنها من القلب فلتكلم
على العوامل التي سببت اليها ونظن بأن لها سببين .

- (١) اضطراب الحروف على اللسان . فلا تنطق موزونة ويدخل فيه الاختلاف
القبلي وهذا هو القلب اللفظي فقط ومن أمثله - لعمري ورعلي ، وما أطيبه وأطيبه الخ .
- (٢) الأمانة ونعني بها أن تكون مادة المقلوب حية بكل اشتقاقاتها ثم لا يعرف
منها إلا اشتقاق واحد بقي إما نسياناً أو استغناء فيلحق بالأقرب صورة ومعنى وأمثله

ما سلسال وسلسال والخذخذ والخذخ الخ مما يمكن تمييزه بالرد إلى الأصول الثابتة التي هي المعلات وتبين المعنى فيها . إذن فهذه تنظر إلى مواد كانت كاملة الاشتقاق ثم أميتت ، ولم يبق منها إلا هذا النادر وقد بقي في العربية كثير من هذا النوع ومنه (كهف) و (محارة) وهذه الأخيرة توضح شيئاً من غموض الموضوع . فإن القويين لما لم يجدوا لها فعلاً ألحقوها (بمحور) . وهذا النحو من القلب ليس خاصاً بالمفرد بل يدخل الجموع ويظهر عليها بأكثر من ظهوره في المفرد . قالوا في جمع بئر آبار وفي جمع رثم آرام . إلى حد أنه يماود وجوده مرة أخرى على كل لسان فأنا كثيراً ما تغلط عين الغلط في مثله ، وهو شيء فاش في اللهجة العامية ، فكثير من المناطق السورية ينطق (أليم في لثيم) والاستدلال^(١) بعامة اليوم له وجه من الاعتبار . وضروري أن لا تغفل هنا شيئاً آخر كان له أثره وهو غلط الرواة وتحملهم بدون تمحيص . ولقد يكون من الظن القريب احتمال أن القلب نوع من الاتباع (فحسن بسن) اتباع بالابدل (سبب وبسبب) اتباع بالقلب .

وبالجملة فليس في القلب اللفظي ما نستفيد منه في الوضع المستقبل أية فائدة بل على العكس هو سبب للاشتباه والمغلطة وإذا قصدنا الاستفادة بشيء منه ففي الجمع فقط إذا سمينا به فإن الجمع العلمي يرفع اللبس .

الاعلال

حديث الاعلال في العربية منسج عريض ، فكان ظاهرة قوية الوضع وعلى فهو بارز في الأفعال والمصادر والموازن والجموع ، والاعلال عندنا مظهر من مظاهر الاعتماد اللغوي والبلوغ الفني ، وهذه نتيجة ضرورية للعمل النظامي الذي نشاهد أثره في شتى

(١) راجع المبهج لابن جني فقد احتج بعامة بغداد في عهده بغير مامرة . والامر العجيب أن بعض النواحي في لبنان لا ينطق أهلهم الميموز الا مقلوباً مما لا يبعد عنه التقدير بأن الميموز المقلوب من لهجات القبائل التي ربما يرجع إليها القوم الحاليون على طريقة المرحوم حفي ناصف

الألفاظ المعلة . ولقد تدهش حقاً للتحويلات التي لانشذ ولا تختلف وإنما تتبع سنة واحدة فيها من القوة ما يجعلها ذات أهمية .

ومن ثم كان حديث الاعلال طريقاً أيضاً من حيث كونه حيلة لغوية لبقية ابتدأها العربي للمرة الأولى في الصميم من اللغة اداة للتصحيح^(١) والتمكين اللفظي واختفاء لمواطن الضعف في الكلمة . وفي العرض والتحليل غنية وكفاء . فاذا أخذنا مثلاً قانون (اعلال^(٢) الاتباع) الذي هو ملاحظة الحركة قبل النقل وتأثير هذه الملاحظة فيما بعد النقل ، وقف على مقدار الملاحظة الفنية العميقة ، وان تمكن على تكلف فلا تنفي انها فنية جداً وعمل موزون وانه سبق بارتقاآت لغوية سامية أدت اليه . وأظن أحداً لا يخالف أبداً في براعة قواعد ادخال الواو على الياء والعكس وعمل التعويض في (اصطاع)^(٣) وقواعد الابدال في أحرف اللين إلى غير ذلك .

فالاعلال تصرف يأخذ طريقة ارتقائية محفوظة النسب لا تختلف إلا على ملاحظات معتبرة ، مما لا يدع شكاً عند الباحث بأنه نتيجة لمبالغات عالية في البناء والاسلوب ، وأفكار ناضجة في اللغة وفيه وحده مقنع للدارس اللغوي بما تناول اللغة من جهود وما استقر فيها من افكار تسامت بها .

ولا يحك في صدر أي باحث حوك من ظن أن قواعد الاعلال اصطناع النحاة واللغويين ونتيجة لتقدير انهم الشخصية المحضة . لان الاعلال حقيقة راهنة في صميم اللغة سواء كان متخذاً اسلوب النحاة ولون تعبيرهم أم لا . ومن ثم ينبغي أن لا يتجاوز شكنا هذا اللون من التعبير فقط الذي اصطنعه النحاة ولم يشرحه على وجهه وأما هو في نفسه وحقيقته وفيما يكشف عنه من تسام صريح فمالا فيه ولا شك . وان مجرد ان يكون (قال) مثلاً أصله (قول) واعتبار هذا الاعلال في كل الاشتقاق الفرعي عنه يحملنا على الدهشة المزدوجة بتقدير العقلية اللغوية التي صدرت عنها هذه التفعلات

(١) نعتي بالتصحيح هنا التمكين اللفظي وليس المعنى الصرفي فانه معه على طرفي سلب وإيجاب .

(٢) راجع شرح الجواليقي على أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٣) راجع التصريف الملوكي لابن جني .

واذن فالاعلال في غايته يراد للتصحيح ، وهو وسيلة لبقه جداً وسامية . وان كنت اعجب من شيء فاكثراً ما اعجب له . الشك في رقي عقلية العرب من هذه الناحية . وهذا لا يمنعنا من الدعوة الى اعادة النظر في قواعد الاعلال التي اقرها النحاة في اسلوب قد لا يجد شواهد عليه لا لعدم صدقها ولكن لانها اثبتت على لف ودوران كثير . فاذا أخذت مثلاً (اعلال الأتباع) رأيت فيه ظاهرة من هذا الفن ليست بأقل مما تجده في وجه اعلال مطايا وقضايا ويسد وسواها مما هو كثير . بينما كان يمكننا أن نقرر قواعده في بساطة متناهية وصدق أيضاً فقد ظهر أن الاعلال وجه من الاتباع بالمثل أو بالاشباع ، وهو رأي أقرب ما يكون الى الصواب ، فان الاتباع قانون واسع العمل في العربية جداً يدخل في الأعراب والموازن والقلب والابدال ، ولا عجب فان اللغة التي تعطي من جانبها ميلاً شديداً للجرس والنغم وتبني الكلمة والاسلوب بناء موسيقياً تترك لسلسلة الاتباع أثراً هاماً ، وقد يخرج هذا عن حد التقدير الى الاعتقاد حينما نقف على الانحاء التي وضع أثره عليها في بحث الاتباع .

وهذا لا يعني الآن كثيراً وسيأتي بسطه في محله . وانما اريد أن اقول في جملة الموضوع بان ما عرفناه من قواعد الاعلال وما اكثر به الصرفيون لم تعد اليه حاجة أبداً . وأما ما يفيدنا منه في الوضع الجديد فقد يكون غير يسير اذا أبقينا على التصحيح مع موجب الاعلال لدلالات بعضها . بعد تعيين مفاد الاعلال والتصحيح على الاطراد . فالاعلال يفيد المعنى الطبيعي كما في (طال) فانه يفيد الطول بنمو طبيعي و(ماد) يفيد التحرك كذلك . والتصحيح مع موجب الاعلال ، يفيد المعنى بتكلف او باضطراب (يفيد) يفيد التحرك باضطراب او بتعوج و (طول) يفيد التكلف في الطول .

الاتباع

لست اعلم قانوناً كان اكثر عملاً في اللغة من قانون الاتباع ، حتى كان في آخرته طامعاً لغوياً فظهر أثره ^(١) في الاصول والزوائد والكلمات والادوات والاشتقاق .

(١) ولا أدل على ذلك مما ذكره الزحمر في الكشف عند تفسير قوله تعالى (فاعبد ربك مخلصاً له الدين) قال وقرئ بضم الهمزة اتباعاً لحركة الباء

وهو يفسر غوامض اللغة تفسيراً بسيطاً جداً غير متكلف شيئاً من الفلسفة التي طالما أكثر من احتمالها اللغويون الذين ارتضعوها وانطبغوا على أسلوبها . وقد ادى النحاة فهموه ووقفوا على طرف من عمله ، وبدأ يتوضح لهم شيئاً بعد شيء . كما غمض عليهم أحياناً فلم يفهموه في الاعلال والقلب الممظلي والادغام ، بينما نجد تفسيراً معقولاً لكل هذه الأشياء التي اعتبرها الاولون قوانين تعمل بنفسها غير متأثرة .

ولقد يهمننا أن نفهم الاعلال على هذا الوجه ، لأنه عدا عن كونه يقرب العمل الصرفي ويحتزله يوقفنا على تأثير ما للنغم والتناسب من عمل في اللغة ويجعلنا نفسر الاعلال تفسيراً لا يتفاوت في النظائر ولا يستبعد مع طبيعة اللغة . فان القواعد الصرفية المقررة للاعلال قد لا تستقيم كثيراً بهذه (يمد) واصلاً (يوعد) وجهوها بان الواو لما وقعت بين عدوتيهما الياء والكسرة حذفت ولكنه لا يتجه في (نعد) و (تعد) وهكذا يبدانا نجد توجيهه من باب الاتباع يستقيم في كل النظائر والشواهد لان الاتباع خفة وذلاقة . ونسوق هنا امثلة نأخذ عليها بمقارنة عجلي يائنا لمدى الدقة في تخرج الاعلال من باب الاتباع بدون ما اعتماد لشيء آخر .

قالوا أن الاصل في (مَطَايَا) جمع مطية (مَطَايَا) قلبت الواو ياء لتطرفها بعد الكسرة ثم قلبت الاولى همزة كما في صحائف ثم ابدلت الكسرة فتحة ثم الياء . الفائم همزة ياء فصار (مطايا) بعد خمسة أعمال . ونحن نقول بان تقدير الاعلال على هذه الشاكلة عدا عن ان فيه محذور اجتماع اعلايين في قلب الياء همزة ثم قلبها ياء ، يعد وقوعه على هذا المقدار من المبالغة وواضح منه واقرب حتى لا يظن سواء في طبع العرب ، فنخرجها من باب الاتباع وبيانه أن كسرة الياء في (مَطَايَا) ابدلت فتحة بجائسة أو اتباعاً للألف قبلها ثم قلبت الواو الفاء اتباعاً لحركة الياء . بدون تهويل ولا مظالمة ولا عبث مرهق طويل . وهم يقولون في اعلال (مَدَار) ان اصلها (مَدَوْر) قلبت حركة الواو الى الساكن قبلها ثم قلبت الواو الفاء لتحركها بحسب الاصل وافتتاح ما قبلها بحسب الآن . وعندنا ان الواو وقلبت الفاء اتباعاً لحركة الميم ، لما أن الساكن حاجز غير حصين وشاهده قنوا ان اتبعوا الحرف بالحركة مع وجود الساكن فقالوا قنوا ان اتبعوا . وعرفت الوجه عندهم لا اعلال (نعد) وعندنا أن الواو قلبت ياء اتباعاً للكسرة ،

ولأخذ العربية باللفظية أخذاً عنيماً حذفت . ويظهر أن العربي أخذ المثال في كل امثله بالحذف في المضارع خفة ، وأن مجيئه في كل الباب كذلك دليل على ثبوت التطور في اللغة وعلى أن الاعلال اتباع قطع .

ولتشرح الاتباع في شيء من البسط لهذه الاهمية التي له في تشكيل اللغة ، قلنا في بحث الاعلال أن الاتباع شمل انحاء من اللغة ويجدر بنا هنا تعدادها وهي .

- (١) اتباع بالابدال : كحسن بسن .
- (٢) اتباع بالقلب : كسبب وبسبب .
- (٣) اتباع بالحركة : كما في زئبر ومنخر وسجدات وتنضب في تنضب .
- (٤) اتباع بالاعراب : كما في يا أيها الناس وكما في الجر بالمجاورة .
- (٥) اتباع بالاعلال : وهو على وجهين اعلال بالمثل كما في (كي) واعلال بالاشباع كما في (مدار) .
- (٦) اتباع بالادغام : كما في عَصَ وَمَصَ وقد تمسكن هذا الاتباع في منطلق العرب حتى أجروه على الحروف المتقاربة .
- (٧) اتباع بالمزاوجة : كما في (ليرجمن مأزورات غير مأجورات)
- (٨) اتباع بالتحريف أو التصحيف : كما في قول العباس (هو لشارب حل وبل)

وانما يعيننا هنا من كل أنواع الاتباع ما كان بالقلب وهو الذي اشتهر عند قدامى رجال اللغة بالاتباع على الاطلاق . وهم قد شرطوه بشروط آتى عليها اللغويون في كتب الدراسات كالمزهر والبلغة في أصول اللغة . ونحن لا نرى منها إلا شرطاً واحداً فقط ولنا لا نذكر غيره ، قال السيوطي في المزهر^(١) (ولا يكون مثل قول العباس في زمرم هي لشارب حل وبل من الاتباع لوجود العاطف) فكان شرط الاتباع بالقلب عدم العاطف لما انه يفيد الغيرية كما هو مقرر عندهم . وانما اعتمدناه لما انه يساعدنا في الاستفادة منه كعامل في التكثير اللغوي .

ورأيي في الاتباع بالقلب انه لا يكون إلا في حروف المعاقبة والإبدال السماعي .
والذي الفت نظري إلى هذا تعبير وقع للامام ابن الجوزي في كتابه^(١) المدهش قال
(وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهون اعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك
يسمى الاتباع فيقولون اسوان اتوان وشيء تافه نافه وعفريت نفريت) الخ . قلت
تعبيره بقوله يكرهون اعادة اللفظ فيغيرون . يفيد أن التغير جار على أصول ثابتة
وليس متروكاً للعفو مما يعين انه جار في حروف الابدال أو المعاقبة أي الحروف التي
تتناوب وتفيد عين الافادة .

هذا شيء نحن نستنتجه لأنفسنا ، ولا ندري بعد إذا كان ابن الجوزي يقصد
هذا القصد أم لا ، ولكن على أي حال كذلك رأينا وفيه تعليل صحيح للاتباع بالقلب
ولا يجعله على قوضى في لسان العرب . واذا صح هذا نستطيع أن نرتب حروف
المعاقبة والإبدال في جدول منظم متسق وهو يفيدنا جداً في سير الاشتقاق الجديد
كما سيأتي في بحث الابدال وأظن بأن هذا التفسير للاتباع بالقلب يقرب من الواقع
إلى حد أن يكونه . واما تصور انه كان متروكاً للعفو أو للخاطر فانتزاع له خبيث .
وكان العرب يقصدون بالابدال على هذا الوجه من المزاجية والروي تأصعيد المعنى
ونهويل مقامه وربما فسر قول العربي لمن سأله عنه (هو شيء تد به كلامنا) . وهو
من جهة عمله يدخل في الكلمة والقصة - الصفة - ولكن الأمر الذي يدعو إلى
التساؤل عدم استعمال القرآن لشيء منه على شتى ألوان التعبير فيه . وفي الحق انه
تساؤل له أهمية . ومما لا يبعد احتمال^(٢) أن يكون الاتباع خاصاً بالكلام المرتجل .

(١) راجع المدهش لابن الجوزي ص (٢٥)

(٢) بسطنا الكلام في فصل (ثل القرآن) من مقدمة التفسير وذكرنا هناك وجهها
آخر لتعليل عدم وجود الاتباع بالقلب في القرآن ولا في الشعر . فبيناه على ما ذكره سبسر في
عرض كلامه على الرقي من أن اللغة التي تحكم بالنغم تكون على طفولة فلا بدع أن يكون الاتباع
الذي فيه قسط كبير بل أكبر قسط من الاعتماد على النغم والجرس ان يكون ظاهرة من الطفولة
وعلى كل فالامر الواقع أن القرآن لم يستعمل الاتباع في لون أبدأ من البيان وأن القرآن أهمي أثر
أدبي تمحضت عنه اللغة فلا بدع أن يكون لشيء مما ذكرناه أو لشيء آخر لم يتضح لنا .

والذي نستطيع أن نستفيدة منه في الاشتقاق الجديد ضئيل جداً في الكلمة وأما في القصة فيكثر إلى حد أن لا يختلف عما كان في العربية الأولى ، وأرى أن يوضع منه كل مالا يتأدى باللفظ الواحد كما قالوا (السكان مان) .

وبالجملة فالاتباع لا يختص بموضع من الكلمة فيكون في الفاء والميم واللام على حسب الانساق وانتظام الروي ويكون واحداً وأكثر .

المزاوجة

ذكرنا أن المزاوجة نحو من الاتباع ، وهي لا تكون إلا في القصة . ومن ثم يظهر أن عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها أبداً وإنما قصدت دلالة في الأسلوب ومسايرة للانساق اللفظي .

والمزاوجة لا تختص بوجه من الوجوه التي يقع فيها الكلام ، بل تكون في المفرد كما تكون في الجمع وتكون في الأداة كما تكون في الكلمة . قالوا (رأيت الوليد بن اليزيد مباركا) وقالوا (ليرجعن مازورات غير مأجورات) إلى كثير تجده في كتاب (ليس في كلام العرب) وكتاب (الاتباع والمزاوجة لابن فارس) وكتاب (سر الفصاحة لابن سنان الحفاجي) .

وإذا أخذنا بتحليل قول النبي (ليرجعن مازورات) وقوله (خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة) استطعنا أن ندرك سر المزاوجة . فإن (مازورات ^(١)) وأصلها (موزورات) وهي من المثل الذي سبق أن قررنا في شأنه أنه يصحح بالهمز ، تدلنا على أن المزاوجة إنما تجري في الحروف المتقاربة والمنقلبة . والمزاوجة لأنها تختص بالقصة فليست تفيد في العمل الاشتقائي أبداً . وإنما فرضها التناسب بين مفردات الجملة الواحدة . على أنه يمكننا أن نستفيد من المزاوجة في الوضع الجديد بما يخص المشتقات فقط ، وأما في المواد فيمنع امنّا لبس . ودعوتنا إلى الاشتقاق عليها ليس لأنها ثابتة العمل على

(١) وكذلك (مأمورة) فإنها ترجع إلى (مومورة) أي كثيرة النتائج .

الاطلاق بل لأنها من العوامل التي قد يستفاد منها ولو على قلة . وتكون لافادة معناها مع التأثير بما زاوجها .

التخفيف بالاسكان

هذا العامل قدره اللغويون الأولون في كلم كثيرة من اللغة ، حتى من كثرته عدوه قياسيا فيما كان حلقى الثاني ، وأوردوا عليه أمثلة كثيرة جداً . والذي يلحق اليه كلامهم انه مرادف للمتحرك ويظهر انه تطور من المتحرك ، ونظن زمن تولده في الدور الثاني من العهد اللفظي ، ومع الاعتقاد بأنه تطور نرى بأنه يراد للتنويع ولكن عدم حفظ الخصوصية صيره مرادفاً . فمن الضروري أن نستفيد منه نحن اليوم . وتحرى ما وقع فيه التخفيف بالاسكان وتتبع دلالاته بدقة ومقارنة . ولا بد اننا خارجون بعد هذه المقارنة بفارق قد نستفيد منه فائدة لها قيمتها في الوضع الجديد .

وعندي ان التخفيف يفيد أو يخص لافادة الملكية وزيادة التمكن في الوصف فاذا حاولنا تحديد (ثَبَّتْ وَثَبَّتْ) كان لنا منها الدلالة في الأول على المثبت وفي الثاني على ذي الملكية . على انه وان كان قد ترك في العريه ثروة لا بأس بها . فلنا نستفيد منه اليوم في وضعنا الجديد إلا فائدة نذرة جداً ليست بذات بال كما يقولون .

فعلية المصدر

هذا بحث جديد الموضوع وجديد التفسير . كان الغرض منه درس أشكال من اللغة فيها غموض ليس بالقليل . واذا صح وجه الشرح الذي نأخذه به فلا ريب في أن العربي كان صاحب حيلة لغوية ولباقة بارعة .

حفظ عن العرب قولهم (تَمَنَّدَل) و (تَمَذَّرَع) و (تَمَسَّكَن) إلى الفاظ عدها ابن خالويه في كتاب (ليس في كلام العرب) ويظهر من قوله (ليس في كلامهم تفعل الرجل انما هو تفعل إلا تمنفراخ) انه وزان غير مقصود ، كما نلحس في عبارته

حيرة واضحة في وجه تحليله ، وكذلك إذا وقفت على ما عند ابن جني في كتابه المبهج حيث قال ^(١) (وتجنسوا زيادة الميم في الفعل وانما هي من خواص الاعم ومثله تنطق من المنطقة) . وعندي أن الأمر على عكس ما قال ابن جني تماماً وذلك لأن العربي بعد أن اشتق المصدر الميمي ليؤدي به معنى مخصوصاً وتأدية بعينها ، عاد فتوسع عليه توسعاً ظهر غريباً جداً فنقله الى الفعلية بزيادة التاء . ولكن بقي سؤال يحتاج إلى تفسير حتى يتسق ما نجيء به وهو لماذا كانت الزيادة بالتاء دون غيرها ؟ وما المعنى المقصود من هذا الوزان ؟ والجواب الذي يتبادر عندي انه يراد لغاية هي الدلالة على التشكل بالمصدر وهذا آت من حرف (التاء) الذي أصله (تاو) بمعنى (علامة) وإذا لاحظنا هذا المعنى في التاء وأضفناه إلى المصدر الذي هو (منطوق) مثلاً ، كان المقصود منه (التنطق الذي صار علامة للفاعل) . ويدل على هذا أن التاء تدخل على الوزان بدون ما تغير فيه كما في (فَعَلَ) مثل (حَجَّرَ) تقول منه (تَفَعَّلَ) ومثاله (تَحَجَّرَ) ومعناه الذي صار الاستحجار علامة له ، ونفهم في هذين الوزانين قصوراً على الفاعل وهو ناشيء من كونه علامة . واعتبر هذا ملحظاً دقيقاً جداً ولا أظن خلافاً له أو عليه لأن هذه الظاهرة وهي عدم تغير ما تدخل عليه التاء لا تفسر إلا على هذا الوجه .

ولا يبعد احتمال أن العربي خرج بالمصدر الميمي الى الفعلية ابتداء بدون زيادة التاء فقال (مفعَلٌ يَفْعَلُ) ولكن هذا وإن كان يستقيم في بادي الاحتمال يحتاج إلى أمثلة عليه من صميم اللغة تثبتة ولقد سقطت على ما يمكن أن نكتفي به الآن عند ابن جني في المبهج (قالوا ^(٢) مَرَحَبَكَ اللهُ ومسهلك) . ودون هذا وذاك فهو يفسر ناحية غامضة من اللغة أو في طبع العرب اللغوي أحسن تفسير ويوقفنا في غير مشقة على نشوء الفعل من المصدر ، وهو وإن يكن مزيداً فإنه يدلنا على مكان هذا الطبع من العربي بحيث كان يصدر عنه حتى في الثلاثي أيضاً .

الرد الى الاصل

هم اعني الصرفيين يطلون مثل (غَطَّى وَتَغَطَّى) بأنه تفعل من (مَطَّ وَغَنَّ) ولكن كرهوا التكرار ، فاصطنعوا هذا المصنع تشبيهاً له (بِفَعَال) على ما ذكره ابن خالويه والاعلم الشنمري في شرح ديوان طرفة . ونحن أولاً لا نسلم لهم نوحاً أن تغطى (تفعل) من ظن بل من ظنى وعدم وجود المفعول ليس دليلاً على العدم ، لاحتمال الامانة وهذا كثير كما تقدم لك في كهف ومحر . وعلى مجازاة الجماعة في التقدير المذكور نخرج من باب الرد الى الأصل لأن أصل الثنائي المضعف ، ثنائي مفعول كما سبق . فإذا زادوه زيادة تفضي به إلى الاستكراه اللفظي ردوه إلى الأصل أحياناً بدليل وجود كثرة من (تفعل) لثنائي على وجهه كما في تمخدد وتمجدد وسواء كان الصحيح فيه هذا الوجه من التخرج أم غيره . فوجه الاستفادة منه اليوم بجعله (تفعللاً) من الثنائي المضعف ويراد للدلالة بعينها غير دلالة لو كان على وجهه ، وضروري هنا أن نعرض لتحديد كلا الدالتين .

فدلالة التفعّل على وجهه من المضعف الثنائي ، التصنع .
ودلالة التفعّل في صورة الرد إلى الأصل ، على المفاجأة .
وعليه (فَتَغَنَّ) يدل على تصنع الظنة دائماً . و (تَغَنَّ) يدل على المفاجأة بالظنة . وهذا قد يكون تخصيصاً محضاً أو اعتبارياً ولكنه لا يعدّ أبداً عن الملاحظ الوضعي والاستعمالي في طبع العرب . ويصح أيضاً أن تلغى هذه الملاحظة من الاعتبار الوضعي في غير العلوم بحيث لا يكون الملاحظ الوضعي فيها إلا التحكم والتخصيص ، كما لو أخذنا مادة (ش ط ط) التي جاء منها بمعنى جار وقالوا منها بهذا المعنى (تشطط) وقالوا منها (الشط) بمعنى سيف البحر فيمكننا أن نقول منها على هذا المعنى (تشطى) أي سار على الشط .

الضد

ظاهرة غامضة تلك التي تسمى في العربية بالضد ، ومع كثرة البحوث عليها في

أقدم ما يكون قدامة وفي أحدث ما يكون حداثة ، لم تزل غامضة ولا استثنى ظنوني أيضاً وإن كنت أطمئن إليها نوعاً ما وعلى مقدار . وهي لا تزال تنتظر إلى قصد في تفكير الغربي تناوشه الرغام ، ولم يبق منه إلا ما لا يكاد يبين في مواضع الألفاظ رغم الجهود المشورة في هاتيك البحوث الشتى . ولعل أقرب الباحثين قصداً في التقدير ابن حبيب البصري حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً ، وكانت نتيجة البحوث التي عرض بها للاضداد ونشرها أو انتشر بها على اللغة ، أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه وإنما كان من عموم المفهوم اتفاقاً فهو من لواحق الماصدق . وانظر كيف يخرج مثلاً (وراء وجل وسواهما) التي ذكروا أنها ضد قال (وراء) حرف موضوع بمعنى التواري وهو حاصل في الأمام والخلف . و (جل) حرف موضوع للغاية في الشيء . فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضداً الخ . وكل ما يهول به من هذا لا يخرج عن أن يكون اجتهداً صرفاً لاشاهد عليه من اللغة يثبت له هذا الانفصال .

وأما نحن فنرى في وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرمي إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً . وذلك لأننا رأينا كيف كان العربي يستخدم الملاحن في أغراض حازبة وظروف مرغة مخرجة ، على ما عرض علينا القالي من أمثاله وشيخه ابن دريد من قبله في كتاب (الملاحن) . وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لا يبعد أن يكون كذلك عند العربي ولهذا الغاية . قال في سبب التأليف (إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين) أي وضعه حيلة قضائية عن طريق اللغة وإذا صح هذا فقد كان العربي يقصد إلى الوضع على هذا النحو من الغرض لينسج له تحقيق أغراضه حين الملحة ، والابانة عن أفكاره حينما تحوم من حوله الاذن . وإذا كانت الاضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيستحتم علينا جداً أن نترث في درسها لأنها قد توقفتنا على نحو من (الشيفرة) عند العرب إذا قلت هذه التسمية ، وسواء صح هذا الرأي في منشأ الاضداد أولاً ، فإن من الخطأ نحوياً النظر إلى الضد كظاهرة وحده بل ضروري أن يجعل وجهاً من الاشتراك الفظلي . وعليه فيقسم الاشتراك إلى قسمين .

(١) (ملاحن) كمين وحاج .

(٢) (اضداد) كبعد ووراء .

وللاحظ هنا أن الملاحن اللفظية ، غير الملاحن الأدبية لأن الأولى مرتجىها الى تعدد الوضع فيها والثانية مرتجىها الى لباقة الاستعمال وتصنع الكناية ولوفي الموضوع وضعاً واحداً كما في قصة الأسير في بكر بن وائل . وإنما نبهنا على هذا لأن ابن دريد اتسع في كتابه للتوعين بدون تنبيه ولا تفرقة .

على أنه يبدو لنا وجه آخر يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضاً في هذا الذي يسمونه بالضد وهو الاستعمال^(١) الخطأ وغلبته

وبالاجمال فالاشتراك الذي الضد نوع منه ، ظاهرة من ضعف اللغة وطفوليتها مهما التمس لتفسيره وسهما استخدم في شرحه وتعليقه . وأما من حيث ما يلزمنا منه اليوم في العمل اللفظي فإنه لا يلزمنا في شيء بل على العكس يضربه ضرراً بليغاً ويغلبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار .

الترادف

يتخذ بعض من دارسي العربية اليوم ، الترادف علامة على قلق اللغة . وبعض آخر يتخذ أثراً من الاختلاف القبلي أو ما يشبه الرواسب المتبقية من جراء امتدادات طويلة . والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من القوة والصدق ليس هو كل الحق .

(١) وربما وجدنا الشاهد عليه في العربية الشائعة اليوم فإن الاستعمال المشهور جرى على إحلال البرهة في محل الفترة القليلة من الزمن وكان الوضع العربي القديم أرادها لمعنى عكسي تماماً ولكن من يفهم استعمالها اليوم على حسب الوضع ومن يستعملها على مقتضاها وأذكر قصة وقعت لصاحب لي كان يدارسني القاموس فينبأ كان يسرد مقدمته أجفل على معنى الدهشة لكون صاحب القاموس وهو من هو يستعمل لفظ البرهة في غير ما وضعت له حين قال (كنت برهة من الدهر التمس كتاباً جامعاً بسيطاً ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطة) ولكنه دهش ثانية حينما نبته الى أن هذا صواب استعمالها والشائع هو الخطأ .

وأما الرأي الأول فليس إلا منكرًا من القول وزورًا لا ريب في ذلك ولا شك، ولقد يكون صحيحًا لو لم يكن من مواد لا تزال دارجة في اللغة ولها حياة قوية. فان من المعقول أن وجود مواد الاشتقاق بخصائصها المعنوية التي تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل على قصده بالوضع، فأين منه القلق المزعوم.

كما أن تعليله بالاختلاف القبلي ليس مقبولاً على إطلاقه، لأن من المعقول أيضاً أن الاختلاف بينها لن يبلغ هذا المبلغ الكبير إلى حد أن يكون المترادف في رقم الاربعماية أحياناً وفي رقم المائتين كثيراً وهكذا مما ذكره حمزة الاصمباني. حتى قال أبو منصور العمالي (كثرت أسماء الدواهي من الدواهي).

والحقيقة فيه أنه عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه وعلى مرونة اللغة من وجه آخر، وبما أنه أصبح صفة ظاهرة من العربية إلى حد التفرد وليس هذا فقط بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً إذا لم تكن له فسحة من الالفاظ الشتى التي تتلاقى على معنى واحد، وجب على الواضع الحديث أن لا يهمل هذه الناحية أبداً وفي اللغة كفاء وغناء. ولكن ضعف الطبع اللغوي في اللغويين جعلهم يتمنون على اللغة الأماني، يتمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من المترادف غنى يتناول ما في العلم وما يجيش به النفس، ولكنها أمنية لو علموا تنالهم أنفسهم دون اللغة. فان في هذا المترادف الذي سخروا منه جوابها على الإجبال. هذا غناي إلى حد التزيد وهذا ضعفكم حتى عن الاستفادة بالاعلام المشورة في متعرف السبل.

تداخل اللغات

لا أدري مقدار تأثير هذا العامل في اللغة على وجه التحديد، وإن كنت لا أرتاب فيه كذي أثر في توليد عدد من المواد والمشتقات، وكما أظن بأن من الخطأ الشك في تأثيره وعمله، كذلك أظن بأن من الخطأ المبالغة في عمله إلى الحد الذي يصطنعه دارسو اللغة اليوم. لأننا على شبه اليقين أو اليقين كله في أن اللغة خضعت لقوانين عامة ومواد عامة، وكان أكبر الاختلاف يرجع إلى اللهجة فقط، وأما هذه الانفرادات

القبليّة التي يرونها اللغويون فهي بقايا من متارك التطور عند التحقيق . كما رأينا في اسم الفاعل (من حديث التطور) ولكن هنا نذكر رأياً غريباً في اسم الفاعل نص عليه الفيومي قال ^(١) (وذهب آخرون إلى أن ورود فاعل من المضموم في الأصل من لغة أخرى فيكون من تداخل اللغات)

يمكننا أن نرى في دعوى هذا الأخير مقدار المجازفة ، قلت دعوى التداخل لا تتم إلا بثبت هو أشد ما يكون افتقاراً إليه . ونخرج من جملة خلاف الجماعة بأن الشواهد المنصوبة من اللغة تثبت كل هذا الاختلاف . فهي تشهد للمنع كما تشهد للصحة وتقرر القضية بين السلب والإيجاب مما نفهم بأن المسألة تعليلاً آخر غير ما يقدرون هو ما سبق لنا الاجتهاد بتقريره ، سنة عامة في اللغة فهي أثريات مضبوطة أو تنويحات لم تتعم والشاهد في هذا أن كثيراً من اللغويين كانوا يلجئون إلى دعوى التداخل كلما ضاقت بهم وجوه الحيلة في تعليل ما يقعون عليه من شذوذ . واليك شاهداً آخر ، تفهم منه أن لا معنى لهذا الاتساع في فهم التداخل والاختلاف القبلي . وهو ما أورده ^(٢) صاحب المصباح ، أفعالاً عن مجي . فاعل لا فعل كاحمل البلد فهو ما حل ثم قل عن ابن القطاع زعم أنها من تداخل اللغات . وهو خطأ من جملة ما هو من باب هذا التقدير ، وذلك لأنه بقي بين أيدينا ما يبين لنا نهمواً من التلبس اللغوي وتداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها قالوا (أحب الرجل ومفعوله محبوب وحَبّ وفاعله مُحِبّ) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حَابّ ومُحَبّ لتقارب الخصوصية بين المزيد والاصل ، ويؤيد هذا مجي . اسم الفاعل من هذه الرباعيات على وجهه كما في أَوْرَسَ فهو وَارِسٌ ومُورِسٌ وإن نصوا على قلته أي مورس وكونه قليلاً بقوي لنا وجه الاستدلال به . لأن قلته عنوان على الأخذ باماته بحكم الاستغناء عنه . وبالجملة فالتوسع بفهم الاختلاف القبلي والتداخل إلى هذا الحد خطأ محض . وقد ائى اللغويين لم ينفعلوا عمل هذا الضرب بل زعموه في الاعراب

(١) راجع المصباح المنير ج ٢ ص ١٠٦٦

(٢) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٧٠

واللغة على السواء ، وساقوا من أمثله في اللغة (هلك يهلك) وأمثلة سواها ذكرها ابن خالويه والميداني ، وليس بنا حاجة إلى ذكرها هنا ونكتفي بمثل بني عليه رأينا في الكيفية التي تمكتنا من الاستفادة في العمل اللغوي الجديدة .

قالوا على ما ظن النحاة بأن هلك كانت تنطق في قبائل من باب (ضرب) وفي قبائل من باب (طرب) فداخلوا بين اللغتين . وهذا ظن قد يكون صحيحاً وسواء أصدق أم لا فإن سبيل الاستفادة منه على وجه أن ندخل بين البابين لاقادة أخرى فباب ضرب هو الأصل وباب طرب يدل على المفاجأة فتداخل بينهما لاقادة الشيء . يجيء تارة مفاجئاً وتارة على الطبيعة فإذا حللنا عليه (هلك) مثلاً دلّت من باب ضرب على الهلاك الطبيعي ومن باب طرب على الهلاك العجائبي وفي التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح البسيط بالنسم . ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه (بتداخل الاوضاع) .

الرباعي

لن يكون حديثنا عن الرباعي أقل مفاجأة من كل ما رأيت أو سمعت في منشأ الثلاثي وأدواره التي يعيش فيها على ما تمادى بنا التقدير هناك ، ولكن شيئاً سيميز به هذا الحديث ، وهو أن له مساحة الحق من كل وجوهه ومعناه أيضاً . فهو حق يمكنك أن تطمئن إليه في غير تردد ولا ضعف منه ، ويمكنك أن تعتمد عليه في درس كل ما تحتفظ به المعاجم من الكلمات على الرباعي في غير وجل من تأنيبه وأي وجل في التمويل على ما يفسر العربية من هذه الناحية تفسيراً صحيحاً وتصديق عليه صدقاً مطلقاً . وهو وإن يكن تقديرأ يري العربي على بلوغ لغوي حيث يعتمد ارتقاآت نظامية جداً وقواعد فيها من العقلية شيء غير يسير ، وهذا قد يستبعد مع ما كان عليه العرب من فطرة مطلقة ، فإنه الحق الذي لا سبيل إلى سواه . ونحن مهما حاولنا أن نعض النظر عن نيل العربية قاتها ناطقة بذلك . ومن ثم كان من الخطأ أن نفسر اللغة بتاريخ العرب وإنما نكون أكثر قصداً إذا فسرنا تاريخ العرب باللغة ،

وستكشف الأيام عن شيء غير يسر . وعلى أي الاعتبارات قاني أعتمد ما وصلت اليه من هذا اعتماداً غير محدود . ولناخذ بالكلام عليه دون أن ننظر الى استبعاد مستبعد أو استنكار مستنكر ما دما نفهم منه كل ما نريد أن نفهمه من العربية وكفى . نرى في الرباعي أنه حلقة من حلقات التطور اللغوي وقد وفق فيه جيداً إذ توصل اليه ببساطة ودقة حتى كان عملاً فنياً منقطع النظير ، وأكثر ما يقضي به العجب انه استطاع أن يحفظ الفكرة الواضحة على تطورها ، وأن يجعل منها كائناً له أطواره الحية ومراحلها التامة .

وهنا نستطيع أن نحصر خلافتنا مع الأولين وقدامى النحاة . فهم يظنون على وجه العموم انه نشأ بواسطة النحت والاختزال من ثلاثين ، فالرباعيات أو أكثرها ترجع عند هؤلاء إلى ثلاثيات اختزلت ، وهم يطمشون الى هذا الفن كثيراً ، وربما لا يشكون فيه فان ابن فارس اعتمد بصورة محضة في كتابه (مقاييس اللغة) وخرج عليه من هذا شيئاً كثيراً . وهذا التخريج إن يكن يدل على شيء فلي قدرة لغوية فقط وتحليل عقلي ، وأما شيء غير هذا فيما يتعلق بأنه صواب في نفسه ، وصحيح انه كذلك كان في صنيع العرب فليس من وجهه . وأظن بأن الذي روج لهذا التقدير ان كل الذين تناولوا العربية وحلواها وتفحصوها بلدها كانوا أجانب يرون في لغاتهم شواهد منه فأخضعوا العربية لما ظنوه قانوناً لغوياً عاماً تشترك فيه اللغات على اختلافها وتباين ما بينها . وأياً كان حقيقة تعليقه فالأمر الذي لا ريب فيه ان الأولين اعتمدوا الاختزال اعتماداً كاد يكون قانوناً يستندب في درس أي رباعي ومضوا على هذا قدماً في غير خلاف ولا نزعة . وهؤلاء هم أصحاب المذهب التعليلي للغة ومع ان أسلوبهم غلب في العهد الأخير وظهر في كتابات كل اللغويين بقي في نظرم كشيء ظاهر الغرض لا يطمئن اليه إلا كما يطمئن للنكتة المستملحة . ولهذا لم يتناولوه كثيراً بالتحقيق ومحاولة التصحيح بل اقتصروا منه على مقدار ما به تكون تطريبات الدراسات اللغوية التي قد تحتاج إلى طرافة من هذا القبيل . وأما انهم عولوا على نتائج التقدير المذكور كما لو كان شيئاً يتم به التصحيح فلا . ولهذا لن اعنى كثيراً بالتوسع في مجاذبة نظرية الجماعة لأنه ليس لها عناصر النظرية قبل أي اعتبار .

ولنخلص من هنا لتقرير نظريتنا في المزيد على الثلاثي مطلقاً في غير ما تكون الزيادة فيه حرفية وقد قدمنا بشيء من هذا في الكلام على نشوء الثلاثي . قلنا يفرغ العربي من كل الوضع في الثلاثي ولا تزال في نفسه بقايا من معاني الأشياء لا يجد لها ما يجدها أو يحكي عنها في معجم الالفاظ . ولما كان للحروف اعتبارات ومعان . وهذا ما لا ينكر في مذهب اللغوية العربية ، فيدلف من طريقها ليعبر عما يلامس نفسه ويجده في الطبيعة مما تسخر له اللغة ، فكان أن ابتدع المزيد الاشتقائي بإضافة الحرف على آخر الثلاثي ليدل المؤلف الحرفي دلالة الثلاثي تزيد فيه الخصوصية على مقتضى الحرف وهذا هو الرباعي الأصم المعروف كذلك في تعبيرهم ، ومثله الخماسي وما إليه . وهي نظرية تبدو لأول وهلة شاذة غريبة ، بيد أن الاستقراء والاستقراء وحده يصححها ، وسنرى في عرض الأمثلة بساطة متاهية تحكي الحقيقة في غير اصطناع ولا شطط . وماذا كنا نفعل لو أخذنا بأسلوب الاكراه والعنف سوى إنا نفرض على اللغة ما نريده فرضاً وسوى أنا نراوغ لأجل ما نريغ إليه فقط . وفي نظري انه لا يستقيم لنا بحث إلا اذا صححنا طريقة العرض المتبعة اليوم ، تلك التي تكون في حقيقتها عرضاً للنفس والفكرة الشخصية فحسب . ولذلك كنا في أكثر أبحاثنا المنشورة شخصيين على وجه خالص ، ولهذا أسباب من التقاليد الثقافية التي تكيف اتجاه التفكير عندنا على نحو قاصر جداً يكون كحركة الرحي تبيت وتستقر في جهد ضائع لا ينتقل بوضع الرحي ولا يترك شاهداً على انه كان أو انه وجد .

وبحسبي أن آتخذ سبيل العرض المجرد فقط بدون أية محاولة تكون في صالح النظرية وأنا أطمئن إلى هذا العرض وهذا البسط وهذا الاستدل الذي اعتبره بريئاً بالمعنى المطلق ، على اني أتجاوز في فقه وفهم أسلوب الاستدلال إلى حد أن اتهم كل محاولة تزيد عن حدود العرض أو توضيحه ، وكذلك يرى كل من يحترم الامانة العلمية ويفهم مقدار ما في المجازفة خارجاً عنها من تبعات ويقدرها قدرها الصحيح . (جندب) الضخم الغليظ يرجع الى (جند) الضخم وهذا يرجع إلى (جدى) الذي من مشتقاته الجدية بمعنى القطعة المحشوة ويظهر معناه في (جد) ومن مشتقاته ما بمعنى الاثنان السمين .

(طمرس) الثيم يرجع الى (طمر) ومنه الخبأ والدفن وهذا يظهر معناه في (طر) ومنه ما بمعنى الخلس والوغد .

(قلطف) الخفة في صغر جسم ترجع إلى (قلط) القصير جداً من الناس والخفيف وهذا الثلاثي يرجع الى (قطي) بمعنى قارب الخطو ويظهر معناه في (قط) ومنه فلان قارب الخطو وأسرع .

(طحلب) خضرة تعلو الماء المزمع يرجع الى (طحل) بمعنى فسد الماء وأتت من حاة ومنه الطحل الماء المطحلب وهذا يرجع الى (طلى) ومنه قولهم المنهل الطالي أي المطحلب .

ويقوي نظريتنا في الرباعي تقدير الامام أبي العباس ثعلب في (زغذب) انه من (زغد) والباء زائدة وتقدير محمد بن حبيب في (عنسل) ان أصله (عنس) ولكن المعجب من ابن جني هذه اللهجة التي قابل بها تقدير الامام ثعلب في (زغذب) واليك عبارته قال ^(١) في الكلام على بغثر بن لقيط (كأنه من معنى الابنث ولست أقول ان الراء زائدة كما قال احمد بن يحيى ان الباء من زغذب زائدة لأنه أخذه من الزغد وهو الهدير يقطمه البعير من حلقه ، هذا ما لا أستجيزه وأعوذ بالله من مثله وأحسن الظن بأبي العباس أن يريد ما نذهب اليه نحن في نحو سبط وسبطر ودمث ودمثر ولؤلؤ ولآل وجففة وجففة من انها أصول تقاربت وليست من واد الخ)

لهجة قاسية حقاً هذه التي توشع بالاستعاذة وعدم الاستجادة وكأن الأمر منكر لثيم من القول وعدوان من التخرج ، كل ذلك لاقتناعهم بامر بن الاختزال في الرباعي ، وان الرباعي مولود انبراعي لا ينظر الى وجود سابق .

الرباعي المثلى او الجملى

تقف هنا على عنوان جديد ورأي جديد ، لم يتعرف عليه الأولون إلا على وجه

عام . فهم لم يتركوه على معنى الإهمال له ولم يدرسوه دراسة تعنيه بالقدات ، وإنما من حيث كونه وجهاً من الرباعي أو بعبارة أصح مثلاً من أمثاله . هذا صحيح وقد كانوا موقفين نوعاً ما في فهمه والذي فعنه بالتوفيق انه وحده الذي يمكننا أن نسله لهم على مستهم في اعتبار الرباعي وكونه .

فالنحت له عمل ثابت في هذا النوع بعينه من الرباعي فقط لا شك في ذلك ولا ريب . ومن قلة محصوله في اللغة نسمح لأنفسنا بأن لا نعلمه في جملة القوانين التي عملت الثروة الهائلة ولا تزال آخذة بعملية الخلق والتكثير . وينبغي علينا أن نعين الآن ما نعني بكل هذا الذي نقوله .

قررنا منذ هنية بأن الرباعي ليس في الحقيقة وليداً إلا لزيادة الحرف فقط حسب أي ليس وليداً للاختزال من الثلاثين فأكثر مما أكثروا التحويل به في ماضي حلقات الدرس المرسل . وقدما هناك مقدار ما تشهد به اللغة للظن الذي نظنه ، ومقدار ما تشهد به من تكلفة التقدير الآخر حتى كأنها تقول بأنه ليس منها . ولكن في هذا اللون من الرباعي نحقق انه وليد النحت وأثره ظاهر فيه بحيث لا يقتضي مجهوداً تبينه ، فلو أخذت (بسم) و (حوقل) ومثلها ثم تعاطيت لاذن عربية أي على طبع منها ، لم ترد في التحويل على التخرج لها من باب . وإذا صح هذا فبمكنا أن نتحقق من الشروط التي تلزم في النحت . ونراها في أمور

(١) المفاجأة أو الكناية أو المثل : مما فيه اعتبار مجازي طريف أو تعريضي .

(٢) السهولة اللفظية .

(٣) وضوح الاختزال : ونعني بهذا أن لا نشبه صورة المنحوت رباعياً له

معنى مادي .

ومع انا لا نحدد مجيئه من الكلمات فان مما يجب أن يلاحظ فيه ان مجيئه من الجملة المؤلفة من أكثر من كلمتين أكثر جداً . ويجدر بنا أن نأتي بتطبيقات على ما نرسله أو نقله حتى لا تنتظر من غير العربية حكماً أو ملحظاً اعتبارياً .

قالوا (بسم) و (حوقل) و (حيل) الخ وتقتصر من أمثلها على هذا

المقدار وفيه غناء . فان (بسم) وأصلها (بسم الله الرحمن الرحيم) كناية مبنية على اعتبار طريف عند ابن أبي ربيعة في قوله :

لقد بسمت ليلي غداة لقيتها فإحيذا ذاك الحديث المبسل

ويقوم على سهولة لفظية وعلى وضوح في الاختزال . و (حوقل) وأصلها (لا حول ولا قوة إلا بالله) تشتمل على مفاجأة وسهولة ووضوح . و (جيسل) وأصلها (حي على الفلاح) تشتمل على مفاجأة أو كناية وسهولة ووضوح . ويحسن بنا أن تبه هنا بأن المختزل الواحد قد يكون وارداً مختزلاً لاعتبارات شتى وكما يقتضي عين الاقتضاء .

وقد جاء المولد أحياناً جامعاً لكل ملاحظ الاختزال وأحياناً قاصراً عنها فشلاً (مسلم) كل القصد فيها السهولة فقط ، فلا تكون عجيبة بكل ما يلزم فيها . بينما جاء بها الزمخشري على وجهها تماماً في قوله :

قد شبهوه بمخلقه فتخوفوا صنع الوري فتستروا باليلكة

فان (البلكفة) وأصلها (بلا كيف) كناية مبنية على اعتبار لاذع من التعريض وتشتمل على سهولة ووضوح ، وهي منه حسنة جداً وطريقة للغاية وجيدة أيما جودة . وكذلك يكون ذو الحاسة الفنية الدقيقة ومن كالزمخشري لغة وبياناً . هذا رأينا نعرضه بعد دراسة نظمتها ساحة لنا بكل ما أتينا به من امتتاج حول الموضوع .

الرباعي غير الأصم

لن نقول شيئاً جديداً حول هذا اللون من الرباعي ، ولكن سنأخذ بمناقشات على ما قالوا فيه وما ظنوا في نشوئه وما قرروا في معناه ، وليس قليلاً أن تبين أن غاية ما تكلفوا فيه لم تكن إلا احتمالات مرسلة في غير نحر علمي ولا توفر على الدرس المتبر .

قالوا^(١) في نشوئه أنه تضعيف بالزيادة على الثاني المضعف فكبك أصله كب
ورقق أصله رقق وأنشدوا

وتبرد برد رداء العرو من في الصيف رقرقت فيه العيرا

أراد رقت . هذا ظنهم في نشوئه وهو يقوم على تتبعات غير واقية ودراسة جد
ناقصة لاتكون خليفة باعطاء نتيجة ما . وفيما إذا أخذت بالاستقراء فخرج بنتيجة صادقة
جداً ولما اعتبارها وتديرها الواقع ، ونحن هنا سنأتي على ما استطعنا فهمه فيه وأراني
غير مقصر بدرك واقعه .

ينشأ الرباعي غير الأصم من ثنائيين يراد بضمهما (دلالة بين بين) وإذا صح
فيه هذا الظن الذي يستقيم معناه عليه كثيراً ، أمكننا أن نتحقق من صدق ما قدمنا
به من أصالة الثاني في اللغة . وأدركنا شيئاً آخر له قيمته ، وهو أن هذا الوزن متأخر
بمشتقاته لأنه يدل على معنى تركيب في صورة البسيط . وكأنهم لاحظوا فيه التركيب
الذي صارت عنه وحدة كما في الحركات العكسية المتعاقبة . فالذهب والياب
السريعان المتعاقبان على المكان الواحد يقال عليهما من هذا الوزن . وعليه فيكون
ثنائياً مكرراً لاقادة تركيبية فاصل (ذَبْذَب) ذَبْ وَذَبْ ، و (رَقْرَق) رَقْ
ورَقْ وهكذا ويدل لما نذهب إليه قول ابن جني في الخصائص (الواو لا توجد
أصلاً في ذوات الأربعة إلا مع التكرار نحو الوصوصة والوحوحة) وهذه القولة تهدم
مذهبهم هدماً حين أحالت ما يقدرون زيادته على مقتضى قولهم في (كبك) .

ثم هم يقولون بأنه مضعف وهو خطأ . وإنما هو مكرر . وفرق كبير بين التضعيف
والتكرار ، ونحن إذا جاريناهم رأينا كيف يحاولون جعله وليد تضعيفين ،

(١) على الثاني لتحصيل الثلاثي .

(٢) على الثلاثي لتحصيل الرباعي . متخذاً وضعاً من التضعيف غريباً ومنفرداً
شاذاً . وقد رأيت ما فيه من خطأ ومخالفة للأقرب اعتباراً وللاكثر ، كما أنا لا نرى
عده في جملة الرباعي . وإذا كان ما يشفع لهم في هذا فإنا هو الصورة الفضيلة التي

تتألف عددياً من أربعة حروف . والأقرب في مذهب التشيب والتقسيم أن يد قسماً من الثاني وقسماً لثاني المضعف وعليه فيقسم الثاني إلى قسمين .

(١) الثاني المضعف كشد ومد وجد وهكذا .

(٢) الثاني المكرر كيرب ونضض وهكذا .

وهم يقررون معناه خارجاً عن السماع ، بالقياس على مطلق الرباعي وهذا في نظري أشد أوهامهم على الإطلاق . وذلك لأن هذا الوزن الذي ابتدعه العربي لدلالة دقيقة جداً وفنية كثيراً يقد كل ذلك بالذهاب مع وهم الجماعة المذكور . وأما معناه في نظري فقد صرحت بطرف منه قبل بضعة أسطر ، وخلاصة المعنى فيه انه يعني عن العطف بالواو مع ملاحظة الورد على المورد الواحد . (فرقرق) مثلاً تدل على التموج الضعيف المتعكس . ومن ثم قالوا (الرقارق) للضفاف التي يضعف فيها التموج و (نضض) تدل على الانتهاض الاثني برشاقة وخفة ، ومن ثم قالوا للأفنى (نضناض) وهكذا مما لو تتبعته إذا كنت تطالب المزيد .

وقائدتنا منه في الوضع الجديد كبيرة جداً . وبالأخص في الموضوعات العلمية والصناعية كما في القذبات الكهربائية والصوتية والحركات العكسية والحركات الدورانية والرحوية بالامتنان .

النحت

لا يمكننا تجاهل أثر النحت في تهيئة الأوضاع التي تنتهي بها اللغات ، بل ربما كان له وحده الأثر الفعال في اعداد الالوان الشتى . ومع انا نفهمه بهذا المقدار نرى أن عمله أكثر ما يكون في الأساليب حيث تراد لتؤدي معنى واحداً على الانفراد . وأما في المادة اللغوية فعمله لا يكاد يذكر ، وخصوصاً في بناء اللغات التي تحتمل فيها الحركات دون الحروف ، وتقوم على الاشتقاق دون التركيب . ولذا كان في السامية أقل منه في الآرية وكانت في العربية أقل من كل ما هو منه في سائر الساميات الأخرى . والسبب الذي جعل العربية غير خاضعة لعمله على نحوين :

(١) قيام العربية قياماً كلياً على الحركات .

(٢) كون الثلاثي يدل دلالة تركيبية .

فان الأول يؤدي الى استئصال كل ما يدخله النحت من مثل ما وضعه بعضهم لفصيحة ذات الاربع الأيدي في الحيوان على طريق النحت فقال (أَرْيَدِيَّة) من أربع أيدي . وللهرشوت (ضِسْقُوط) من ضد السقوط والبالون (سَفَنَجَو) من سفينة الجو والجيولوجيا (أَرْطَبَاق) من طبقات الارض و (مُعَرَّرَ كِبَار) للموتير من محرك السيارة الى كثير من هذا الرطانة المسجوجة .

والثاني لا يترك مجالاً للنحت لأن عمله في الواقع لهذه الغاية المتأدية بالثلاثي العادي . وها هنا ملحوظ ينبغي أن لا يفوتنا اعتباره ، فان له خطورته في درس النحت وهو ملحوظ يظهر انه صحيح قريب . وهو ان الفطريين يجتهدون باعطاء تأدييات تناول الغرض المقصود من كل وجوهه بحيث تكون أقرب الى الاحاطة التامة . واليك مثلاً ذكره الاستاذ (Q. Velken) الهولندي في كتابه (بحث عن الامومة) من لغة قبائل (ما كاسل) وهو (Passarilattasang) ومعناه الغوي المقصود (الاخوة أو الاخوات) ومعناه الحرفي (النابتون من بطن واحد) بينما نجد مثل هذه العناية بالاحاطة تخف حماها كلما اتسبت الأمة الى نوع رقي عقلي يتبعه ارتقاء لغوي ضرورة ، حتى يكاد يكتفي فيما بعد بالرمز الى وجه المعنى رمزاً وينقلب الوضع تمككاً أو لأدنى ملاسة ، ويظهر هذا ظهوراً واضحاً في المركبات الكيائية الاصطلاحية وغيرها .

ويظهر من هذا ان اللغة عند الاولين تتحكم بالفكرة ، بينما هي عند الآخرين محكومة بالفكرة ومعنى هذا ان النحت يكون ضرورة حينما تضطر اللغة الى تأدية المعنى على هذه الصورة من التفصيل ومن ثم رأينا كيف اتحت سكان جزيرة (فاكوفر) كلمة (بكيكوكس لكوس) بمعنى الرجل الاوربي حتى صارت ليكبوس)

وكذلك اذا أردت درس النحت بفقده صحيح وجدته يدور في اللغات التي تكثر من الزوائد لتأدية المعنى الواحد . وهذه ظاهرة من طفولية اللغة ومن هنا قدرنا أن النحت لا يكون إلا في اللغات التي لم تبلغ البلوغ النهائي في التنزيل اللغوي . هذا وان تقدير ان العربية لم تخضع للنحت يبدو لأول النظر غريباً ، بيد أننا

نطمئن اليه . لأن العربية لم تتناولها في بداءة تطورها حضارة تفضي بها الى تطور سريع بل بقيت تتطور تطوراً طبيعياً محضاً وعلى وجه من البساطة جعلها تحتفظ بكل مراحل التطور . فبقي للاحادى مفهومه وكذلك للتثاني . ومن ثم استعان العربي بهذه المخلفات على بناء اللغة بناءً ثابتاً . واذا أردنا أن نحصى عمل النحت في العربية فلسنا نراه في غير الموازين وبعض الادوات فعلية أو اسمية أو مشتركة وما سبق أن سميناها بالرباعي المثلي وفيما عدا ذلك لا تكاد تقع له على أثر أبداً . ومن الخطأ بكل المعنى أن نذهب مطبقين لقانون النحت على العربية أخذاً باعتماد اللغات له ، لأن الواقع يشهد بأن العربية تنفرد باعتباريات هيأت لها مذهباً فذاً لا يتأتى تفسيره بمذهب اللغات سواها بل ربما كان هذا المنحى يزيدنا غموضاً مطلقاً .

الخماسى والسداسى

لا اطالعك في موضوع الخماسى وما اليه بشيء جديد ، فقد أبدينا رأينا في زيادة الاشتقاق وهي تستوي في الرباعي والخماسى والسداسى ، وتلزم طريقة واحدة ومحلاً واحداً ، نكون منه في غير داعية الى تكرار الكلام عليه .

ولكن شيئاً واحداً سنفرض بالكلام عليه وهو ما ذكرناه غير مرة في معرض الكلام على البناء وأعني به (السداسى) والحال أن سداسياً أصلياً لا يحفظ أبداً في شيء من الأسماء والأفعال . ونحن من هذا على خلاف ، لأن السداسية في المزيد الصرفى فرع السداسية في المزيد الاشتقاقى كما هو معقول . على ان عليه أمثلة لا تزال محفوظة في المعاجم وان كان اللغويون يخرجونها على غير بابها .

هذا وجه نحن منه على خلاف ، ووجه آخر وهو دعوى أن الخماسى لا يجي من الافعال استناداً الى عدم الحفظ والورود ، وعليه ذهبوا يعللونه بعدم قابلية الفعل لثقله . قال العلامة الميداني في نزهة الطرف (الفعل على وجهين ثلاثي ورباعي نقصت الافعال من الاسماء بدرجة لثقلها وخفة الاسماء) ونحن لا نرى معنى لعدم مجي الفعل منه مع مجيئه من المزيد الصرفى ، وأي معقول في أن لا يكون وروده في الاسماء

دليلاً على وروده في الأفعال ، وعدم السماع ليس دليلاً على العدم لاحتمال أن يكون ترك العربي له اكتفاء بالرباعي واستقلالاً له ، وبالأخص إذا لاحظنا مجيء هذه الأسماء الخماسية صفات ، مما يكون في المنطق العقول دليلاً على أن العربي صاغ منها أفعالاً ولكن أماتها بالاستغناء . ويقوي هذا أيضاً ملاحظة أن أكثر ما يجيء من الأسماء الخماسية يكون على صورة الفعل (كسفرجل) و (شمردل) . ومما يجعل منطقتنا صحيحاً حينما ذهبنا نستدل بورود المزيد الصرفي . (اللاحق) فقد نجد الجماعة الصرفية على اتفاق في تخرج مثل جدول وكثروها من الجدل والكثرة باللاحق بجمفر ومثل (جمعنفل) بسفرجل وهكذا مما يشعر بأن المزيد الصرفي متيسر على المزيد الاشتقاق ، هذا صريح بأنه أصل وعليه فلا معنى اذن لأن ثبت الفعل في المزيد الصرفي الختامي ولا تثبت في مثله من المزيد الاشتقاق وبعبارة أوضح ، لا معنى لأن ثبت في المقيس ما لا ثبت في المقيس عليه في محل القياس . وكذلك لا معنى لأن تثبت السداسية في المزيد الصرفي ولا تثبت في المزيد الاشتقاق ، ونحن وان كنا ندعو في عملنا الاشتقاق الجديد الى اعتبار السداسي ولكننا نقصره على الأسماء لأن التصريف يقتضي الزيادة والسداسي بلغ غاية البناء في العربية .

الاببدال الاشتقاقى او المعاقبة

لا يحتاج الى تنبيه ان ما نعينه هنا بالاببدال غير ما اشتهر بالاببدال على لسان الصرفيين ، ولا بأس من أن نفرق بينهما بالاببدال الصرفي والاببدال الاشتقاقى . وفي غير كبير جهد يمكننا أن نحدد غرضنا من الاببدال الاشتقاقى الذي نريد به المعاقبة في الحروف المؤتلفة مع الترادف . ولكن يحول دون ما نبغي منه أن ما وقع فيه التعاقب ، وعلم أمره نذر جداً لا يبنى بالقصد . يدان ما تقدمنا به من ان الاتباع يقوم على أساس الاببدال مهد بين أيدينا سبيل استخراج جدول للحروف المتعاقبة أو القابلة . ولا يمنع من التعويل عليه انه قد لا يمكن تعليقه لما انه يجري كثيراً في الحروف التي لا تتشاكل نوعاً ولا صفة وذلك لأن التعليل شيء آخر غير صحة العمل ،

والمقصد هنا ليس إلا تبين الآثار التي نهجها العربي لأحراز هذه الثروة في أكثر ما تكون غنى .

أثبت الأولون هذا الضرب من التوزيع في اللغة بعنوان آخر غير عنوان الابدال ، لما أنهم اصطلموه فيما يخص الابدال الصرفي فكان أن أخذوه بعنوان آخر ، وتبعوه في الفاظ عدوا منها كثرة باسم (المعاقبة) ونحن نستحسن لهم هذه التسمية ، وإن تكن كلمة الابدال أصرح بإفادة المعنى المراد في قصد الاصطلاح ومميزات الابدال في نظر الأولين .

(١) يجري في حروف بعينها .

(٢) يكون تابعاً لرغبة المتكلم بتنويع المادة الواحدة .

(٣) يكون محفوظاً بدلالته على الانفراد .

هذه هي مميزات التعاقب كما يظهر من عباراتهم ، ومن هنا لم يجدوا في الاتباع صورة من التعاقب لأنه لا يكون إلا لاحقة ، فكان أن أفردوه بالتقسيم ولم يتخط البحث هذا المقدار على طيلة العهد بيد ما كان من السكاكي حيث أشار إشارة غامضة في الكلام على تنويع الحروف من أن الحروف المتقاربة المخرج أو الصفة تتعاقب ولم يزد ، على أن هذه الإشارة لا تقرر مذهباً أو تشيد رأياً . وجاء صاحب الفلسفة اللغوية وتناول الموضوع بالدرس المقارن وخرج منه بنتائج لا بأس بها غير أنه لا يفرق كثيراً بين الابدال واختلاف اللغات ، والحال أن اختلاف اللغات شيء آخر ، ولما لم يعد قدامي اللغويين مثل قول حاتم الطائي (هذا فزدي أنه) وهو يريد (هذا فصلي أنا) معاقبة . ويظهر أن الذي حمله على هذا كون ملاحظته نشوئية وأياً كان فيجب على الباحث أن يفرق بين أوجه الابدال وأن يتوضح الفرق جيداً . ونحن نرى الابدال في شعب ثلاث :

(١) الابدال الطبيعي كما في اختلاف اللغات .

(٢) الابدال الاشتقاقى . وهو المعاقبة .

(٣) الابدال الصرفي . وهو الاعلال وما إليه .

أما الأول : فلا ريب في أنه متأثر بعوامل للنشأة وبما يجدها ، وشواهد كثيرة

في العربية القديمة كمنعنة تميم وتثنية بهراء وفصحية هذيل . وأما الثاني : فهو المقصود هنا بالبحث وذلك لاستفيد منه في اعداد الثروة اللغوية كما استناد العرب الأولون منه واستثمروه . وسنجهد في تمثيله جيداً حتى نتمكن من الاستفادة في عمل الجانب الجديد من اللغة وفق ما طبع العرب عليه وحتى لا تكون اللغة إلا كما لو تساقطها مد الحياة فأورقت من الجانب الآخر بعد أن كانت تبدو فيه على ضهور وتقلص .

ونحن نرى على حسب الملاحظات التي قيدنا بها على مذهب الأولين أنهم فهموا الوجه العملي من المعاقبة تماماً ، وإنما يخالفهم في أمرين فقط .

(١) دعوى الترادف المطلق بين المتعاقبين .

(٢) دعوى ان الاتباع ليس معاقبة .

وإذا صح ان الاتباع يجري في حروف الابدال استطعنا أن نضع جدولاً محمراً جدياً لحروف المعاقبة ونحن لا نبدأ فنضع الجدول المذكور حتى نرى مقدار ارتياح الرأي العربي لهذا التقدير . وفائدة الابدال في الوضع الجديد ظاهرة جداً ، وذلك لأنه يفرغ اليه عندما تكون المادة قد استوفت الوضع ، وينبغي أن يخضع لشروط حتى لا يكون سبباً لاشتراك قريب .

(١) أن لا يستوفى من مادة الابدال كل موازين التصريف ، فلا يصاغ منها مصدر وما أشبه اكتهاء بمصدر الأصل ولا يزداد فيها زيادات تصريفية .

(٢) أن لا تجري عليها زيادة الاشتقاق .

(٣) أن لا تعم في كل دوائر الثلاثي .

(٤) أن تذكر في مادة المبدل منه لا في مكانها بحسب اقتضاء الحرف .

التعدي^(١) وال لزوم

حين انتهينا إلى النتيجة الخطيرة الشأن في موضوع الدراسات العربية ، حتى كان لها أن تغير وجهة الدرس العربي رأساً على عقب ، وتأخذ النقيض على ما كان عليه قبضه ، وتبني الصرف وأيضاً النحو بناء آخر جديداً ، وتوضح كثيراً مما كان غامضاً وتشرح الشيء على حقيقته وعلى مقتضاه من الشرح ، وتفسره تفسيراً منطقياً ومعقولاً.

(١) بين يدي مواضع ضافية طويلة الذبول هذا أحدها حاولت فيها درس ظواهر العربية في التذكير والتأنيث والتضعيف والتقل والارتجال والافعال والاعراب والتعريب والمصادر والجموع والنسب والتصغير . ولكن ظروف الطبع آتت الاختصارها في أسطر فاسقطتها وقيدت ما فيها من أفكار جديدة . لتشر إن شاء الله كلمة في الملاحق والاستدراكات على المقدمة . (الافعال) تتلخص فكرتي في الافعال فيما عدا الجانب التاريخي والنشوءي الذي درست فيه أصل حروف (انيت) وكيف توصل العربي إلى هذه الصور التي عليها الافعال مطلقاً إذ كان منا التقدير بأن الافعال على صورها مهيبة عن صور أخرى ترى لي أن من بقاياها أسماء الافعال . عدا هذا الجانب التاريخي وما يتبعه يتلخص رأينا في الافعال بـضريين .

١ — ما سبق لنا أن تكلمنا عليه وهو طرد الافعال مطلقاً على باب (ضرب) .

٢ — قياسية كل المزيادات الصرفية ولكن لدلالات خاصة . وقد توصل إلى شيء كبير من هذا الشق الثاني المأسوف عليه ظاهر خير الله الشويري في رسالته (الملح النواجم) ولا يتسع المقام لإيراد شيء من تخصيصات المزيادات الصرفية على أن الصرفيين سقطوا على كثير من التحقيقات النفيسة في بحث الافعال وبلغ بحث الافعال عندهم بأكثر مما بلغ سواء ومن أراد تحقيقاً رتضيه على الافعال فعليه رسالة (الملح النواجم) .

(التعريب) من أصعب البحوث ضبط التعريب حتى أن الكفويين القدماء انتهوا وما انتهت أبحاثهم فيه وخصه كثير منهم بالتأليف . وأنا أخالف كل الجماعة السابقة في عمل التعريب واردة دأً عنيفاً واعتقد بأن الأسباب التي أظهرت حاجة العرب في عصور مدينتهم إلى الأخذ به لم تكن سوى وقفة الثوريين والنجاح هذه الوقفة المنكرة ورأيت أن التعريب لا يدخل إلا في نقل الاعلام ولكن بشرطين (١) أن ينقل العلم أو الاسم على مقتضى الحروف العربية البحتة . فليس لنا من أجل نقل العلم أن نزيد في أبجديتنا بل نكسر العلم على حروف الأبجدية كما فعل العرب الأولون وكما يفعل الأجانب اليوم في كافة الاعلام الضربية والامثلة عليه أكثر من أن تحصى ولا داعي أبداً لإيجاد (جاف) وما إليها وكان أول من فكر بزيادة حروف وحركات على وفق الاجنبيات في العربية المرحوم الشيخ طاهر الجزائري في كتاب (توجيه النظر) ولكن رحمه الله كان أكثر حيلة حينما عمد إلى أحيائها من منطق العرييات المماتة (٢) أن ينقل العلم أيضاً مراعى فيه وزن عربي محفوظ وإن لا يزيد عن سبعة أحرف فإذا زاد انقص منه بحيث لا يخل بالعلم . وقد وثبت

وهي النتيجة التي قضت بأن العربية خضعت ككل شيء لتاموس التطور العام ، وإن القرآن تناولها وهي بين أيدي التطور أي لم تستقر بعد على أكل الوجوه بل لازالت تنزع الى الهدف الأسمى الذي نرى مقدار ما هي تنظر اليه وتشخص نحوه في تماثل اليه وتسام قريب حتى انتهينا الى النتيجة المذكورة التي لم تكن عليها ظاهرة واحدة من البناء أو الاعراب أو الاعلال أو الافعال أو الجموع أو تخصيص الموازين أو همز المل أو التذكير والتأنيث أو العروض بل كان لها ظواهر في كل ما من العربية في جوهرها وطبيعتها وفي التعدي والازوم ظاهرة أخرى من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها ،

قواعد خاصة لنقل الاعلام لا يتبع المجال لذكرها هنا وهذا وإن بدا غريباً نائياً فإن ثمة شخصية يجب ان تحفظ ومسحة يجب ان تظهر .

(الاعراب) نعتد الآن في هذه الخلاصة ما انتهى اليه البحث الاستشراقي في الاعراب وفي حركاتها بقايا ضماير وادوات اشارية على ما ذكره العلامة (رايت) في كتاب (مقارنة نحو اللغات السامية) واتبيننا الى رأي جديد في التنوين وهو ان العربي لما أقر لنته في اللفظية واستوى منطقه على اشد كره الصوتية في الحركات الاعرابية التي يقتضي مداها عند الوقف عليها ظاهرة . فقطع المد بالتنوين وقد ظهرت محاولته هذه في تنوين التثنية من مثل قول الشاعر (افلي الوم طاذل والمتابن) والاصل المتابا . وإذا صح هذا فيكون العربي قبل التنوين كان يقف على الحركات ممدودة مما يشر بصحة الملحظ الاستشراقي والنتيجة الملقاة حفاً هذا التناظر الشديد بين جمع المذكر السالم وبين المفرد المنون في حالة الرفع في المفرد تقول (زَيْدٌ) بحيث لو مدت الضمة قليلاً مع الاحتفاظ بالتنوين نشأ منها (زيدون) وكذلك في المثني مما يظهر معه ان النون في الجمع تنظر حقيقة الى التنوين في المفرد .

(التذكير والتأنيث) في غير شك ان التذكير والتأنيث لم ينتقيا في العربية من الفوضى خذ المنق والابط والابهام الخ ثم أخذوا بالاستقرار بعلامة فارقة اطردت بالناء وكثرت بالالف المقصورة او الممدودة . وهذه الفوضى عزاهما الاصمعي والمنفصل وابن الاعرابي من الرواة الى الاختلاف القبلي وكذلك النضر بن عجل وسبويه من النحاة وهم يبطنون الى هذا الالتباس ونحن لا نطمئن واصوبية الموضوع خصوصاً بالتأليف ولكن يختلفون فيه اختلافاً كبيراً فاقطع ابن سيده بتذكيره يجوز فيه الازهري التأنيث . ونحن نقفه على انه كان امراً اعتبارياً بدور مع الملاحظة بدليل ما ذكر صاحب الامالي من ان اعرابيا سمع يقول فلان جاءته كتابي فاحتقرها ذهب الى معنى الصحيفة . ويقويه ان الاولين يتوهمون ذكورة وانوثة في غير الحيوانات . ولكن كما قلنا أخذت العربية بالاطراد تذكيراً وتأنيثاً تبعاً للعلامة فما ليس فيه علامة وهو مؤنث فخاري متخلف ولقد أحس بهذا بعض قدامى اللغويين كابن السكيت وابن الانباري فقد نقل الفيومي في خامسة المصباح عازياً اليهما (ان العرب تجتريء على تذكير المؤنث اذا لم تكن فيه علامة تانيث) هذه

الذي غمض على علماء العربية السابقين وجه تعليله ، فاحتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ملاحظ يتسق مع ما يبدو من الاختلاف . وكذلك انتهى بهم الاجساد العقلي والتفكير الطويل الى ما دعوه بالتضمنين النحوي ، وهو بدون شك افتراض قدره النحوي ليعمل به هذه الظاهرة الغامضة ودائماً كانت الافتراض سنة الشرح والتفسير . وهنا قص حكاية التضمنين كما تصور منه . لما أخذ النحوي يحدد مفاهيم الادوات وانتهى إلى أن (على) قيد الاستعلاء و (في) الظرفية و (الباء) الالتصاق . أعترض بأمثلة لا يمكن أن تخرج على معانيها أو خصوصياتها فكان معقولاً (وهو لا يقدر بأن للمرية أدواراً عاشت فيها فقد تكون متخلفات) أن يقدر شيئاً آخر ، فقدر التضمنين واقتنع به واطمئن اليه في كثير من البقن ، ولأن كل القصد قد كان تفسير وجه النحو قسب اليه . ولما قويت حركة البيان أخذوا هذا التضمنين على وجه آخر ودعوه بياناً وهو يقوم على ملاحظة معني لفظ المضمن والمضمن فيه ، ومن ثم اختلفوا في أنه حقيقة أو مجاز أو واسطة أو جمع بين الحقيقة والمجاز وهكذا مما تجده في حاشيه (يس) على التصريح . ونقل الاتيبي في تقريره على حاشية السجاعي لقطر ابن هشام

القالة التي تحفظ عن ابن السكيت وناهيك به تفسح المجال لظن أكيد الصحة . وعليه فالتصنيف الذي نراه لكلمات المرية مطلقاً .

١ — يتعين التذكير أو التأنيث فيما كان وضعه على الحيوان بفارقة أو بدونها وهذا ما يسمى بالحقيقي .

٢ — يتعين التذكير أو التأنيث تبعاً للفارقة في غير الحقيقي .

٣ — يرجع التذكير فيما لا فارقة فيه نظراً إلى أن العربي يجرؤ على تذكير ما ليس فيه علامة .

(التضمين) انهيئنا فيه إلى أنه على ضربين (١) التضمين البسيط وأمثله معروفة . (٢) التضمين المركب وهذا شيء نحن نراه تعليلاً لمجيء زيادتين في أرزان المرية كمثل (ضمفيل) و (فطمال) ونأمل هذا التناظر المدهش بزيادة الفاء والعين في الاول وزيادة العين واللام في الثاني .

(الارتجال والنقل) ليس عندنا شيء غير منقول وما زعموه من الارتجال توهم محض جاءهم من عدم الحفظ لمادة الاشتقاق أو من المجيء على خلاف القياس والحال أن القياس معناه ما استقرت عليه المرية بعد تطورات طويلة . فما يسوته مرتجلاً هو من هذه البقايا الاثرية . وبالجملة فالاعلام في نظري تشتمل على قدر زاخر من تطور المرية لأن الاعلام تمتاز هذا من انها وليدة اتصالات عدة بكونها تتناقل مادة على صورتها .

تصريحاً مهماً وهو ان أول من قدر التضمين البياني العلامة الأول السعد ، اخذاً من عبارة وقعت للزنجشري في الكشف على ما ذكره ابن كمال باشا في رسالة التضمين .

هذه حكاية التضمين في قسميه النحوي والبياني على ما نرى ، وهو حق من كل وجوهه فاذا كان كل أمر التضمين البياني عبارة تقع من الزنجشري لم يرد لها محصلة أبداً لما فهمه السعد وبنى عليه . فكذلك كان الشأن من قبل في التضمين النحوي . شي . أدت اليه مصادقة الألفاظ المرسل ، والذي عندنا من أمره انه وان كان تكلفاً لاغياً في أوله ، فقد عاد وله محل من الحاجة على أن يصطنع بمقدار من فصاحة البيان . وبحسبنا هذا المقدار من حديثه لناخذ في حديث التعدي وال لزوم وما هو في أصله ؟ والوضع الذي ينبغي أن ينتهي عليه . وهو لمن يريد أن يتناوله بالدرس على وجهين :

(١) كيف التعدي وال لزوم .

(٢) معاني الحروف والتعدي على معانيها .

أما الأول : فيظهر ان الأصل في الافعال القصور على النفس وال لزوم لها والتعدي من عوارض الافعال الثانية ، فكان من المعقول أن تبدأ الأفعال وهي لازمة ثم تأخذ في تعدي عملها . فاذن التعدي فرع ال لزوم وهذا معنى قول الاولين (واقع وغير واقع) . ولقد جنح العربي الى التعدي بعدة وسائل بالحرف والهمزة والتضعيف ثم يكتسب الفعل التعدي بنفسه . وفي هذا شاهد جديد على ما قررنا من تأثر الأصل بالحالة التي يكون عليها الفرع . وهذا ليس كلاماً مرسلأ بل فيه مشكلة شديدة من الحقيقة واليك ما يشهد له قالوا (وقف ، واوقفه ، ووقفه) وعدوا (ياب المغالبة) وهو رجوع بالمزيد المعدي الى الثلاثي اللزوم ليتعدى تعديته وبحسبي من شواهد الرأي المذكور (باب المغالبة) .

واليك صورة التطور من ال لزوم الى التعدي على ما اتضح لنا .



وإذا صح ان التعدية تسير هذا السير الارتقائي كان لنا أن نتحلل من بعض قيود التعدية واللزوم لا على إطلاق القول فان فيه ما يذهب بشخصية العريية وطابعها من بعض الوجوه .

وأما الوجه الثاني : الذي هو معاني (الأدوات) والتعدية على معانيها فأكثر ما يكون لزوماً ، وبالفعل قد أخذت العريية في هذا السبيل وقطعت شوطاً واسعاً فيه كما يظهر في (على وفي واللام) .

وقبل أن أنتهي بالكلام عند هذه الغاية المجملية أنشر تساؤلاً وأجتهد بالجواب عليه . لماذا لزم بعض المصادر ومشتقاتها التعدية بحرف شخصي من مثل (قصد) الذي يعدي (بالي) و (عمد) الذي يعدي (باللام) على ما هو الاقصح ، وتخصيص الحرف بالفعل يكاد يكون عاماً في مصادر العريية اللازمة . والذي يظهر انه آت من تدقيق الملاية بين تمام معنى المصدر ومعنى الحرف قائما بدرس (عمد) مثلاً ومشتقاتها

(العمد والعامود والعمدة) نخرج بمعنى الارتكاز والتجامل على الشيء . بثبات . وهذا لا يناسب أبداً حرف (الى) التي تفيد الانتهاء . ولم ترى مناسبة ظاهرة مع حرف (اللام) التي تفيد الاختصاص أو الملك . هذا هو وجه السر فقط على ما اتضح وليس آتياً أبداً من طبيعة الحروف أو من اعتبار آخر .

وإذا كان هذا هو السر في اختصاص الحروف فقط ، فلا ترى حرجاً للكاتب العلمي والفني أن يجاوزه على ما وجدنا في (عمد) و (قصد) كيف يجاوز العربي بهما فصيح الربط ودقيق الملاسة في الاستعمال الشائع ، بدون أن يقال بتخطئة أو غلط . وإن كنا نتحرج مع الأديب أمره وتأخذه بفصيح الروابط ودقيقها ما دام يختص للأدب ويكتب لخدمته .



نمذجات من المعجم الجديد

ليس هذا المقدار هو كل ما انتهى وضعه من المعجم بل قد استوى وضعه مع الجدول الهجائي بكامله على نسق هذه النمذجات وانما لم تنشر إلا مادة أو مادتين ليكون مثالا للطريقة التي نجتهد في إحلالها محل العمل والقبول . وهو إذا لم يحز من ثقة الناس واعتدادهم بالنصيب الذي نرغب به فلن يكون شيئاً يزيد على انه عمل لنا مما نرى عينا محضاً اخراجه كذلك وافياً قبل أن يبدي الرأي العربي ارتياحه اليه . ونحن لن نلبث حتى نخرج المعجم الجديد في حجم (لاروس) أو يزيد قليلاً على أبلغ ما يمكن تحريراً ودقة من حيث موضع الاصطلاح ومنزلة الاسم العلمي من روح الدلالة .

هذا وقد اصطلحنا على ما هو نسق أجنبي في وضع المعاجم من التمييز بين الاسم والصفة والحقيقة والمجاز واصطلحنا على الرمز الى الابواب بحروف مفردة بقطع النظر عن مزايلة المصادر أحياناً بين بعضها وكذلك اصطلاحنا على الرمز الى المصدر والتصريف والوحدة ^(١) المعنوية والوحدة ^(٢) المادية والاشتقاق والتعدي وهذا شيء نجد مثله كثيراً في المعاجم الاوربية تكتب بأحرف أخرى وتنزل وسط الأسطر في سير الشرح ولا نجد حرجاً من الأخذ على شبهه في وضع معجمنا العربي .

وهنا أسوق راموز الاصطلاحات على ما تم في المعجم .

(ل) الباب الاول	(حد) الوحدة المعنوية	(ج) الجمع .
(ن) الباب الثاني	(وحد) الوحدة المادية .	(جج) جمع الجمع .
(ث) الباب الثالث	(تص) التصريف .	(مك) المذكر .
(ع) الباب الرابع	(مص) المصدر .	(مث) مؤنث .
(خس) الباب الخامس	(مع) المعدي .	(مم) اسم
(س) الباب السادس	(شق) الاشتقاق	(صف) صفة .

(١) نعي بالوحدة المعنوية المعنى الذي تشترك فيه جميع المشتقات وتتلاقى عليه

(٢) نعي بالوحدة المادية جمل معنى كل مشتق على الانفراد وحدة للاشتقاق

(أيج)

« هر » الأبدية في الاشياء (نص)
هـ ؛ (مص) أيج . (ش) الأيج
« هر » الأبد

[أيج] (صف) الشيء . يحتفظ على
الابد بصناعة تدخله تقول هيكل رعسيس
ايج . وهياكل المصريين القدماء على وجه
العموم آياج (سم) الايج والابجة الموميا
[آياج] (صف) صورة المتأبد
(سم) مجموعة صور الموميآت تقول
آياج نفيس

[إياجة] (سم) علم الاخنولوجيا
أي علم آثار الاقدام في طبقات الأرض
وإياجى (صف) أي بحث يتعلق بأثر
من هذا النوع كقدم النبي المزعومة على
الاحجار . تقول رأيت بحثاً طريفاً حول
آثار قدم النبي من الناحية الاباحية .

[آيجن] (سم) الشخص المسيطرة
عليه فكرة الخلود على هذا الشكل . تقول
كان قدماء المصريين أباجن والفكرة نفسها
(آيجنة) تقول بحث حول ابجنة المصريين
القدماء .

[إنجين] (صف) خلاصة تجمل

الجسم متأبداً (سم) الاديوشيرا وهي
مادة بيضاء تعلو تلافيف الحيوان اذا دفن
في منطقة باردة أو في الثلوج تحتفظه من
الفناء .

(أبد)

(هر) التماذي في جانبي الماضي
والمستقبل والتوحش أيضاً وهو مجاز مرسل
عن المنزل القفر لأنه تهادى عليه الدهر
(نص) ل . هـ ؛ في التوحش والنفور
؛ ع ؛ في الغضب وجاء منه تأبد الرجل
توحش . (مص) أبود . أبد (مع)
بالباء . (ش) الأبد (هر) الدهر
الطويل غير المحدود .

[أباد] (سم) صورة الابد تقول
أبادة أي صورة من حياة الانسان في
أقدم التاريخ .

[إبادة] (سم) العلم الذي يبحث
الاشكال التي كان عليها العالم في أقدم
ما كان .

[أبادية] وبالتشديد (سم)
الفلسفة التي تقول بقدم المادة وان الدهر
أسباب ونتائج متواصلة .

« وهر » برد يشق قلبه المرأة من غير
كين . سراويل بلا رجلين .

[الأثب] (سم) الثوب يلقى على
الكتفين وهو المعروف في الأجنبية
(بالكاب) .

[الإقاب] (سم) الثوب تلبسه
المرأة في البيت كالعباءة يدعى في الأجنبية
(كنو) .

[الأثيب] (سم) الثوب تلبسه
المرأة تحت الثياب الرسمية أشبه بالحمالة لها
يدعى في الأجنبية (كبلزون) .

[المثب] (سم) سراويل
الاستحمام والسباحة ويدعى في الأجنبية
(مايو) . (شعر)^(١)

يا فتنة تنثر على ضفاف البحر
وباقة تزدهر على دوار الصخر
يا جذاء مسرحاً والحدود فيه تجري
خرائد مثل الدمى
يثرن أسباب الهوى في وثبات الجري
برزن في (مآتب) يقطن سحر السحر
ثم انحدرون غوماً بين عباب البحر
نحسبن بين موج الماء بلق الطير

[إبديت] (صف) الذي يستخفي
فيه التوحش ويكون له روحان واحدة
عصرية وأخرى جيلية ترجع به الوراثة القهقري
أحقاباً وهما يحكماه في تعاقب كالتى صورها
الكاتب جاك لندن في اقصوصته (الحياة
الاولى) تقول بحث حول شعور الابديت .
[إبدين] (سم) اكسير الحياة .

[إبديان] (صف) المسائل إلى
التوحش في تفكيره وتقاليده . وكذلك
الذي يرمى إلى رد الناس الى حياة الفطرة
(كروسو) قول كان روسو ابدياناً في
مذهبه الاجتماعي .

[أبدوان] (صف) المنزل التاريخي
يصبح قفراً قول رأيت أبدوان سامراء
كيت أقبر حياً ثم لفظ أنفاسه في صموت
موجع .

(اتب)

« هر » الرقة في غير تماسك شديد
على الاشياء (نص) ؛ نه ؛ وجاء منه
اتب الثوب صير اتباً . وتأتب به وأتتب
لبسه . (مصى) أتتب (سى) الإتب

(أثب)

« مهر » السهولة في تبدل ويظهر
معناها في (وثب) والهمزة منقلبة .
(نص) : ن ؛ أثب الرجل ^{الرجل} لعبت به
الريح فجعلته في ارتفاعات وانخفاضات
واثب الماء اذا تسرد (مصى) أثب .
مأثب (شى) مثبب « مهر » الارض
السهلة والجدول .

[مثاب] (سم) آلة تختص
بالاراضي الرملية .

[أثبان] (صف) المتفوق بتصوير
الجداول أو بنحتها .

[أثبوة] (سم) الجدول ينحدر
من جبل ويوافق الجبل في هبوطه إلى
الارض (شعر)

ان لبنات في الطبيعة عدن
صنوهايك في خيال الجنان
تسهم النفوس بين ذراه
وبأرجائه تهيم الأماني
(أثبوات) من فوقنا صامات
فاذا ما انحدرن هن أغاني
مثبب « مهر » ما ارتفع من
الارض .

[الآثوب] (صف) المرتفع من

الأرض ارتفاعاً يسامت معه السحاب .
قول جبل آثوب وجبال مهلايا
أواثيب .

(ابر)

« مهر » الانسلال في الشيء والخروج
منه بدون أثر يترك . « نص » ل . ه ؛
وجاء منه أبر الزرع أي أصلحه . وأبر
الكلب أطعمه الابرة . وأبر العقرب لدغ
بأبرته . وأبر الرجل اغتابه . « مصى »
أبر . آبرة . آبار « مع » بالنفس
« شى » أبرة « ومرة » آلة دقيقة
فولاذية أو عظمية أو عاجية ذات رأس
محدد تستخدم في الخياطة والتطريز وما
أشبه .

[إبرور] « سم » ربو المحدثين
الذي يحصل بسبب غبار فولاذي يمتزج
بالهواء ويدخل رئات عمال الابرة .

[إبرورة] « سم » رمد في العين
يحصل بهذا السبب نفسه عند المحدثين .

[مثبر] « سم » الآلة التي تمنع
من غبار الابرة فلا يصيب المحدثين .

[مثبر] « سم » الآلة التي تصنع الابرة

بطريق غير شرعي كما لو قضى على شخص
بالابرة والأبيرة نفس الاهلاك تقول
اتخذ لخصومه ابيرة لثيمة جداً .

الأبِر « وهر » للعقرب المدغ
بالابرة .

[يُوْبُر] « صف » لدغ كل ماهو
على شاكاة العقرب أي يحمل ابرة يدفع
بها عن نفسه تقول فصيلة يُوْبورية
وحوان يُوْبوري .

مِثْبَر « وهر » موضع الابرة .
[مِثْبَرَة] « سم » موضع الابرة
مطلقاً من الآلات أي اسم للاداة التي
تمسك الابرة .

الأبِر « وهر » للبتر احتفاره .
[مِثْبَر] « سم » الالة التي يحفر
بها الآبار الحديثة

الآبَار « وهر » البرغوث .
[مِثْبِر] سم برغوث الرمل .
ويشتق من الوحدة المعنوية للعمليات
الجراحية الماهرة تقول استأبر في استئصال
الزائدة المعوية بصورة مدهشة .

[أَيْبِر] « صف » الماهر في
الجراحة إلى حد كبير « سم » لقب
التفوق الذي يعطاه الجراح .

الأبِر « وهر » للزرع اصلاحه
[إِبَارَة] « سم » فن اصلاح
الزرع .

[أِبَار] « صف » صورة الزرع
الصالح « سم » نموذج بالصور من اصلاح
الزرع أو التعليم الزراعي المصور .

[أِبْرُم] « صف » توليد نوع أجود
بالاصلاح المستمر على النبات « سم »
قانون مندل ونخص (أِبْرُمَة) بالتاء
لتجربته التاريخية على القمح تقول درس
على الابرة أي تجربة مندل على القمح .
إبرة العقرب « وهر » طرف ذنبها
الحاد .

[أِبْرَة] « سم » العضو القائمة فيه
الابرة المذكورة ويتحرك بعمل عضلي .
الأبِر « وهر » لخصوم اهلاكم
والنميمة أيضاً .

[إِبْرِيت] « صف » صاحب
النفسية التي لا يحلو لها العمر إلا بالايقاع
بين الناس وكذلك تكون مفضرة على
أن تنضح بالبعض الويل لأفراد النوع
الانساني .

[أَيْبِر] « صف » الذي يهلك

[مَأْبَرَات] « سم » المشرط
الكهربائي الذي يكوي في وقت الجرح .
(أبت)

« مر » اشتداد الحرارة . « نص »
هـ . ع . ل ؛ أبت اليوم اشتد حره فهو
آبت وآبت وآبت . وتأبت الجراحتدم .
« مص » آبت . أبوت . « مع » بالنفس
من « سى » الآبت « ومر » اشتداد
الحر .

[الْآبَتَاء] « صف » التميز بشدة
الحرارة قول آلة ابتاء وسنة ابتاء « سم »
خط الاستواء قول مقاطعة ابتاوية أي
واقعة في خط الاستواء .

[الْآبُتُوءَة] « صف » الثانى . من
الحرارة قول ابتوة الحروق للثقلولة التي
تحدثها « سم » مرض باطني يمتاز بحرارة
تحدث في سطح الجلد تواء .

[الْإِيُوت] « صف » كل ما يتولد
من تفاعل حرارة « سم » الغسابة التي
تتهرق بمجرد احتكاك شجرها إذا حركها
الريح .

[مَأْبَتَان] « صف » مقوي الحرارة
أو مضعفها بصورة آلة .

[مِثْبَت] « صف » أداة تهيج
النار واذكائها « سم » أداة تقوية المجرى
الكهربائي .

[الْآبَت] « ومر » شدة حرارة
الجو في النهار في قولم ابت اليوم .
[الْإِيُوت] « صف » الآلة تنشأ
عن شدة الحرارة الجوية .

التأبت « ومر » احتدام الجمر في
قولم تأبت الجمر .

[إِبْت] « صف » حالة احتدام
الآلات المولدة للحرارة أو النار مطلقاً
قول السيارة في ابت أي في حالة احتدام
شديد .

الآبَة « ومر » شدة الغضب في
قولم ابنة الغضب .
[أَبَات] « سم » صورة الغضب
الصحيحة عنه .

(أيز)

« مر » السير بتوثب « نص »
هـ ؛ قالوا ايز الظبي وثب أو تطلق في
العدو والانسان استراح في العدو
« مص » أيز . أبوز . أبزى « سى »
الأبز « ومر » الوثب .

[إِبْرَز] « صف » وثب الحيوانات
المصغرة الذي لا يقال له الديق .
الأبْرز « وعر » الظبي المنطلق في
العدو .

[أِبْرَز] « سم » السيارة تسير بدون
مبالاة كسيارات الاسعاف والحريق .

[مُؤَبَّرَز] « صف » الذي يحس
في باطنه توتبا من مرض أو عارض « سم »
رعشة الغضب المكتومة أو رعشة الغضب
على تذكر اهانة أو اساءة .

[إِبْرِيت] « صف » الذي يريد
أن ينتقم للتاريخ ويشور له أشد الثورة
وبوده لو يستقبل تاريخ الحادث حتى
يحرق الارم .

(ا ب ص)

« عر » النشاط البالغ « نصن »
ع : « مصى » أبيض « سى » الأبيض
« وعر » النشاط

[أَبَاص] « صف » النشاط
المتجسم تقول رجل يطالعك باباص دفاق
« سم » صورة النشاط البارعة أو مجموعة
الصور من ذلك .

[إِبْرَز] « صف » وثب خفيف
منظم « سم » الوثب في الرياضة الملحقة
بالالعاب السويدية .

[أِبْرَز] « صف » الذي يفعل
الوثب في مضاعفات « سم » حيوان
الكنجرو .

[إِبْرَان] « سم » الذي يثب في
الهواء في مرات والذي يتقاب في الهواء
مع الوثب .

[أَبَاز] « سم » صورة الوثبة البارعة
مطلقاً ومجموعة الصور من هذا أيضاً تقول
اباز جميل .

[أَبْرَة] « صف » ما يوثب بدفع
« سم » كرة التنس .

[إِبَاز] « صف » تعاطي الوثوب
مع آخر « سم » لعبة التنس

[إِبَازَة] « سم » فن هذه اللعبة .
[أِبْرَز] « صف » السير بالوثب
تقول حيوان أبزي وفصيلة ابزية .

[إِبَوَز] « سم » مرض ينشأ عن
الوثب .

[أَبِيرَز] « سم » الحركة العضوية
التي يقوم بها الحيوان الانقليبي كالحوانات
النبانية .

الذي يعطي نشاطًا باطنيًا بدون إجهاد
كحركات التنفس الهندي الموزونة .
أَبْوَص « وهر » القوس النشط
السباق .

[آَبْوَص] « صَف » صنف الخيل
المتأز « سم » حامل جائزة السبق من
الخيول .
[أَبْص] « صَف » نشاط الحيوان
مطلقًا .

(ابض)

« هر » العقل بحيث يأخذ المسارب
« نص » ه : ع ؛ قالوا منه تأبض بمعنى
أبض « مصى » أبض « مع » بالنفس
« مئى » الأَبض « وهر » شد رسخ
البعير الى عضده .

[مَبْض] « سم » الفرام في
الانومويلات وسواها .

[مَبْأَص] « سم » مفتاح أو أداة
الايقاف في السيارات الشديدة الاندفاع
في الجوا أو البحر أو الأرض .

[مَبْض] « صَف » نسبة قوة
الفرملات .

[أَبْصَن] « صَف » من عنده نشاط
روحي قوي « سم » الشخص يتقوس
عنده أثر العقل الباطن حتى يحل المسائل
المعضلة في النوم . وتضاف التاء لافادة
الوضعية تقول بحث حول (الابصنة) أي
هذه الظاهرة .

[إِبْصِن] « سم » الشخص ضعيف
النفسية الى حد الخور .

[أَبْص] « صَف » النشاط يكون
في مضاعفات من النشاط تقول رجل ابض
« سم » الرجل الذي يفوز بالبطولة في
لعبة منشطة .

[مَبْص] « صَف » أداة التنشيط
مطلقًا « سم » آلة التنشيط المطاطية
أو الزنبركية .

[مَبْأَص] « سم » الأدوات
الحديدية المبنية على نسب رياضية للأكف
والاصابع والأيدي والصلب وهكذا .

[مَبْض] « صَف » نسبة النشاط
« سم » ميزان النشاط الرياضي .

[إِبْوَص] « صَف » المعارض
المرضي ينشأ من النشاط .

[إِبْص] « سم » اللعب الرياضي

غير شيء من الظهور « نصي » به . لـ
قالوا ابطه الله هبطه وجاء منه تأبط وضع
تجت الابط . وأتبطط اطمأن واستوى وفي
النفس ثقلت « مصي » أبط « مع »
بالنفس « شي » الابط « وهر » مارق
من الرمل .

[مأبط] « سم » الأرض تكون
مغمورة بطبقة رملية رقيقة .

[أبط] « سم » الطبقة الرملية في
باطن الأرض .

الايط « وهر » باطن المكتب .

[إوط] « سم » الآفة نصيب
باطن المكتب كالقرحة .

[أبطان] « صف » أكل ما يكون

عليه الابط من جبال في التكوين .

التأبط « وهر » ادخال الثوب من

نحت اليد اليمنى والقاؤه على منكب اليسرى .

[إبطيان] « سم » لباس جندي

الرومان القديم « صف » كل لبسة تكون

مائلة إلى التأبط .

[مبطض] « سم » المبطض الحراكي
(الاوتوماتيكي)

الإباض « وهر » الحبل الذي يشد
به رسغ البعير .

[إباضه] « سم » قطعة الحديد أو
الحشب في عربات النقل التي تجمل فوق
الدولاب للتوقيف أو إبطاء الحركة .

[إبضة] « سم » قطعة الكاوتشوك
أو ما يقوم مقامها من الآلات المصغرة
كالبيكولاتات وهكذا .

المأبض « وهر » باطن الركبة .

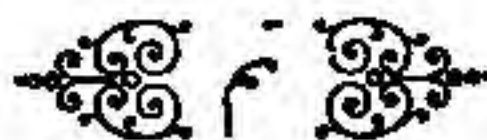
[إوطض] « صف » الآفة نصيب
باطن الركبة كالقرحة .

الأبض « وهر » الدهر .

[الأباضية] « سم » المذهب
الدهري المنشأ وأصحابه يحملون الموت
أمنية الاماني قول كان الحيام أباضيا أي
دهريا متشائما شديد التطير بالحياة .

(أبط)

« وهر » الاستخفاء غير التام أو في



تنبيه

وقعت في الكتاب أخطاء قصدت أن أتجاوز عنها وثوقاً بأدراك المطالع . وأعرف شخصاً تطلب عليه العناية ، كان يشبههم إذا عثر على جدول للخطأ والصواب ، ذاهباً إلى أن معناه عدم الاعتداد بالقاري . وهذه وإن تكن فكاهة فما لا ريب فيه أن على المطالع أن يتسامح إذا عثر على خطأ من هذا القليل ، فإنه أقل ما يتعمده من الأخطاء . وقد نهت على أخطاء صنعت لي سنوحاً ولها موضع .

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الظلال . . .	الزلال . . .	في قصيدة الأهداء .	البيت ١٤
الظلال . . .	الزلال . . .	في قصيدة الأهداء .	البيت ١٥
فكثير . . .	فكثيراً . . .	•	١١
•	•	•	١٣
(لتي) . . .	لتي . . .	•	٢٣
ينحي . . .	أن ينحي . . .	١٠	•
يعطيانا . . .	يعطيانا . . .	١١	٢٢
العام الفات . . .	سنة ١٩٣٧ . . .	١٢	٢٧
النشوي . . .	النشوي . . .	١٥	٦
فرد . . .	نفرد . . .	١٥	١٩
(an arabe)	(an arabian)	٣٠	٢
(par)	(pear)	٣٢	٣
يريدونها . . .	يريدون . . .	١٠٤	١١
وهو (طومار) . . .	(طومار) . . .	١٢٢	٩
بأنها أسماء . . .	بأنها من أسماء . . .	١٤٥	١٢
وحيث . . .	وحيث . . .	١٥٥	١٥

Bibliotheca Alexandrina



0412568